آباء مدرسة الإسكندريّة

القمص تادرس يعقوب ملطى

أقوال الآباء وكتاباتهم

"علم الباترولوجي"

الكتاب السادس

آباء مدرسة الإسكندريّة الأوّلون

مذكّرات مختصرة ألقيت على طلبة

الكليّة الإكليريكيّة واللاهوتيّة بالإسكندريّة

عام ١٩٨٠

مدرسة الإسكندريّة

الحاجة إلى مدرسة الإسكندريّة

١. قبل ظهور المسيحيّة بزمن طويل اشتهرت الإسكندريّة بمدارسها، ولعلّ أعظم هذه المدارس هي "المتحف أو الموزيم Museum" التي أسّسها بطليموس وصارت أشهر مدرسة في الشرق. بجانب هذه المدرسة وجدت مدرسة السيرابيوم Serapeum، وأيضًا مدرسة سيباستيون Sebastion. وكان لهذه المدارس الثلاث مكتباتها الضخمة[١]؛ ضمّت مكتبة المتحف وحدها ما بين مائتين ألفًا ونصف مليون مخطوطًا وكتابًا في أيّام بطليموس الأول. بجانب هذه المدارس انتشرت أيضًا مدارس يهوديّة تنشر الثقافة اليهوديّة في بقاع البلاد[٢].

نستطيع القول بأن الإسكندريّة كمدينة عالميّة قد اختيرت بيتًا للعلم[٣]؛ كانت مركزًا فريدًا للحياة المتأنّقة[٤]، ازدهرت فيها ثقافات متنوّعة من مصريّة وهيلينيّة (يونانيّة) ويهوديّة، مع أفكار شرقيّة ثيؤصوفيّة (باطينيّة). لهذا وصف Latourette هكذا: "صارت مدينة عالميّة، مركزًا للتجارة والثقافة اليونانيّة. هنا وجدت إحدى كبرى المكتبات في العالم. هنا تلاقت الفلسفات اليونانيّة مع الشرقيّة، وهنا نشأت آخر أشكال الفلسفات "اليونانيّة – رومانية Greco - Roman" غير مسيحيّة، أي الأفلاطونيّة الحديثة. هنا عاش فيلون اليهودي وفسّر إيمانه الوراثي بطريقة يونانيّة. وفي المتحف "الموزيم" وجدت ما يعادل الجامعة، لها شهرتها في العالم اليوناني – روماني كله"[٥].

على أي الأحوال، لم يكن أمام الكنيسة في جو كهذا إلا إنشاء مركز للتعاليم المسيحي، يسندها في مواجهة المعركة التي شنتها هذه المدارس القويّة[٦] والثقافات المتنوّعة التي سادت المدينة. وكما يقول Farrar: [لم تكن هناك مدينة في الإمبراطورية فيها أسند إلى الباحثين العظماء معلّمي المسيحيّة عملاً أخطر مما أسند للذين في مدينة الإسكندريّة. فقد كانت مركزًا لأعظم نشاط عقلي حي. هناك وجدت مضاربات بين الناس من كل دين وجنس، في تفاعل مع بعضهم البعض، أشبه بحبات العنب في عنقود الكرمة، ففي مدينة مثل هذه – الإسكندريّة – بمتحفها ومكتباتها ومحاضراتها ومدارسها الفلسفيّة ومجامعها (اليهوديّة) الفخمة وملحديها العلنيّين وأفكارها الشرقيّة الباطنية العميقة، لا يحمل فيها الإنجيل قوّة إن لم يكن قادرًا على خلق معلّمين قادرين على مجابهة فلاسفة وثنيّين ويهود أفلاطونيّين وشرقيّين اختاروا خليطًا من الفلسفات، يجابهونهم بذات أسسهم. فإن مثل هؤلاء المفكرين يرفضون الإنصات لمن هم غير قادرين على فهم أفكارهم والاهتمام بما ينشغلون به وتفنيد حججهم الأساسيّة، بهذا يلتقون بهم بروح مسيحي لطيف][٧].

[1] C . Bigg: Christian Platonists of Alexandria, Oxford 1913, P. 26.

[٢] حسب فيلون كان اليهود في مصر لا يقلون عن مليون نسمة.

[3] H.M. Gwaktin: Early Church Bistory, London 1909, Vol 2, P. 155.

[4] J. Qnasten: Patrology, Vol 2, P. 1.

[5] K. S. Latourette: A History of Christianity, London 1953, P. 146.

[6] J. Lebreton : History of the Primitive Church, Vol 3, London 1946, p. 731.

[7] F.W. Farrar: Lives of the Fathers, London 1907. Vol 1, P. 350-351.

٢. كانت هناك حاجة ماسة لقيام مدرسة مسيحيّة قويّة تجابه "الغنوسيّة Gnosticism"[١] على وجه الخصوص، فقد عرف العالم في ذلك الحين أشكالاً متنوّعة من الغنوسيّات هي في حقيقتها ملتقى هائل لعناصر يهوديّة ومسيحيّة ويونانيّة وشرقيّة... كانت تشكل خطرًا على الإيمان المسيحي، هذه الغنوسيّات كثيرة ومتنوّعة فوجدت مذاهب غنوسيّة وثنيّة تمامًا، وأخرى لها سمة يهوديّة، وثالثة حملت اسم المسيحيّة لكنها في جوهرها تحمل فكرًا يهوديًا، كما وجدت مذاهب غنوسيّة هاجمت العهد القديم مثل مرقيون. وجد غنوسيّون نساك مثل أتباع باسيليدس وغنوسيّون إباحيّون مثل النيقولاويّون، وغنوسيّون آمنوا بأمور جنونيّة لا معنى لها مثل مذهب عبدة الحياة Ophites، وغنوسيّون على مستوى ثقافي رفيع مثل مذهب فالنتينوس... هذه الغنوسيّات وغيرها حملت مميزات وسمات متباينة لكنها اشتركت في إيجاد ثنائيّة بين اللّه والمادة، إذ حقّرت من المادة كعنصر شرّ وجعلتها من صنع إله ليس خيّر، لكن ما هو أهم أنها أصرّت على إحلال الغنوسيّة أو المعرفة محل الإيمان كسبيل للخلاص.

شكّلت الغنوسيّة خطرًا لا يستهان به في القرن الميلادي[٢] – على وجه الخصوص – وذلك لأن المدارس الفلسفيّة والديانات الباطنيّة كانت قد زوّدت الناس بحاجاتهم الروحيّة، كما أن المذاهب الثيوصوفيّة "الباطنيّة" بما يحيط بها من سحر الحكمة الشرقيّة الزائفة لم تكن قد فقدت جاذبيتها تمامًا[٣]. لهذا وجدت حاجة مُلحّة لقيام مدرسة قويّة تواجه هذا التيّار. كما يقول A.A. King: "كانت الغنوسيّة في مصر قويّة، والصراع ضدها يمثل مسئوليّة ضخمة تلتزم بها أول جامعه مسيحيّة "الديدسقاليون" أو "المدرسة التعليميّة Catechetical School"[٤].

لم تقف مهمّة هذه المدرسة عند تفنيد المبادئ الخاطئة والأفكار المضلّلة للغنوسيّين، لكنها حملت رسالة تقديم "غنوسية" أو "معرفة" على مستوى إنجيلي مسيحي بغير انحراف. في هذا يقول Schaff: [لم يدن الإسكندريون الغنوسيّة في اندفاع، لكنّهم تعرّفوا على الرغبة في معرفة "غنوسيّة" دينيّة أعمق، فدخلوا إلى جذورها، وبحثوا في مقابلة هذه الرغبة بإشباع كامل لها من الإنجيل ذاته... لقد بلغوا القمّة في كلمات **إكليمنضس**: "لا إيمان بغير معرفة، ولا معرفة بغير إيمان" أو "إن لم تؤمن لن تفهم"، فالإيمان والمعرفة "الغنوسيّة" هما كيان واحد، هما حق اللّه الخلاصي، المعلن في الكتب المقدسة، ومسلم بأمانة بواسطة الكنيسة، وإن اختلفا في الشكل فقط][٥].

بمعنى آخر، عِوض الغنوسيّات التي حملت اسم المسيحيّة شكلاً، قدّمت المدرسة "غنوسيّة أرثوذكسيّة" إنجيليّة جديدة، استطاع المعلمون الإسكندريون، خاصة إكليمنضس مدير المدرسة في القرن الثاني، أن يعطى لكلمة "غنوسيّة" معنى فنّي خاص[٦]، بل لقب المسيحي الحقيقي الروحي "غنوسيا" له عمل مرتبط بالإيمان وحفظ الوصايا ألا وهو "المعرفة الروحيّة" خلال الكشف الإلهي... لكنها ليست منعزلة عن الإيمان.

[١] كلمة "غنوسية" مشتقة عن اليونانية "gnosis" وتعني "معرفة".

[٢] سبق أن تعرضت للمذاهب الغنوسية في كتاب "القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي"، ١٩٧٩.

[٣] القمص باخوم المحرقي (حاليًا الأنبا غريغوريوس): الفلسفة المسيحية، ١٩٦٧.

[4] A.A. King: The Rites of Eastern Christendom, Rome 1947, P 341.

[5] Schaff: History of Christian Church, 1970. Vol 2, P 780.

[6] P. E. Hallett: A Chatholic Dictionary, London, 1951, P. 368.

٣. لم يقف الأمر عند مجابهة الفلسفات المتنوّعة وتفنيد الأفكار الغنوسيّة على وجه الخصوص لمحاربة هذه التيارات بذات أسلحتها أو في عقر دارها، وإنما كانت الضرورة تقتضي وجود مدرسة قادرة على إشباع اهتمامات المسيحيّين أنفسهم في الإسكندريّة. فإنهم حتى بعد قبولهم الإيمان المسيحي لم يتوقفوا عن الدراسات الفلسفيّة والعلميّة، بل كان بعضهم مواظبًا عليها في المدرسة الوثنيّة أو الأفلاطونيّة الحديثة. وقد وصف Bigg حال المسيحيّين الأول في الإسكندريّة هكذا: "جماعة ضخمة وغنية، تعيش في حضن مدينة جامعة عظيمة، لا تقدر أن تمتنع عن الاهتمامات السامية لهذا الموضع (أي الدراسات الفلسفيّة). كان غالبيّة شبابهم الموهوب يستمع للمحاضرات التي يلقيها الأساتذة الوثنيّون، فارتكض بعضهم إلى الهيلينيّة مثل أمونيوس[١]، انسحب البعض إلى الغنوسيّة مثل إمبروسيوس[٢]، وعبر البعض هذه المحنة بسلام مثل هيراقليس[٣]، (باروكلاس)، وبقى كهنة مسيحيّون يرتدون ثوب الفلسفة أو رداء الأساتذة..."[٤].

نستطيع أن ندرك مدى ولع الأقباط بالفلسفة في ذلك الحين، وأثرها أيضًا على الأساتذة الوثنيّين مما جاء في خطاب لهادريان حفظ بواسطة Vopiscus: "الذين يعبدون سيرابيوس هم مسيحيّون، والذين يلقبون أساقفة المسيح هم نذيروا سيرابيوس"[٥]. حدث هذا الخلط في أذهان البعض لأن بعض عظماء المسيحيّين كانوا يتردّدون على المدرسة الوثنيّة لدراسة الفلسفة، كما أن بعض علماء الفلسفة قبلوا الإيمان ودخلوا الحياة الكنسيّة...

نشأة المدرسة

شهد **القديس جيروم**[٦] أن القديس مرقس الرسول قام بتأسيس مدرسة الإسكندريّة المسيحيّة، فقد أوحى له بالروح القدس أن يقيمها للتعليم بالمسيحية، كطريق لتثبيت الدين الجديد في هذه المدرسة على أساس راسخ[٧]، سواء بالنسبة للذين من أصل أممي أو من أصل يهودي. بهذا كما يقول **الكسندر روبرت:** [وجد أول كرسي للتعليم المسيحي... وصارت الإسكندريّة عقل المسيحيّة... في الوقت الذي كان فيه الغرب مجرّد متقبّل يبسط يديه وساعديه للشرق طالبًا استنارة أعظم][٨].

وصف Groves هذه المدرسة، قائلاً: "كانت مدرسة الإسكندريّة التعليميّة ذات الشهرة العالميّة مركزًا للدراسات المسيحيّة دون منافس في العالم المسيحي في ذلك الحين"[٩]. صارت هذه المدرسة أقدم مركز للعلوم

[١] ربما قصد أمونيوس السقاس مؤسس الأفلاطونية الحديثة، والذي تتلمذ على يديه العلامة أوريجين فترة من الزمان.

[٢] تحوّل على يديّ أوريجين عن مذهب فالنتينوس الغنوسي، وقد أمدّ أوريجين بأكثر من سبعة سكرتيريّن وعدد كبير من النساخ وبعض الفتيات اللواتي يجدن الخط...

[٣] أحد مديري المدرسة، وقد صار بطريركًا للإسكندريّة.

[4] Bigg, P. 68, 69.

[5] F.W. Farrar, P. 26.

[6] De Viris Illus. 36.

[7] Coptic Orth. Patriarchate: St. Mark, Cairo 1968, P. 61.

[8] A.N. Frs., vol 2, Introd. note to Clem. of Alex., P. 165.

[9] F.P. Groves: The Planting of Christianity in Affrica, London 1948, P. 37.

القدسية في التاريخ المسيحية[1]. إذ نشأ فيها أول نظام للاهوت المسيحي، كما انطلقت منها طريقة التفسير الرمزي للكتاب المقدس.

سماتها ومنهجها

إن كان ليس لدينا بالتفصيل صورة عن سمات المدرسة وبرامجها ومنهجها ومواد الدراسة فيها، لكننا نستطيع أن نتكشف الخطوط العريضة خلال حياة آبائها وتراثهم الكتابي. هذه الخطوط التي قيل عنها: "إنه من المشكوك فيه أن نجد نظامًا للتعليم المسيحي أفضل مما كان قائمًا في الإسكندريّة"[2].

١. بدأت مدرسة الإسكندريّة كمدرسة للموعوظين[3] Catechumens تضم طالبي العماد من أمم ويهود لتعليم الإيمان المسيحي، تقدّم لهم دراسات تؤهّلهم لنوال سرّ المعموديّة. فتحت المدرسة أبوابها أمام الجميع، يلتحق بها أناس من ديانات مختلفة وثقافات متباينة وذو مراكز اجتماعيّة مختلفة وأعمار متفاوتة...، "كان التعليم بها جامعيًا وموحّدًا، لا يميز بين الطبقات أو الظروف، بين العبيد أو السادة"[4].

بحق يلزمنا أن نقف بإعجاب بآبائنا الأولين الذين استطاعوا بسموّهم الروحي وعلوّ فكرهم أن يفتحوا مدرسة في القرن الأول الميلادي تضم الجنسين معًا[5]: رجال ونساء. في وقت كان فيه العالم المتحضّر كله يقوم على التمييز بينهما... ضمّت المدرسة سادة وعبيد معًا، في وقت كان العبد رخيصًا يُباع كالسلعة ويُشترى!

هذه الصورة في ذاتها كانت كرازة عمليّة بالإيمان المسيحي الحي الذي يوحّد الكل في المسيح يسوع ربنا... لكنّها أيضًا تُحمل الأساتذة عبئًا ليس بقليل.... إذ يلتزمون بتقديم مناهج تتناسب مع فكر كل واحد منهم.

٢. أمام هذا الانفتاح لم يكن ممكنًا أن تقصر المدرسة في دراستها على اللاهوت وحده... بل كان برنامجها منذ القرن الثاني – ما لم يكن منذ بدء انطلاقها – يقوم على أساس موسوعي شامل encyclopedic. هذا منهج تقليدي خاص بالإسكندريّة وجد في مدارسها الوثنيّة واليهوديّة أيضًا. وكما يقول Carl S. Meyer: [كانت هذه المدرسة مركزًا للتعليم الفلسفي والعلمي كما للتعليم اللاهوتي فإنه بالنسبة للإسكندريّين كل المعرفة إنما تساهم في إدراك الحق الذي يبلغ ذروته في اللاهوت المسيحي][6]. وقد وصف W.J. Gauehe هذه المدرسة في برامجها القويّة قائلاً: [في الإسكندريّة... يبدو أن التعليم في سموّه قد بلغ اتّجاهًا وشكلاً يقارب جدًا نظام جامعاتنا الحديث أكثر مما كان عليه في مكان آخر في العالم اليوناني الروماني][7].

[1] E. Gilson: History of Christian Philosophy in the Middle Ages, N.Y. 1955.

[2] C. Bigg. P. 71.

[3] كلمة Catechumens مأخوذة عن اليونانيّة Katichoumenos، تعنى "تحت التعليم" والفعل يعنى "يتعلم شفويًا". استخدمت كنسيًا بمعنى طالبي العماد.

[4] Rev. Markary El- Souriany: Ancient and contemporary Christian Education in the Coptic Church, Princeton, 1955, P 78.

[5] C. Bigg. P 69

[6] Carl S. Meyer: The Church from pentecost to the Present, Chicago 1970, P. 32.

[7] W. J. Gauche: Didynius the Blind, an aducator at the fourth century, Washington 1954, P. 36.

٣. أخذت مدرسة الإسكندريّة بنظام التدريج، فغالبًا ما تبدأ الدراسة بسلسلة من العلوم غير الدينيّة (العلمانيّة Secular)، من خلالها يكسب المعلّم غير المؤمنين ويقيم الأفكار الفلسفيّة والعلميّة، ساحبًا القلوب نحو المعلّم الوحيد يسوع المسيح. تأتي بعد ذلك الأخلاقيات والسلوك الديني ليس كغاية في حياة المسيحي إنما ليكون متشبّهًا باللّه، وأخيرًا يدرس اللاهوت المسيحي في شكل تعليقات وشرح الكتاب المقدس.

يظهر هذا المنهج في مراحله الثلاث من الكتب الثلاثة الرئيسيّة التي وضعها **القديس إكليمنضس الإسكندري**: الأول قدّم منهجًا لغير المسيحيّين خلاله يتعرّف طالبوا العماد على أساسات المسيحيّة دون الدخول في حرب مع الفلسفة...، والكتاب الثاني يمثل منهجًا أخلاقيًا غايته التشبّه باللّه، والثالث يمثل منهجًا متقدّمًا خاص بالمعرفة "الغنوسيّة" للحق الإلهي...

٤. امتازت هذه المدرسة بعدم الفصل بين الدراسة والحياة الإيمانيّة التقويّة. فكانت العبادة تمارس جنبًا إلى جنب مع الدراسة[١]. يمارس المعلّمون وتلاميذهم الصلاة والصوم وحياة النسك مع النقاوة بغية الدخول في طريق الكمال المسيحي، وكان الأساتذة في حياتهم مثلاً يُحتذى به. لقد عرف غالبية أساتذتها بحبهم لحياة البتوليّة والزهد في الزمنيات[٢].

٥. عرفت المدرسة باهتمامها بالبحث العلمي، فلم يكن الأساتذة مجرد محاضرين يلقنون الطلبة ما يريدون... لكنهم بالأكثر كانوا يهتمّون بتقديم المشورة في البحث والتنقيب مع المناقشة المستمرّة. يمكننا أن نتلمّس ذلك من شهادة **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** عن أستاذه العلامة أوريجين بأنه حسب من حق الملتحقين بالمدرسة أن يدرسوا الفلسفة بحكمة واجتهاد، ولا يحتقروا ما كتبه الفلاسفة القدامى... كان أشبه بمرشد يعين تلاميذه على التعرف على المدارس الفلسفيّة المتنوّعة بأنفسهم ويختاروا ما فيها من حق ويرفضوا ما فيها من بطلان...

٦. قامت المدرسة أيضًا على العلاقات الشخصيّة بين الأساتذة وتلاميذهم... بمعنى آخر كانت المدرسة أشبه بمجال للتلمذة في أسمى صورها، وليس مجرّد مكان يلقي فيه الأساتذة محاضرات على الطلبة... بهذا كانت المدرسة جزءًا لا يتجزأ من الحياة الكنسيّة...التي في صميمها هي "حياة تلمذة".

كانت المدرسة تمثّل جزءًا من المبنى الكنسي[٣]، لكن إذ تعرضت الإسكندريّة لموجات متتالية من الاضطهادات كان التلاميذ يجتمعون مع أستاذهم في بيته أو في أي موضع آخر... هكذا ارتبط الطلبة بأستاذهم أكثر من ارتباطهم بالمبنى... كان الأستاذ هو المدرسة.

ظهرت هذه العلاقة الشخصيّة الوطيدة في حياة **القديس إكليمنضس الإسكندري**، الذي قال عنه G. Bardy أنه رفع قلوب طلبته إلى الأعلى التي أعلنها لهم بصبره وابتسامته الدائمة[٤]. كما ظهرت أيضًا في حياة خلفه وتلميذه العلامة أوريجينوس الذي تخطت علاقته بطلبته حدود الدراسة، فكان يلتقي بهم في السجن

[1] J. Lebreton, P. 732.

[2] Coptic. Pat., P. 63.

[3] F.P. Graves: A Student's History of Education, N,Y. 1915, P. 43.

[4] G. Bardy: Clement d' Alexandria, P. 12.

ويرافقهم في ساحات القضاء وساحات الاستشهاد. كان يقبلهم قبلة السلام بحرارة شديدة في مشهد من الجميع، ويبقى ملازمًا لهم حتى يسلّموا أرواحهم في يدي الآب[1].

هذه العلاقات دفعت المدرسة بقوّة، فأنقل إلى الطلبة روح أساتذتهم وغيرتهم الدراسيّة وحياتهم التقويّة. وكما قال **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** عن أستاذه أوريجينوس: [كان شرارة منيرة، ألقيت في أعماق نفوسنا الداخليّة، فاشتعل الحب فينا، وصار لهيبًا؛ بذلك صرنا نحب الكلمة القدّوس (اللوغوس)، الذي أحب العلوم إلى نفوسنا، يجتذبنا إلى جماله المنطوق بغير مقاومة].

مدرسة الإسكندريّة والفلسفة

نظرة مدرسة الإسكندريّة للفلسفة تحتل نصيبًا ليس بقليل في هذه المذكّرات، وذلك خلال عرضنا لحياة آباء المدرسة وكتاباتهم وأفكارهم، فقد حمل هؤلاء الآباء نظرة خاصة اختلفوا فيها مع آباء كثيرين. فأنهم لم يحملوا اتّجاهًا معاديًا لها، ولا اتخذوا منها موقفًا عنيفًا، إنما رأوا فيها بصيصًا من الحق، وإن شابه بعض الضلالات. لقد رأت المدرسة أن الكنيسة قادرة على الدخول إلى قلوب الفلاسفة خلال هذا البصيص لتبلغ بهم إلى كمال الحق المعلن في الإنجيل المقدس. لهذا يقول المؤرخ شاف Schaff: [هدف اللاهوت الإسكندري إلى مصالحة المسيحيّة مع الفلسفة... مقيمًا هذه الوحدة على أساس الكتاب المقدّس وتعاليم الكنيسة][2]. كما يقول شارلس بيج Bigg: [أن أول محاولة في صورة منهجيّة للتوافق بين تقليد الإيمان واستنباطات الفكر البشري الحرّ لم تتم في بيتها (أورشليم) ولا في أثينا، وإنما تمت في مصر][3]. يقول J. Danièlou: [إنها الإسكندريّة هي التي أقامت الهيلينيّة المسيحيّة والتي صارت معجزة التاريخ الإنساني][4]. كما قال Einar Molland: [الاستحقاق الذي لا ينتهي لإكليمنضس وأوريجينوس أنهما خلقا الفلسفة المسيحيّة][5]. هذه الفلسفة حملت سمة إنجيليّة، كما يقول Wool: [ركّزت مدرسة الإسكندريّة على الفلسفة المسيحيّة، لكنها فلسفة نبعت عن صفحات الكتب المقدسة][6].

مدرسة الإسكندريّة والتفسير الرمزي

إن كانت مدرسة الإسكندريّة قد أرادت مصالحة المسيحيّة مع الفلسفة، إنما لكي ينعم الفلاسفة بكلمة الحق الإنجيلي... يدخلون إلى الكتاب المقدس ويتعرّفون على أسراره. لهذا كان عمل المدرسة الرئيسي هو شرح كلمة اللّه بطريقة روحيّة، وإعلان ما تحمله من أعماق داخليّة وراء الرموز. وكما يقول Dom. D. Rees: [كانت مدرسة الإسكندريّة التعليميّة (ديدسقاليون Didascalion) بلا شك أشهر معهد عقلي في العالم المسيحي

[1] J. Danielou: Origene, 1975, P. 27.

[2] Schaff, Vol 2, P. 779.

[3] Bigg, P. 25.

[4] J. C. Melelland: God the Anonymous (the Philadelphia Patristie Foundation Ltd) 1976, P.1.

[5] Ibid.

[6] S. P. Wool: Clement of Alexandria: Christ the Educator (Frs. of the Church, vol 23), 1954, XI.

الأول، وكان اهتمامها منصبًا على دراسة الكتاب المقدس، وقد ارتبط اسمها بالتفسير الكتابي... كان شغل هذه المدرسة التفسيريّة الأول هو اكتشاف المعنى الروحي في كل موضع وراء السطور في الكتاب][1].

لقد استخدم الفلاسفة اليونان التفسير الرمزي لمدة طويلة في تفسير أساطيرهم كما يظهر في هومر Homer وهيسويد Hesold ويعتبر أول يهودي يمثل التفسير الرمزي هو أرسطوبولس الإسكندري، في منتصف القرن الثاني قبيل الميلاد، دفعته ثقافته الهيلينيّة إلى تطبيق ذلك المنهج في شرح الشعر اليوناني كما في شرح العهد القديم؛ لكن هذا المنهج قد ارتبط بفيلون الإسكندري اليهودي، الذي استخدمه في تفسير العهد القديم تفسيرًا رمزيًا. رأى فيلون أن المعنى الحرفي مجرد ظل بالنسبة للجسد، أما المعنى الرمزي العميق فيمثّل الحقيقة الحقّة.

تبني المفكّرون المسيحيّون بالإسكندريّة هذا المنهج التفسيري، حاسبين أن التفسير الحرفي في حالات كثيرة لا يليق باللّه. وقد وجدوا في الرسول بولس (غلا٤: ٢٤، ١كو٩: ٩) سندًا لهم، بل رأوا السيّد المسيح نفسه يستخدم ذات المنهج حين يقول: "وكما رفع موسى الحيّة في البريّة هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان" (يو٣: ١٤).

استخدم **القديس إكليمنضس الإسكندري** هذا النوع من التفسير، لكن تلميذه أوريجين هو الذي شكل نظامه ووضع قواعده وقام بنشره في الشرق والغرب، حتى نسب إليه. لقد بلغ أوريجين بالمدرسة إلى القمة في هذا الشأن، فتأثرت بدوافعه وأفكاره، وإن كانت قد تحررت بعد ذلك من مبالغته في التفسير الرمزي. ويلاحظ أن آباء المدرسة كانوا أكثر دقّة وإفراز من فيلون، كما اختلفوا معه أيضًا في الهدف. فقد طبق فيلون التفسير الرمزي على العهد القديم لاكتشاف معانٍ فلسفيّة وأخلاقيات خلال الرموز، أما آباء المدرسة فوجدوا في العهد القديم بما احتواه من شخصيّات وأحداث ونواميس وطقوس انعكاسات للعمل الخلاصي والحياة السماويّة[2].

على أي الأحوال، كان لهذا المنهج أهميته إذ فتح بابًا للاهوت المسيحي يربط ما بين الفلسفة والوحي، كما عالج الكثير من المشاكل الخاصة بتفسير العهد القديم، لكننا في نفس الوقت لا نقدر أن نتجاهل أضرار المبالغة في استخدامه، لهذا وجد هذا المنهج معارضة، كما نادى آباء المدرسة فيما بعد بالاعتدال في استخدامه.

دور المدرسة في حياة الكنيسة

كان لمدرسة الإسكندريّة باتجاهاتها السابق الحديث عنها أثرها الفعّال على الحياة الكنسيّة في كل جوانبها، بل كانت المدرسة جزءًا لا يتجزأ من الحياة الكنسيّة. كشفت المدرسة عن إتساع الفكر المسيحي بوجه عام، وأروت ظمأ المسيحيين في المعرفة، وقدّمت ضوءًا جديدًا على أهميّة العلم والتعليم بوجه عام، كما خلقت قادة في الفكر وفي العمل الكنسي الرعوي على المستوى المحلّي والمسكوني.

١. اهتمام المدرسة بالفلسفة اليونانيّة نزع عنها نظرة ضيقة نحو المسيحيّة كتراث إقليمي يرتبط بجماعة محلية أو ثقافية خاصة. وبهذا ربحت الكنيسة نفوس كثيرة للسيّد المسيح من عينات مختلفة، على كافة المستويات الفلسفيّة والفكرية، لهذا عندما تحدث Farrar عن اللاهوت المسيحي في مدرسة الإسكندريّة قال: [الكرازة بالمسيحيّة أشبه بالطريقة التي تحدّث بها اللّه قديمًا مع آباء، تحمل سمة التعدّد والتنوع. لقد قدّمت للعالم حكمة

[1] Nelson: A New Catholic Commentary on the Holy Scripture, 1969, p. 15.

[2] للمؤلف: مقدّمات في علم الباترولوجي، ١٩٧٤م، ص ٧٠.

غنيّة متنوّعة، إذ وقفت الكنيسة أمام العالم كإبنة الملك التي ذكرها المرتل أنها ملتحفة بثياب مزركشة. تستطيع أن تكون بسيطة من غير المتعلّمين، وكيهوديّة مع اليهود، كيونانيّة مع اليونانيّين، وبمعنى صالح ولطيف إنها كل شيء مع كل أحد. هكذا تحدث القديس بولس بطريقة معيّنة مع فلاّحي لسترة، وبطريقة ثانية مع الأبيقوريّين وأتباع أرسطو بأثينا، وبطريقة ثالثة في سنهدريم أورشليم. قليلون هم الذين وهبوا هذا التنوع السامي، لكن ما لا يقدر إنسان بمفرده أن يفعله قام به معلّمون مسيحيّون متنوّعون... لقد لمسوا أوتارًا كثيرة لقلوب الكثيرين][1].

وصف "شاف" قدرة المدرسة على الكرازة بين الفئات المتباينة خلال اتّساع نظرتها قائلاً: [كانت من جهة حصنًا للكنيسة ضد الأشرار... ومن جهة أخرى كانت جسرًا للعبور من العالم إلى الكنيسة. كان الموعظون شعبًا وخطباء][2].

٢. هذا الاتجاه جعل من أساتذة المدرسة رجالاً مسكونيّين، ليس فقط كسبوا كثيرين من ثقافات متنوّعة، لكن انفتاح فكرهم وجه أنظار الكنيسة الجامعة – في الشرق والغرب – إليهم. وكما يتحدث Carl S. Meyer عن عميديها القديس إكليمنضس والعلامة أوريجن قائلاً: [كانا من أوائل الرجال الجامعيّين (المسكونيّين) وأعظمهم في الكنيسة الأولى][3]... وفي القرون التالية حمل رجالها أمثال القديسين أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير مسئوليّات كنيسة على مستوى مسكوني.

كان من نتيجة ذلك ليس فقط صار لرجالها الصبغة المسكونيّة إنما تتلمذ على أيدي أساتذتها رجالاً من بقاع كثيرة، صاروا قادة فكر مسيحي. وحمل بعضهم أعمالاً رعويّة في بلاد كثيرة، تذكر على سبيل المثال القديس غريغوريوس أسقف نيصص الذي يفخر دومًا بمعلّمه القبطي العلامة أوريجينوس.

هذا وقد تلقت الكنيسة – في الشرق والغرب – الكثير من أعمال المدرسة بكل إجلال... ترجمت باللغات المختلفة كاللاتينيّة والسريانيّة منذ القرون الأولى، فقد ترجم روفينوس إلى اللاّتينيّة الكثير من كتب أوريجينوس، وكتاب "المعارف" لإكليمنضس الإسكندري. وجمع القديسان باسيليوس القيصري وغريغوريوس النزينزي بعض مقتطفات من كتاب "المبادئ" لأوريجين في مؤلف لهما أسمياه "الفيلوكاليا".. ولا نبالغ إن قلنا أن كتابات آباء الإسكندريّة لا زالت تحمل آثارًا على الكنيسة في كل المسكونة لهذا يهتم العالم بترجمتها إلى اللغات الحديثة الحيّة.

٣. استطاعت المدرسة أن تروي ظمأ المسيحيّين بالإسكندريّة نحو المعرفة الدينيّة، وتحثّهم على الدراسة والبحث، بهذا ساهمت المدرسة في إنشاء أول نظام للدراسات اللاهوتيّة في العالم، كانت بحق "مهد اللاهوت المسيحي"[4]... منها خرج رجال قادرون على الرد على أمثال كلسس مثل أوريجين، والدفاع ضد الأريوسيّة مثل **القديس أثناسيوس**، وضد نسطور مثل **القديس كيرلس الكبير**...

٤. قيام هذه المدرسة "أعطى للطلبة إمكانيّة الحصول على التعليم الذي تقدّمه المدرسة الوثنيّة العظمى، لكن بواسطة معلّمين مسيحيّين"[5].

[1] Farrar, Vol 1, P. 352.

[2] Schaff, Vol 2, P. 256.

[3] Carl S. Meyer, P. 32.

[4] Farrar, Vol 1, P. 352.

[5] Bigg, P. 67.

٥. أخيرًا، كانت المدرسة سندًا لكنيسة الإسكندريّة، غالبًا ما يختار أحد عمدائها وتلاميذها بابا للإسكندريّة... وكما يقول **نيافة الأنبا غريغوريوس:** [امتد أثر المدرسة اللاهوتيّة إلى هنا وهناك فاشتهر طلبتها بتقواهم واتّساع مداركهم وتفكيرهم]. وكانت النتيجة أن باباوات الإسكندريّة كانوا يختارون من بين رؤساء المدرسة وأساتذتها وكذلك الأساقفة والكهنة. كان الرئيس للمدرسة يعتبر الرجل التالي بعد البابا، سواء من الناحية العلميّة أو الاجتماعيّة، وإن كان ليس من الجانب الكنسي أو الطقسي، فنحن نعلم أن القديس مرقس عيّن يسطس أول عميد للمدرسة، وقد صار البطريرك السادس، وهكذا مركيانوس البطريرك التاسع، وهيراقليس (ياروكلاس) الذي صار رئيسًا للمدرسة بعد أوريجينوس والبابا الثالث عشر، وخلفه ديونسيوس كرئيس للمدرسة وكبابا، وأيضًا بطرس خاتم الشهداء كان رئيسًا للمدرسة وقد صار بابا الإسكندريّة السابع عشر، ثم خلفه أرشلاوس. هؤلاء جميعًا كانوا رؤساء للمدرسة قبل سيامتهم بابوات. لكن هناك باباوات كانوا من أساتذة المدرسة أو على الأقل من طلبتها، منهم الكسندروس البابا التاسع عشر، وأثناسيوس الرسولي بابا العشرون، وتيموثاوس البابا الثاني والعشرون، وكيرلس عمود الدين الرابع والعشرون.

بالحقيقة هذا هو سر القوى المخفية وراء كنيسة الإسكندريّة في القرون الخمسة الأولى. هذا هو سرّ شهرة باباواتها وبطاركتها، إذ كانوا يحسبون كحرّاس للإيمان الأرثوذكسي، وبسبب اتّساع أفقهم كانوا شغوفين بالمعرفة، فحسبوا "معلّمي المسكونة"، كانت لهم الكلمة الأخيرة الفاصلة][1].

+++

وإنني أرجو في الرب أن أقدّم عرضًا سريعًا لبعض مديري المدرسة الأوّلين من جهة التاريخ حياتهم وكتاباتهم وأفكارهم الأساسيّة، وقد سبق أن أفردت كتابًا خاصًا عن البابا بطرس خاتم الشهداء أحد عمداء المدرسة، كما أرجو أن تتاح لي الفرصة للكتابة عن بقية آباء المدرسة فيما بعد.

[1] Coptic Patr., P. 69-70.

١

ما قبل أثيناغوراس
يسطس وأومانيوس ومركيانوس

تجاهل غالبيّة المؤرّخين الغربيين رؤساء المدرسة الأوّلون: يسطس وأومانيوس ومركيانوس، ناسبين بدء المدرسة لأثيناغوراس الفيلسوف، ولعلّ ذلك يرجع إلى عوامل كثيرة منها:

١. انشغال هؤلاء الآباء الثلاثة بالعمل الرعوي والكرازي خاصة بين غير المسيحيّين قد ابتلع كل طاقتهم، فلم تكن لهم فرصة للكتابة، الأمر الذي لم يعطهم اسمًا بين الكتَّاب المسيحيّين الأوائل، أو لعلّه كانت لهم كتابات قليلة مفقودة.

٢. استطاع العلامة أثيناغوراس الفيلسوف أن يدفع بالمدرسة إلى تطوّر عظيم لكفاءته وقدرته الفلسفيّة، ممّا جعل نجمه يتألّق على سابقيه، فنسب إليه بدء انطلاق المدرسة، خاصة وأن كتاباته تداولت على مستوى مسكوني منذ القرون الأولى، ولو أنه حتى أثيناغوراس هضم حقّه ولم يذكر اسمه كواضع لهذه الكتابات كما سترى. ورأي كثير من المؤرّخين أن بنتينوس هو أول رئيس للمدرسة.

١. يسطس

ذكر **القدّيس جيروم**[١] أن مار مرقس الرسول هو مؤسّس مدرسة إسكندريّة المسيحيّة، وجاء في المصادر والمراجع القبطيّة أن الرسول في أواخر حياته أقام يسطس عميدًا للمدرسة، هذا الذي عاصر الأربعة البطاركة الذين خلفوا مار مرقس حتى رسم هو بطريركًا للإسكندريّة عام ١٢١م.

ويمكننا أن نأخذ صورة لحال المدرسة في أيّامه ممّا ورد عن البابا أنيانوس البطريرك الثاني، الذي سامه القدّيس مار مرقس الرسول، أنه قد اهتم بالمدرسة، فكان جميع الملتحقين بها زاهدين في الدنيا، لا يكترثون بشيء من حطامها، بل ينشغلون بالله وحده. ومن ثمّة كان جميعهم متّحدين بمحبّة خالصة، وفائزين بسلام الروح السماوي، ليس بينهم فقير أو غني، إذ كان الأغنياء منهم يعطون أموالهم للفقراء، ليفكر كل واحد منهم كيف يكون غنيًّا بالله. ولم يكونوا يتناولون مأكلاً سوى مرّة واحدة كل يوم بعد الغروب... كان ذلك للرجال والنساء على حد سواء[٢].

من هذا يمكننا القول بأن أهم سمتين للمدرسة في ذلك الحين هما: امتزاج الدراسة بالحياة الروحيّة العمليّة من صلاة وصوم وعطاء. وانفتاح لتضم بين صفوفها الجنسين معًا بلا تمييز.

[1] De Viris Illustribus, 36.

[٢] الشمّاس (القس فيما بعد) منسّى القمص: تاريخ الكنيسة القبطيّة، ١٩٢٤م، ص٢١.

٢. أومانيوس

أحد رجال الإسكندريّة الأتقياء، خلف يسطس في رئاسة المدرسة، كما خلفه في البطريركيّة.

لا نعرف عن أقواله أو كتاباته شيئًا، لكنه عرف بالعفّة وعاش بتولاً؛ اشتهر بسيامة عدد كبير من القسوس للخدمة في الكرازة المرقسيّة، أرسلهم إلى كل جهات القطر المصري والنوبة والخمس مدن الغربيّة لنشر الإيمان المسيحي[١].

في عهده اشتدّ اضطهاد أدريان على المسيحيّين فنال كثير من الأقباط إكليل الاستشهاد، من بينهم القدّيسة صوفيّا من منف، التي نقل الإمبراطور قسطنطين جسدها إلى القسطنطينيّة، وشيّد الكنيسة التي باسمها "آجيّا صوفيّا".

٣. مركيانوس

ولد بالإسكندريّة وعُيّن مديرًا للمدرسة، كما سيم بطريركًا عام ١٤٤م، وقد ثابر في وقت اشتد فيه الاضطهاد من القصر أنطونيوس. رقد في الرب في ٦ طوبة عام ١٥٤م.

[1] سليم سليمان: مختصر تاريخ الأمة القبطيّة، ١٩١٤م، ص٣٥٦.

٢

أثيناغوراس الفيلسوف

المدافعون

حديثنا عن الفيلسوف أثيناغوراس كرئيس مدرسة الإسكندريّة يستلزم أن نأخذ فكرة سريعة عن "المدافعون The Apologists" بكونه واحدًا منهم.

لقد وجد الدفاع – في معناه الواسع – قديمًا قدّم المسيحيّة ذاتها، إذ بذل الكارزون بالإنجيل كل جهدهم في البرهنة على حق الإنجيل والإجابة على الاعتراضات الموجّهة ضده[١]. كان حديث الشمّاس الأول أسطفانوس أمام مجمع السنهدريم (أع ٦، ٧) حديثًا دفاعيًا، وهكذا أيضًا خطاب الرسول بولس أمام فستوس (أع ٢٤)، وجاءت أعمال الشهداء أمثلة حيّة في الدفاع عن الإيمان المسيحي بكل مجاهرة أثناء محاكماتهم.

بقدر ما اتّسعت المسيحيّة – منذ بدء انطلاقها – بالروح المسكوني، فلم ترتبط بثقافة معيّنة أو أُمّة خاصة... وجدت نفوس عطشى للإيمان من أصل يهودي ورومانى ويوناني ومصري وسرياني الخ. هذا الأمر شكّل خطرًا يهدد كيان الدولة الرومانيّة التي وإن أظهرت تسامحًا في ترك الدول التابعة لها أن تمارس عبادتها المحليّة ونشاطها الثقافي المحلّي، لكنها أرادت أن تسود بعبادتها الرومانيّة وثقافتها لكي تضمن ولاء الدول لها. لهذا اتّهم المسيحيّون بالخيانة للإمبراطور... خاصة وأنهم كانوا يرفضون السجود لتمثال الإمبراطور والتعبّد له. ومن جانب آخر، هاجمت الجماهير المسيحيّين إذ رأوا فيهم احتقار لمشاعرهم الشعبية بسبب إحجامهم عن المشاركة في الاحتفالات الدينيّة العامة. هذا وقد كرس بعض الكتّاب والفلاسفة من يهود وأممين جهدهم للهجوم على المسيحيّة والمسيحيّين، يتّهمونهم بالكُفر والإلحاد، ويفترون على إنجيلهم، وينسبون إليهم اتّهامات أخلاقية، بجانب الخيانة للإمبراطور واحتقار الجماهير. ولعلّ أهم هؤلاء الكتّاب هم لوسيان الساموسالطي Lucian of Samosata والفيلسوف فرنتو من Cirto معلّم الإمبراطور مرقس أوريليوس والأفلاطوني كلسس...

وكما تقدّم كثير من المسيحيّين من كل الفئات والأعمار والثقافات للاستشهاد بفرح، انبرى أيضًا بعض الكتّاب المسيحيّين يدافعون عن الإيمان المسيحي والمسيحيّين، هؤلاء دعوا "المدافعون"، ظهروا على وجّه الخصوص في القرنين الثاني والثالث، ووضعوا أمامهم ثلاثة أهداف[٢]:

١. الرد على الاتّهامات العامة، خاصة الاتّهام بأن الكنيسة تمثّل نكبة على الدولة. فقد أكّد هؤلاء المدافعين أن الإيمان المحيي يمثّل قوّة تسند سلام الدولة وتعمل على رفاهيّتها، لا لصالح الإمبراطور والدولة فحسب بل والحضارة أيضًا.

[1] Lebreton, P. 443.

[2] Quasten: Patrology, Vol 1, P. 186, 187.

٢. كشفوا عن لا أخلاقيات الوثنيّة وضلال أساطيرها، كما أعلنوا عن الإيمان المسيحي بكونه وحده القادر أن يقدّم فهمًا صحيحًا بخصوص الله والعالم والإنسان. لقد دافعوا عن العقائد الرئيسيّة مثل وحدانيّة الله، لاهوت السيّد المسيح، قيامة الموتى الخ... كما حملت كتاباتهم روحًا كرازيًا، فاهتمت بجذب القارئ ليقبل الحق ويتفهمه. دعته، بلغة ذلك العصر خلال الفلسفة، لقبول الإيمان الجديد، وكشف له عن جمال الحياة المسيحيّة وعفّتها...

٣. تحدّثوا عن الفلسفات بكونها اعتمدت على العقل البشرى وحده، فحملت جانبًا من الحق، لكن ليس كل الحق، كما امتزج هذا الجزء من الحق بأخطاء كثيرة، أما الإيمان المسيحي فقدّم الحق خلال اللوغوس "كلمة الله" الذي نزل على الأرض معلنًا الحق الإلهي للبشر. لهذا فلا وجّه للمقارنة بين المسيحيّة والفلسفة اليونانيّة، فالأولى إلهيّة والثانية بشريّة.

وفيما يلي صورة مختصرة جدًا عن أهم المدافعين المسيحيّين الأوّلين:

١. **القدّيس كوادراتس St. Quadratus:** يعتبر أقدم المدافعين المسيحيّين، كتب دفاعه عن الإيمان المسيحي في آسيا الصغرى، موجّها إيّاه للإمبراطور هادريان[1]. في هذا الدفاع هاجم آلهة اليونان ومصر الوثنيّة، كما ذم الأخلاق اليونانيّة الوثنيّة. يرى J. R. Harris أن الدفاع قدّم للإمبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨-١٣٦م) في بداية حكمه.

عرفه **القدّيس جيروم**[2] كأسقف لأثينا، عاش في أيّام حكم مرقس أوريليوس، وهو أمر مرفوض تمامًا[3].

٢. **أرستيديس Aristides:** من رجال القرن الثاني، فيلسوف مسيحي ومدافع من أثينا. قرريوسابيوس[4] أنه كالمدافع السابق له، قدّم دفاعه لهادريان، ولو أن البعض يرى أنه قدّمه لأنطونيوس بيوس.

في دفاعه أوضح أن المسيحيّين لهم أدراك لطبيعة الله بطريقة أكمل ممّا للبرابرة واليونان واليهود، وأنهم وحدهم يحبونه حسب وصاياه. دافع فيه عن وجود الله وأبديّته، كما شمل التماسًا وجّهه إلى جميع الذين ليس لهم معرفة الله أن يقتربوا إلى الإيمان المسيحي ليكونوا مستعدين للظهور أمام قضاء الله[5].

٣. **أرسطون Ariston of pella:** يبدو أنه أول مسيحي دافع عن المسيحيّة ضدّ اليهود كتابة. وقد جاء دفاعه (حوالي عام ١٤٠م) في شكل حوار بين جاسون المسيحي من أصل يهودي وبابيسكوس Papiscus يهودي إسكندري، ولا نعرف إن كانت هاتان الشخصيتان حقيقيّتين أم رمزيّتين.

٤. **الشهيد يوستين ST. Justin the Martyr:** (حوالي ١٠٠-١٦٤م). ولد في فلافيا نابوليس بفلسطين من أبوين وثنيّين. التحق بمدارس فلسفيّة لعلّها تقدر أن تشبعه حتى انتهي بحثه بالإيمان المسيحي.

فتح مدرسة في روما تتلمذ فيها تاتيان وربّما أيضًا ميلتيادس.

[1] Oxford Dict. of the Christian Church, P. 1149, 84. Eusebius: H.E. 4:3:1,2.

[2] St. Jerome: De Viris Illustribus 19: Epis. 70:4.

[3] Quasten: Patrology, vol 1, P. 191.

[4] Euseb.: H. E. 4:3:3.

[5] F. L. Cross: The Early Christian Frs, London 1960, P. 47

كتب دفاعين وحوار من اليهودي تريفو، وفي كتاباته لم يفرّق القدّيس بين اللاهوت والفلسفة بطريقة دقيقة[1].

٥. تاتيان السرياني Tatian the Syrian: ولد عام ١٣٠م. من أبوين وثنيّين، وتعلّم البلاغة والفلسفة، وقبل الإيمان المسيحي في روما ما بين ١٥٠و ١٦٥م، وتتلمذ على يديّ القدّيس يوستين، لكنه اختلف عنه في آرائه.

عُرف بالتطرّف في آرائه، فقد علّم بالرفض التام لكل فلسفة يونانية، وأظهر امتعاضه حتى للحضارة اليونانيّة من فن وعلم ولغة، لكنه لم يقدر أن يتخلص من الفكر اليوناني تمامًا. وإذ عاد إلى الشرق سقط في بدعة فالنتينوس الفنوسي، ثم عاد وانتمى إلى طائفة الإنكراتيّين Encratites الذين يمتنعون عن شرب الخمر حتى استعاضوا عنه بالماء، في سَّر الأفخارستيّا ويحرّمون أكل اللحوم وينظرون إلى الزواج زنا، ويحرّمون على النساء استخدّام الحَّليّ.

كتب "مقالاً لليونانيّين"، في هذا المقال لم يهدف للدفاع عن المسيحيّة بقدر ما كان يدعو لمدرسته.

٦. ميلتيادس[2] Miltiades: خطيب ولد في آسيا الصغرى، معاصر لتاتيان، وربّما كان تلميذًا للقدّيس يوستين. وضع عدة أعمال دفاعيّة: واحد ضدّ اليونانيّين، والآخر ضدّ اليهود، والثالث "للسلاطين الحاكمة" مدافعًا عن الفلسفة التي اتبعها كما كتب أيضًا ضدّ الغنوسيّة والمونتانيّة.

٧. القدّيس أبوليناريس[3] ST. Claudius Apollinaries: أسقف هيرابوليس بفريجيّا. من رجال القرن الثاني. مدحه معاصروه كثيرًا بسبب سموّ معرفته وفضائلة[4]. كتب سلسلة من الكتب الدفاعيّة.

٨. ثيوفيلس أسقف أنطاكيّة[5]: اجتذبته القراءة في الكتاب المقدّس إلى الإيمان المسيحي. كتب دفاعه حوالي عام ١٨٠م في ثلاثة كتب وجّهها إلى صديقه الوثني أوتوليكس Autolucum، حيث أظهر الفكر المسيحي لله وسموّ التعليم بالخليقة، منددًا بالأساطير الدينيّة الأمبليّة. يؤخذ عليه عدم دقّته في عرض آراء الفلاسفة اليونانيّين.

٩. ميليتو Melito أسقف ساردس: أحد أقطاب الكنيسة في القرن الثاني[6]، غزير في علمه. وجّه دفاعه للإمبراطور مرقس أوريليوس ما بين عامي١٧٠-١٧١م.

١٠. الرسالة إلى ديوغنيتس Diognetus: هي دفاع عن المسيحيّة في شكل رسالة موجّهة إلى أحد الوثنيّين، ذي شأن، يسمّى ديوغنيتس. لا يعرف على وجه التحديد من هو الكاتب، ولا من الذي أرسلت إليه. وهي تحمل اتجاهات أرستيديس، كما استخدم الكاتب عبارات وردت في القدّيسين إيريناؤس وهيبوليتس الروماني.

١١. مينوكيوس فيلكس Minucius Felix: أفريقي، من رجال القرن الثاني أو الثالث. كتب باللاتينية دفاعًا عن المسيحيّة في شكل حوار بين أوكتافيوس المسيحي وكاسليوس الوثني، انتهي بقبول الأخير

[1] د. وهيب عطا الله (نيافة الأنبا غريغوريوس): الفلسفة المسيحيّة، ص٦.

[2] Euseb.: H.E. 5:17:5.

[3] Ibid, 4:27.

[4] Rev. B. Schmid: Manual of Patrology, 1903,P. 99.

[5] Eused.: H.E. 4:50

[6] Ibid 5: 24:5. Schmid, P. 100.

الإيمان. في هذا العمل يفنّد الكاتب الاتّهامات الموجّهة ضدّ المسيحيّين، مهاجمًا الأساطير الوثنيّة، لكنه قليل الحديث عن التعاليم المسيحيّة.

ولفيلكس عبارته المشهورة: "ليست بلاغة أعظم من الحياة"، معلنًا أن الحياة المسيحيّة هي أعظم شهادة للحق وفوق كل بلاغة.

يرى بعض المؤرّخين أن فيلكس جاء بعد ترتليان واعتمد عليه.

١٢. ترتليان: أحد الآباء الكنيسة الأفريقيّة، نشأ في قرطاجنّة، حيث تعلّم الأدب والبلاغة ومارس المحاماة. قبل الإيمان المسيحي قبل عام ١٩٧م، لكنه سقط في البدعة المونتانيّة[١]. أخذ موقفًا معاديًا للفلسفة، إذ يقول في دفاعه: "أي شركة بين الفيلسوف والمسيحي؟! بين تلميذ اليونان حليف الباطل وتلميذ السماء عدوّ الباطل وحليف الحق؟!" (دفاع ٤٦).

١٣. هرمياس Hermias: لا نعرف شيئًا عن حياته. وضع مقالاً قصيرًا يسمّى Irrisis أو "سخرية بالفلاسفة الوثنيّين"، فيه ينقض آراءهم في النفس وفي العناصر الأساسيّة للعالم. تعتبر كتاباته ضعيفة.

١٤. أقوال سكتوس: قام روفينوس بترجمة ١٤٥ قولاً له إلى اللاتينيّة؛ قدّمه كفيلسوف فيثاغوري أسقفًا لروما وشهيدًا (٢٥٧–٢٥٨م)، لكن القدّيس جيروم نفي ذلك بشدة. وقد مالت أقواله بالأكثر إلى الجانب الأخلاقي التي تحكم الحياة، وهي تذكرنا بفلسفة الحياة عند القدّيس أكليمنضس الإسكندري[٢].

+++

بعد عرضنا في اختصار لحياة بعض المدافعين المسيحيّين الأول نتحدّث عن الفيلسوف أثيناغوراس كرئيس لمدرسة الإسكندريّة وأحد المدافعين الأول.

[١] ادعى مونتانيوس أنه البارقليط الموعود به في الإنجيل.

[2] Quasten: Patrology, vol 1, P. 171.

أثيناغوراس الفيلسوف

تجاهل المؤرّخين له

كان أثيناغوراس شخصيّة فلسفيّة كبيرة، ومع ذلك أغفله المؤرّخون الأول أمثال يوسابيوس وجيروم. وحتى كتاب "الدفاع" الذي وضعه كالتماس للإمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس وابنه شريكه في الحكم كومودوس انتشر خلوًا من اسمه، ونسب خطأ للقدّيس يوستين قبل القرن الرابع[١]. لكن الشهيد ميثوديوس أسقف أولمبياس[٢] إذ اقتطف فقرات منه في كتابه: "عن القيامة" نسب الكتاب إلى العلامة أثيناغوراس[٣]. عاد القدّيس أبيفانيوس[٤] وفوتيوس[٥] فاقتبسا النص ذاته. وقدّم فيلبس الصيدوي[٦] Philip of Side معلومات هامة عن أثيناغوراس، ولو أن معلوماته بصفة عامة لا يمكن الاعتماد عليها[٧]. استقى معلوماته عن أثيناغوراس بلا شك عن أستاذه العلامة رودن Rhodon، آخر مدير لمدرسة الإسكندريّة في حكم الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير.

حياته

لا نعرف الكثير عن حياته، لكنه كان فيلسوفًا يرأس إحدى كراسي الأكاديميّة "الموزيم Museum" بالإسكندريّة، ويعتبر من أساطين الديانة الوثنيّة. كان مولعًا بالبحث في أمر الديانة المسيحيّة كغيره من الفلاسفة الأفلاطونيّين طمعًا في كشف أخطائها وإظهار فسادها[٨]. وإذ أراد أن يضرب بسهام نقده بكل قوّة عكف على دراسة الكتاب المقدّس، لكن الروح القدس أمسك به بقوّة وعوض أن يخرج بجلداته ضدّ الإيمان المسيحي إذا به ينجذب للإيمان حوالي عام ١٧٦م. وإذ قبل المعموديّة والتصق بالمسيحيّين أدراك سموّ الحياة الإنجيليّة فكتب دفاعه عن المسيحيّة والمسيحيّين.

لشخصيّة أثيناغوراس أهمية خاصة، فهو أول فيلسوف أهّلته غيرته الشديدة واجتهاده في الدراسة أن يصير عميدًا لمدرسة إسكندريّة اللاهوتية دون أن يخلع عنه زي الفلاسفة[٩] the philosopher pallium. ويعتبر أول مسيحي معروف حمل مع إيمانه حنوًا نحو الفلسفة.

كتاباته

وضع العلامة أثيناغوراس عملين هامين هما: التماسه أو شفاعته (ابريسفيّا) عن المسيحيّين، عن القيامة من الموتى.

[١] د. وهيب عطا الله: أثيناغوراس الفيلسوف المسيحي، ١٩٦١، ص١.

[٢] استشهد عام ٣١١م.

[3] J. H. Crehan: Athenagoras (Ancient Christian Writers,) vol 23, London 1956, P7, 120.

[4] St. Epiphanius: Ad Haer 64:21 PG 41:1101.

[5] Photius: Bibi. Cod. 234. PG 63:1109.

[٦] من رجال القرن الخامس، شمّاس للقدّيس يوحنا الذهبي الفم.

[7] Socrates: H.E. 7:27 PG 67:800, 801.

[8] Buoher: Story of Church of Egypt, Lonon 1897, P. 43.44

[9] William Schoedel: Athenagoras, Oxford, 1975, P LX.

تلمس في كتاباته العقل الفلسفي الذي هذّبته الثقافة اليونانيّة مع ملكة رائعة في الكتابة[1]. قال عنه Donaldson: "أنه اقتبس شعرًا (يونانيًا) لكن الهدف كان واضحًا نصب عينيه، لم يستعرض قط إمكانيّة، ولا يشتّت ذهن قارئه"[2].

أولاً: التماسه (دفاعه) عن المسيحيّين:

١. جاء هذا العمل الرائع في مادته وشكله ثمر عمل روح الله في حياته وهو يدرس الكتاب المقدّس بقصد الهجوم عليه. أما عنوان العمل فهو: "شفاعة عن المسيحيّين"، يحوى ٣٧ فصلاً، يبدو أنه قام برحلة لتقديم هذا الالتماس للإمبراطورين الفيلسوفين مرقس أوريليوس أنطونيوس (١٦١-١٨٠م) وابنه شريكه في الحكم كومودوس Commodus.

٢. كان أثيناغوراس معاصرًا للمدافع تاتيان تلميذ يوستين، لكنه اختلف في دفاعه عن الاثنين من جهة:

أ. نظرته إلى الفلسفة اليونانيّة والثقافة الهيلينيّة أكثر حنوًا من تاتيان[3]، كما لم يحمل مشاعر يوستين النابضة بالكراهية للفلسفة، بل استخدم عبارات تكشف عن حكمة اليونانيّين، ولو أنه في النهاية برهن على وجود تضارب فيما بينها، لأن الفلاسفة يستنبطون حججهم بالبحث بذواتّهم، أما الأنبياء إذ يدفعهم روح الله يستطيعون أن يقدّموا شهادة جماعية غير متضاربة للحق الإلهي (دفاع ٧: ١).

لقد تحدّث عن المسيحيّة وكأنها على قدّم المساواة مع الفلسفة. من هذه النقطة طالب الدولة بالسماحة مع المسيحيّين. لكن في رأيه أن المسيحيّة ليست عقلانيّة كما أراد يوستين من قارئيه أن يعتقدوا، إنّما هي إعلان إلهي فريد في نوعه. حماس النشوة النبويّة لم يكن برهانًا بشريًا إنّما هو إعلان للحق المطلق[4] (دفاع ٩).

ب. كان أقدر من يوستين في اللغة والأسلوب وترتيب المادة، بل كان أكثر المدافعين المسيحيّين، بلاغة بلا جدال[5]. قال عنه Mansel Spencer أنه أفضل المدافعين، بليغ ومتحرّر من زخرف اللغة، قوي في أسلوبه... معروف بوضوح الفكر وقدرته على الإفحام[6]، كما وصف أنه أقدر المدافعين على الاستمالة[7].

ج. امتاز عن يوستين باعتداله وتعقّله، فلم يكتب بطريقة وعظيّة، بل كان يهدف بوضوح إلى تقديم حكم في قضيّة المسيحيّين بطريقة هادئة غير عاطفيّة[8]. كتب باسم الفلسفة وباسم العدالة التي اشتهر بها الإمبراطوران، مدلّلا على بطلان الاتّهامات الموجّهة ضدّ المسيحيّين من الوشاه، وربّما قصد بهم السوفسطائيّين أمثال كريسكتس Crescens، وفرونتون Fronton، وكلسس[9] Celsus، ودن أن يتّهم الإمبراطورين بالظلم، إذ يعلم أن غلاظة القول إنّما تزيد الحقد.

[1] Schmid: Manual of Patrology, P 97.

[2] Schaff, vol 2, P. 732.

[3] Quasten: Patrology, vol 1, P. 229.
Eusebius, London 1974, P. 398.

[4] Hanz Lietzmann: A History of the Early Church, London 1974, vol 2, P. 186, 187.

[5] Quasten; Patrology, vol 1, P 279.

[6] Schaff, vol 2, P. 732.

[7] J. Stevenson. A New Eusebius, London 1974. P 398.

[8] Philip Carrington: Early Christian Church, vol 2, P. 239.

[9] الأنبا غريغوريوس: أثيناغوراس الفيلسوف ص ٨.

تظهر رقته في الأسلوب واعتداله في قوله أن العالم كله – مدنًا وأفرادًا – يتمتّعون بحسن معاملتكما. المسيحيّون وحدهم مضطهدون بسبب إشاعات وأقاويل... "إذا استطاع أحد، حقًا، أن يثبت علينا جريمة، صغيرة كانت أو كبيرة، فإننا لا نطلب أن نُعفي من العقوبة، بل نحن على استعداد أن نحتمل أشد عقاب أو أقصاه" (دفاع ٢).

٢. في هذا الاحتجاج فند أثيناغوراس الاتّهامات الثلاثة التي وجّهت ضدّ المسيحيّين في ذلك الحين ألا وهي: الإلحاد، أكل لحوم البشر، ممارسة المعاشرات الأودبيّة. أما علة اتّهاماتهم فغالبًا ما ترجع إلى الأسباب التالية:

أ. رفض المسيحيّين الاشتراك في الطقوس الشعبيّة التقليديّة الخاصة بأعياد الآلهة. لهذا اتّهموا بكراهيتّهم للآلهة والإلحاد، كما اتّهموا باحتقارهم الشعوب الأخرى وعدم ولائهم للإمبراطور.

ب. أساء الوثنيون فهم "سرّ الأفخارستيّا"، فظنوا فيهم آكلي لحوم البشر.

ج. الاجتماعات المغلقة الخاصة بممارسة الليتورجيّات السرائريّة مع وجود علاقات وطيدة بين المسيحيّين وبعضهم البعض، واشتراك الجنسين معًا حتى في الدراسة في مدرسة الإسكندريّة، هذا كله أدّى إلى تشكّك الوثنيّين في أمر هذه الاجتماعات، لهذا اتّهموا بالمعاشرات الأودبية حتى يحطّموا هذه الاجتماعات المغلقة ويعرفوا أسرارها.

٣. من جهة الاتّهام بالإلحاد أكّد أثيناغوراس أن المسيحيّين وإن كانوا لا يؤمنون بتعدّد الآلهة لكنهم يؤمنون بالله الواحد. هذه الوحدانيّة ليست غريبة عن الفكر اليوناني، بل وجدت لدى بعض شعرائهم وفلاسفتهم، ومع ذلك لم يتّهموا بالإلحاد (فصل ٦)، مع أن براهينهم التي قدّموها ضعيفة، أما المسيحيّون فقد تقبّلوا إعلانًا إلهيًا وتعليمًا خلال الأنبياء بواسطة الروح القدس. بجانب هذا وجدت البراهين العقليّة جنبًا إلى جنب مع إيمانهم، فالمسيحي يقبل الله بطريقة أكثر نقاوة وكمالاً ممّا لكل الفلاسفة.

المسيحيّون لا يعبدون آلهة كثيرة، ولا يقدّمون ذبائح دمويّة، ولا يعبدون العالم، بل خالقه (فصل ٨، ٩، ١٦). يؤمنون بالله السرمدي الروح الذي هو: "الآب والابن والروح القدس" (فصل ١٠).

٤. أما عن الاتّهامات بأنهم أكلة لحوم البشر فيقول أنه لو كان هذا حق التزم الأمر ارتكاب جرائم قتل؛ لكن المسيحيّون يفزعون حتى من رؤية من يحكم عليهم بالإعدام، كأنهم يشتركون في جريمة القتل مع منفذ الإعدام (فصل ٣٥). يقول أيضًا كيف يفعلون هذا وهم لا يطيقون مشاهدة ألعاب المصارعة مع السباع والحيوانات الضاريّة التي يتلذّذ الوثنيّون بمشاهدتها؟! ويدلّل على كذب هذا الاتّهام من أن المسيحيّين يعتبرون النسوة اللائى يستعملن العقاقير لإسقاط جنين قتلاً يسألن عنه أمام الله. أخيرًا فإن المسيحيّين وهم يؤمنون بقيامة الأجساد كيف يجعلون من أنفسهم ضريحًا لأجساد لابد أن تقوم؟!

٥. أوضح الفيلسوف أن أخلاق المسيحيّين العاليّة تدرأ عن الاتّهام الظالم من جهة المعاشرات الأودبية، إذ يعتقدون أن الله ينظر أفكارهم وحرّكات قلوبهم ونظراتهم. إن هذا الاتّهام يصدق على الوثنيّين الذين نظموا قصصًا من هذا النوع عن آلهتهم، فقالوا أن زيوس انجب أولادًا من أمه ريا وابنته كوريا واتخذ أخته زوجة (فصل ٣٢).

أكّد أيضًا كذب الاتّهام من الاحترام المتبادل بين المسيحيّين بعضهم البعض. ونظرتهم المقدّسة للزواج، رفضهم الطلاق، وحبّهم للحياة البتوليّة.

٦. أوضح أيضًا إخلاص المسيحيّين للحكام، فهم يصلّون من أجل خير المملكة وثباتها ودوام انتقال التاج الإمبراطوري في النسل الملكي.

٧. في دفاعه تخطّى الدفاع إلى الكرازة، فوجد الفرصة سانحة إعلان الحق أمام الإمبراطورين وكل من يقرأ الاحتجاج... يعلن الحق مؤيدًا بدلائل مقتبسة من أقوال الشعراء والفلاسفة مع قليل من نصوص الكتاب المقدّس؛ فهو يحدّثهم بلغة العصر التي يفهمونها.

٨. في دفاعه اهتم بإبراز سموّ الحياة المسيحيّة. استخدم العلامة أوريجين ذات البرهان فيما بعد بقوّة في دفاعه ضدّ صلسس. فإن المسيحيّة وحدها تستطيع أن ترفع القطيع الصغير إلى الفضيلة العالية، الأمر الذي يعجز الفلاسفة عن البلوغ إليها[١].

ثانيًا: عن قيامة الموتى

يحوى هذا المقال ٢٥ فصلاً، ويعتبر أول محاولة يقوم بها كاتب مسيحي ليؤكّد عقيدة القيامة ببراهين فلسفيّة وليس بدلائل من الكتاب المقدّس وحده... ويعتبر من أفضل ما كُتب في هذا الشأن في الكتابات المسيحيّة الأولى[٢]. وبالرغم ممّا يشوبه من بعض العيوب، لكنه يكشف عن عمق في الإدراك ومهارة في التفكير[٣].

أما سبب كتابة هذا المقال فهو نظرة رجال عصره إلى قيامة الأجساد في شيء من الشك، حتى كانت هذه العقيدة حجر عثرة أمام الناس في اعتناقهم الإيمان المسيحي. هذا ما نلمسه في ردود الفعل تجاه تصريحات بولس عن القيامة في محكمة أريوس باغوس بأثينا. كان بعضهم يهزءون، والآخرون يقولون سنسمع منك عن هذا مرّة أخرى (أع ١٧: ٣٢). هذا وقد عرف المضطهدون أن سّر قوّة المسيحيّين واحتمالهم العذابات بفرح هو رجاءهم في القيامة، لذلك كانوا يبذلون كل الجهد أن يبدّدوا ذخائر الشهداء لا ليحرموا المؤمنين من اقتنائها فحسب، إنما كانوا يظنّون أنهم بهذا يبدّدون رجاء المسيحيّين في قيامة الأجساد[٤].

ينقسم هذا المقال إلى جزئين رئيسيّين: الأول (فصل ١-١٠) يمثّل الجانب السلبي، ألا وهو الرد على اعتراضات الفلاسفة ضدّ قيامة الأجساد. والثاني (فصل ١١-٢٥) يمثّل الجانب الإيجابي، ألا وهو تقديم البراهين على حقيقة القيامة. هذا ويمكن القول بأن الجزء الأول يعرض موضوع "الله والقيامة"، أما الجزء الثاني فيعرض "الإنسان والقيامة".

١. في الجزء الأول أوضح أن اعتراضات الفلاسفة على القيامة تقوم أما بسبب نقص معرفة الله أو قدرته أو مشيئته في القيامة. فمن جهة المعرفة فإن الله الذي يخلق الأجساد يعرف أن يقيمها. ومن جهة القدرة فإنه إذ يقدر أن يخلق من العدم ألا يقدر أن يعيد تكوينها حتى إن تحللت أو تناثرت أو اندمجت عناصرها في الأرض أو في النبات أو الحيوان أو في الإنسان. أما من جهة المشيئة، فإن الله لا يشاء القيامة أما خوفًا من أن

[1] Lebreton, P. 482.

[2] Altaner: Patrology, P. 130.

[3] Schmid, P. 97.

[4] Lebreton: p. 483.

يلحق بالقائم من الأموات ظلمًا أو لأن في القيامة ما يشين الله. والحق أن القائم من الأموات لا يلحقه ظلم ولا تشين القيامة الله في شيء.

٢. يعطي في الجزء الثاني دلائل على القيامة خلال علاقتها بالإنسان:

أ. القيامة ضروريّة للإنسان الذي خلقه الله كائنًا عاقلاً ليعيش إلى الأبد (١١-١٣).

ب. يتكوّن الإنسان من الجسد والنفس، هذه الوحدة يحطّمها الموت لتعيدها القيامة من جديد فيحيا إلى الأبد (١٤: ١٧).

ج. ينبغي أن يشترك الجسد مع النفس في المكافأة في العالم الآتي كما اشتركا معًا في التصرفات هنا (١٨-٢٣).

د. خلق الإنسان من أجل السعادة الأبديّة التي لا تتحقّق بوجوده هنا على الأرض، وإنما في الحياة الأخرى (٢٤-٢٥).

أفكاره ولاهوتياته

١. الله

يعتبر أول مفكّر مسيحي حاول أن يبرهن على وحدانيّة الله بطريقة فلسفيّة علميّة[١]، مستشهدًا بأدلّة من الفلاسفة عن وحدانيّة الله التي شهد عنها الأنبياء (دفاع ٥-٩).

تحدّث عن الله كخالق العالم (دفاع ١٩)، يديره في إبداع (دفاع ١٦، ٢٥). هو روح بسيط غير مركب، سرمدي، كامل في كل شيء، قادر على كل شيء (دفاع ٢٧).

في حديثه عن الله الواحد تحدّث عن الثالوث القدوس كجوهر واحد، الآب هو العقل والابن هو اللوغوس (الكلمة غير المخلوق)، واحد مع الآب منذ الأزل، والروح القدس. تحدّث بإدراك كامل ودقيق لوحدانيّة الله، وحدة الثالوث وتمايزه[٢]. وقد حذر أثيناغوراس من فهم "الآب والابن" بطريقة فلسفيّة، كما أكّد أن "الابن" لا يعني خروجّه عن الآب في وقت ما، وإنّما هو كائن معه أزليًا (دفاع ١٠: ٢).

يقول أيضًا أن عمل المسيحيّين الأساسي هو: "أن يروا ما هي وحدة الابن في علاقته بالآب، وما هي شركة الآب مع الابن، وما هو الروح، وما هي وحدانيّة هؤلاء والتمايز بين المتّحدين: الروح والابن والآب" (دفاع ١٢، ١٠).

أما عن الروح القدس فيقول: "نحن نؤكد أن الروح القدس نفسه الفاعل في الأنبياء، إنّما هو فيض من الله، يصدر عنه، ويرتد إليه كشعاع من الشمس" (دفاع ١).

٢. الملائكة

إيماننا بالملائكة كخلائق سماويّة خادمة لله وتهتم بالخليقة – في نظر أثيناغوراس– جزء لا يتجزّأ من الإيمان العام، فبعد دفاعه عن الاتّهام بالإلحاد أضاف: "على أن تعليمنا فيما يختص بالطبيعة الإلهيّة لا يقف عند هذا الحد، فنحن نسلم أيضًا بجمهور من الملائكة والخدّام" (دفاع ١٠: ٣). وكأن إيماننا بالله ليس كائنًا منعزلاً عن الخليقة السماويّة والأرضيّة! السمائيّون –عند أكليمنضس– هم كائنات سامية أقامها الله لحفظ الكون، تعلن عن تدبير الله ورعايته، أعطاها الله –خلال كلمته– أن تعتني بالعناصر والسموات والأرض وما عليها حسن تدبيرها جميعًا (دفاع ١٠).

جاء هذا التعليم عن التقليد اليهودي، وقد أخذ به القدّيسان إيريناؤس وغريغوريوس أسقف نيصص، ودعاه "تقليدًا"[٣].

٣. الإنسان

[1] Quasten: Patrology, Vol 1, P 232.
Oxford Dict. of the Christian Church, P 103.

[2] J. F. Bethune - Baker: An Introduction to the Early History of Christan Doctrine, London 1920, P 128-9.

[3] J. Danièlou: Les Anges et leur Mission, Chevetogne, 1953, P 62-7.

اختلف أثيناغوراس عن أفلاطون، فالأول يرى الإنسان نفسًا وجسدًا وحدة واحدة، ما يصدر عنه يشترك فيه النفس والجسد معًا، أما الثاني فيرى الإنسان مجرّد نفس تستخدم الجسد[1]...

يرى أثيناغوراس في أعضاء الجسد آلات خلالها تتم الأفعال، وبها تظهر الأفكار والأقوال؛ لكنها تشترك مع النفس في المسئوليّة. لهذا لا تقوم العبادة الكاملة بغير شركة الجسد مع النفس، ولا تكون الدينونة عادلّة إن لم تقع على الاثنين (دفاع ٢٧، قيامة الموتى).

٤. حقوق الجنين

في الوقت الذي كان فيه القانون لا يعامل الجنين ككائن له حقوقه، إذا بأثيناغوراس يكشف عن تعليم الكنيسة في ذلك الحين، أن الجنين كائن له حق الحياة، فإذا استخدمت عقاقير لإجهاضه يكون ذلك جريمة قتل.

٥. الشرّ

يرى أثيناغوراس أن بعض الملائكة سقطوا في الشرّ بمحض اختيارهم، وذلك بتعدّيهم السلطان المعطى لهم، وذلك بسقوطهم في الشهوات مع بنات الناس واستعبادهم للّذة البهيميّة.

أن تأملت نفس الإنسان الحق، وتطلّعت نحو الآب صار الإنسان روحانيًا. أما علّة شرّه فهو انصرافه عن هدفه الأصلي من وجوده (قيامة ٢٤)، وارتكابه في الماديّات (دفاع ٢٧). بهذا تفقد النفس سموها وتمتلكها الشياطين فتلقى فيها أفكارًا مضلّلة.

٦. الحرّيّة الإنسانيّة

إذ يضع المسيحيّون – مثل أثيناغوراس – الخالق كمركز لفلسفتهم يلزمهم تأكيد أهمية الإنسان وحرّيّة إرادته[2] (دفاع ٢٤-٢٥).

هذه الحرّيّة تجعلنا أمام مسئوليّة، فندان عن كل تصرف يصدر عنّا. فإن سقط الإنسان في الشرّ يدان، فيلقى في نار أبديّة لأن نفسه لا تفنى، وإن أرضى الله يعيش الإنسان في حياة أبديّة سماويّة.

٧. الوحي الإلهي

يعتبر أثيناغوراس شاهد ممتاز للتعليم بالوحي[3]: "سلك الشعراء في هذا الموضوع كما في غيره سبيل الحدس والتخمين، وقد اندفع كل منهم بنفسه، محاوّلين أن يجدوا الحق وأن يدركوه، مدّعين أنهم على اتصال بالهام من قبل الله، لكنهم لم يكونوا أهلاً بالتمام لإدراك الحق، إذ حسبوه من اللائق أن يتعلموا عن الله لا من الله نفسه بل كل يتعلّم من ذاته. لهذا انتهي كل منهم إلى رأي خاص فيما يختص بالله والمادة وشكلها والعالم. أما من جهتنا نحن فلنا الأنبياء شهودًا على صحّة ما نرتئيه وما نعتقده به. الأنبياء هم أناس تكلّموا عن الله وما يتعلّق به مسوقين بروح الله. وأنتم أنفسكم... تسلّمون معنا بأنه من المحال بالنسبة لنا أن نكف عن أن نؤمن

[1] J. Danièlou: The Theology of Jewish Christianity. London 1964, P 47.

[2] W. R. Schoedel. Athenagoras, P XXII.

[3] Quasten, vol 1, P 233.,

بالروح الذي من الله، وهو الذي يحرّك أفواه الأنبياء كما لو أنها آلات موسيقيّة، وأن نحذر الآراء البشريّة البحتة"[1] (دفاع ٧).

"أصوات الأنبياء كتبت ما نحن بصدده، ويخيل إليّ أنكم أنتم أيضًا بما لكم من حماس عظيم للمعرفة... لا يمكن أن تجهلوا ما كتبه موسى أو إشعياء وإرميا وسائر الأنبياء. هؤلاء الذين نطقوا بما أوحيَ إليهم، في غيبة عن الحس سمت بهم فوق عمليات العقل الطبيعية، وذلك بفعل قوّة الروح القدس الذي استخدمهم ونفث فيهم كأنه لاعب نأي ينفخ في نأيه" (دفاع ٩).

اقتبس أثيناغوراس هذه النظريّة إلى حد ما عن فيلون الذي شبه النفس بقيثارة يضرب الرب على أوتارها حتى يقدر صاحبها أن يمارس الحياة الفاضلة[2]. وانتقلت الفكرة من أثيناغوراس إلى ثاوفيلس أسقف أنطاكيّة[3]، والقدّيس أكليمنضس الإسكندري[4]...

ويلاحظ في النص الأول (دفاع ٧) يتحدّث عن الأنبياء قائلاً: "لنا أنبياء"، وهو بهذا يعكس مشاعر الكنيسة في القرن الثاني نحو الأنبياء أنهم ليسوا كيهود غرباء عنها، بل أنبياؤها الذين تنبّأوا وشهدوا عن السيّد المسيح وكنيسته بكونها إسرائيل الجديد.

ولا ينسى الفيلسوف المسيحي أن يدعو الإمبراطورين الاثنين للاهتمام بقراءة الكتاب المقدّس، الموحى به من الروح القدس، الذي يعلن الحق في كماله.

٨. البتوليّة

مدح أثيناغوراس البتوليّة كإحدى ثمار الحياة المسيحيّة العظمى، موضّحًا الهدف الإيجابي لها: "تجدون بيننا كثيرين من رجال ونساء، كبروا ولم يتزوّجوا، مترجّين الحياة بشركة أعمق مع الله" (دفاع ٣٢).

٩. الفلسفة

كان أثيناغوراس فيلسوفًا ينتسب إلى الأفلاطونيّة الحديثة، لكنه لم يخضع لها تمامًا، خاصة بعد تحوّله للإيمان المسيحي، إنما كان يتخير أفضل ما في المذاهب الفلسفيّة جميعها، حتى قيل عنه أنه أول القائلين بمذهب التخيّر وتأليف المذاهب Electism. هذا المذهب – في جوهره – ينادي بأن كل مذهب يحمل نصيبًا من الحقيقة هو خير ما في المذهب، لهذا يليق بالإنسان أن يطلب الحقيقة كاملة باختياره هذه الأجزاء وتوحيدها معًا. غير أن أثيناغوراس – كما رأينا – نادى بعجز الفلاسفة عن الوصول إلى الحق كاملاً، لذا وجدت ضرورة ملحّة لهبوط الوحي على الأنبياء (دفاع ٧).

[1] راجع ترجمة نيافة الأنبا غريغوريوس: الدفاع أو الاحتجاج أو المحاماة للفيلسوف المسيحي أثيناغوراس، ص ١١.

[2] Philo: Quod Deus sit immut, 24.

[3] Ad. Autoluecm, 8:4.

[4] Stromata 6:18:168.

هل كان أثيناغوراس مانويًا؟

يرى Tillemont أن أثيناغوراس كان مانويًا... وقد اعتمد في ذلك على أمرين:

١. أنه شبّه النبي بالنأي يلعب الروح القدس عليه (دفاع ٩)، كما فعل ماني. لكن هذا التشبيه كان شائعًا بين اليونانيّين[١]، استخدمه أيضًا العلامة ترتليان في ردّه على مرقيون، وكذلك القدّيس يوستين.

٢. تحريمه الزواج الثاني (دفاع ٣٢)، وهو في هذا وإن ألتقى مع اتباع ماني لكنه اختلف معهم في نواح كثيرة من جهة نظرتهم للزواج:

أ. أثيناغوراس يتطلّع إلى الزواج في قدسيّة، غايته إنجاب البنين (دفاع ٣٣)، به تتم مقاصد الله السامية، أما ماني فيرى في الزواج رجسًا يمتنع عنه المختارون، فيه إشباع لشهوات بهيميّة، ولا يبيح لمن يتزوّج أن ينجب.

ب. يعتبر أثيناغوراس البتوليّة حالة أكثر اتّحادًا مع الله وكمالاً، لكنها اختياريّة، لا تفرض على أبناء النور كما قال ماني.

أمّا سرّ رفضه الزواج الثاني بعد موت الطرف الثاني فمن أجل نظرته لأبديّة الزواج... أنه سرّ لا يقدر الموت أن يحلّه!

أهم أخطائه اللاهوتية[٢]:

تلقّب الكنيسة أثيناغوراس فيلسوفًا وليس قدّيسًا، ربّما لسقوطه في بعض الأخطاء اللاهوتية نذكر منها:

١. دعي الشيطان أمير المادة، أقامه الله عليها ليسوسها.

٢. حسب النفس ناقصّة وغير كاملة ما لم تتّحد بالجسد.

٣. نادى بعدم معاقبة الأطفال على ما يفعلوه.

٤. نسب سقوط الشيّاطين إلى علاقات شهوانيّة مع بنات الناس، وأنهم انسلوا منهن جبابرة.

[1] Schaff: vol 2, P 732.

[٢] نيافة الأنبا غريغوريوس: أثيناغوراس الفيلسوف المسيحي، ١٩٦١، ص ٣٦، ٣٧.

٣

القدّيس بنتينوس

تولّى بنتينوس القدّيس والفيلسوف رئاسة مدرسة الإسكندريّة حوالي عالم ١٨١م، ونال شهرة فائقة حتى اعتبره المؤرخ يوسابيوس أول رئيس للمدرسة... قال عنه: [في ذلك الوقت كانت مدرسة إسكندريّة للمؤمنين يرأسها رجل ذو شهرة عاليّة جدًا كدارس، يسعى بنتينوس. فقد وجدت عادة راسخة أن توجد بينهم أكاديميّة في العلوم القدسية. ولا تزال هذه الأكاديميّة قائمة إلى يومنا هذا. وبحسب فهمي الذي يديرونها أناس على مستوى عال، لاهوتيون ذو قدرات خاصة، لكننا نعرف أن بنتينوس هو أحد هؤلاء المعلّمين الذي كان أكثر معلّمي عصره قدرة وسموًا][1].

إذ استرجع **القدّيس أكليمنضس** ذاكرته في كتابه [المتفرّقات Stromata تذكّر الأشخاص الطوباويّين الذين يستحقّون أن يكونوا موضع ذكرى، وكان من حسن حظّه أن يلتقي بهم ويستمع إليهم، وإذ جاء إلى معلّمه بنتينوس تحدّث عنه كأعظم وأكمل معلّم، وجد فيه وحده تعزيته. وقد وصف لقائه معه هكذا: "التقيت بالأخير مصادفة، لكنه كان الأول من حيث الاستحقاق. وجدّته أخيرًا في مصر مختبئًا. إنه يحق النحلة الصقليّة، يقتطف من كل الزهور من مروج الأنبياء والرسل، ويودع في نفوس سامعيه ذخيرة معرفة غير فاسدة][2].

بنتينوس والفلسفة

كان بنتينوس رواقيًا مشهورًا. والرواقيّون أخلاقيّون من الدرجة الأولى يحسبون الخير الأعظم في الفضيلة، يؤمنون بناموس الطبيعة أو ناموس الضمير أو الواجب. يرون في الله الطاقة المتغلغلة في كل شيء. بها خلق العالم الطبيعي وبقيَ محفوظًا[3].

اعتنق بنتينوس المسيحيّة على يدي أثيناغوراس، وفي عام ١٨١م خلفه كرئيس للمدرسة اللاهوتية التعليميّة، وإليه ينسب إدخال الفلسفة والعلوم إلى المدرسة لكسب الهراطقة والوثنيّين المثقّفين.

كان بنتينوس دائم القراءة في الفلسفة، ومع هذا لم يحتج عليه أهل عصره ولا اتّهموه بالانحراف عن الإيمان، بل شهد له أوريجينوس قائلاً: أنه في دراسته للفلسفة إنما يمتثل ببنتينوس الذي ربح الكثير من المثقّفين خلال معرفته للفلسفة. هذا الاتجاه أدخله بنتينوس، وتطوّر على يديّ تلميذه أكليمنضس وأعيد تنظيمه بواسطة أوريجينوس.

[1] Euseb.: H. E. 5:10:1.

[2] Strom. 1:11:1-3.

[3] Oxford Dictionary of the Christian Church. P 312

بنتينوس كمبشّر

لم تكن مدرسة الإسكندريّة مجرّد معهد علمي ديني، لكنها كانت جزءًا من الكنيسة لها عملها الكرازي بجانب عملها التعبّدي والعلمي. كان رجالها كنسيّين روحيّين على مستوى عال، كرّسوا حياتّهم للدراسة ونشر الفكر الإنجيلي الكنسي، مقدّمين حياتّهم مثلاً حيًا في النسك كما في الدفاع عن العقيدة والتبشير، على المستويين المحلّي والمسكوني. فمن ناحيّة كان بنيتنوس في نظر شعب الإسكندريّة ليس مجرّد دارس أو معلّم وإنما "المعين لكثيرين" يهتم بخلاص كل أحد، حتى لقّبه شعب المدينة "بنتينوسنا". ومن الجانب الآخر حين دعاه البابا ديمتريوس للكرازة في الهند لبّى الدعوة تاركًا المدرسة إلى حين في يد أكليمنضس.

روى المؤرّخون قصّة ذهابه للهند هكذا: أن تجّارًا من الهند استمعوا إليه فأعجبوا به واعتنقوا المسيحيّة بغيرة شديدة، فالتقوا بالبابا الإسكندري وطلبوا منه أن يسمح لهم بإرسال بنتينوس إلى الهند للكرازة بين أهلهم. كما قيل أن الهند بعثت برسالة إلى البابا وفد من أجل الغرض فقبل البابا طلبهم[١]...

وعند رجوعه من الهند قيل أنه كرز في أثيوبيا وبلاد العرب واليمن[٢]. ويروي القدّيس جيروم ويوسابيوس[٣] أن بنتينوس أحضر معه نسخة من إنجيل متى بخط يد الإنجيلي، كان قد أحضرها القدّيس برثلماوس معه إلى الهند.

وممّا يجدر ذكره أن القدّيس أناستاسيوس السينائي –من رجال القرن السابع– يتحدّث عن بنتينوس ككاهن الإسكندريّة. ربّما سيم قبل ذهابه إلى الهند، حتى يقوم بتعميد الموعوظين ومسحهم بالميرون وتقديم ذبيحة الأفخارستيّا... فالكرازة تحتاج إلى عمل الكهنوتي[٤].

بنتينوس والأبجديّة القبطيّة

أدخل بنتينوس الأبجديّة القبطيّة، مستخدمًا الحروف اليونانيّة، مضيفًا إليها سبعة حروف من اللغة الديموطيقيّة القديمة. وبهذا أمكن ترجمة الكتاب المقدّس إلى القبطيّة تحت إشرافه، يعاونه في هذا العمل العظيم تلميذاه أكليمنضس وأوريجين. ويعطي الباحثون اهتمامًا عظيمًا لهذه الترجمة على قدم المساواة مع الأصل اليوناني نفسه[٥]. كما ترجم القدّيس بنتينوس الكثير من الأدب المسيحي إلى هذه اللغة بكونها آخر شكل من تطوّر اللغة المصريّة القديمة، وبدأ الكتّاب يستخدمونها عوض اليونانيّة.

مولده

[١] د. وهيب عطا الله: بنتينوس، القاهرة ١٩٦١، ص ٣.

[٢] الأنبا إسيذورس: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، جـ١، ١٩٦٤، ص ١٣٣–١٣٤.

[3] Euseb., H.E, 5:10:2.

[٤] د. وهيب عطا الله: بنتينوس، ص ٥.

[5] Coptic Patriarchate: St mark, P 67.

يرى المؤرّخون الأقباط أن بنتينوس ولد بالإسكندريّة[1]، من أصل مصري، ويرى المؤرخ فيلبس الصيدوي أنه كان أثينيًا، ولكن هذا مجرّد حدس، بسبب اهتمام القدّيس بالفلسفة اليونانيّة. ويرى بعض الدارسين أنه من صقليّة لأن تلميذه أكليمنضس لقّبه "النحلة الصقليّة"، لكن هذا الرأي لا يمكن الأخذ به لأن النحل الصقلي كان له شهرته العالميّة في ذلك الوقت، فكانت هذه التسمية مجرّد إشارة إلى عذوبة تعليمه وما يحمله من قوت[2].

أما زمن ولادته، فعلى ما يبدو، أنه ولد في أوائل القرن الثاني الميلادي، وإن كان يصعب تحديد سنة الميلاد بدقة.

كتاباته

شرح بنتينوس كل أسفار الكتاب المقدّس من التكوين حتى الرؤيا، شفويًا وكتابة، حتى دعاه معاصروه "شارح كلمة الله"، وللأسف لم يصلنا من كتاباته إلا بعض فقرات وردت خلال كتابات تلميذه القدّيس أكليمنضس.

[1] Murad Kamel: Coptic Egypt, 37.

قوسة: أمجاد العصر القبطى ص ٦٨، منسّى يوحنا ص ٢٨.

[2] John Ferguson: Clement of Alexandria. N. Y. 1974, P 14.

٤

القديس أكليمنضس السكندري

حياته

يعتبر القديس أكليمنضس أب الفلسفة المسيحية الإسكندرانية[١]، وصفه المؤرخ يوسابيوس أنه "كان متمرنًا في الكتب المقدسة"[٢]، ودعاه القديس كيرلس أنه "كان شغوفًا في التعليم"، "خبيرًا في التاريخ اليوناني"[٣]. قال عنه القديس جيروم: [مجلداته المعروفة مملوءة علمًا وفصاحة، يستخدم الكتب المقدسة والأدب الدنيوي[٤]، "في رأيي أنه أكثر الجميع علمًا"[٥]. كما وصفه المؤرخ سقراط: "كان مملوءًا من كل حكمة"[٦]].

ومع هذه فقد أهملت شخصية هذا القديس وذلك لسببين:

١. الخلط بينه وبين القديس أكليمنضس الروماني.

٢. ارتباط شخصيته بأوريجينوس الذي نظر إليه كهرطوقي وأبيدت أكثر كتاباته خاصة النسخ التي كتبت باللغة الأصلية اليونانية. هذا مع غموض نظام القديس أكليمنضس .

مسيحيته

ولد تيطس فلافيوس أكليمنضس[٧] Titus Flavius Clemens حوالي عام ١٥٠م من أبوين وثنيين. اسمه الروماني حمل بعض المؤرخين إلى القول بأن له صلة الإمبراطورية[٨]، وأنه من سلالة عبد اعتقه فاسيانوس أو ابنه[٩]...

أما عن مولده، فوجد تقليدان في أيام أبيفانيوس[١٠] (القرن الرابع)، أحدهما يرجع مولده للإسكندرية والآخر لأثينا. اعتمد التقليد الأول على طول بقائه في الإسكندرية، بينما يتفق التقليد الثاني بالأكثر مع ما ورد في كتابه: "المتفرقات Stromata" (١: ١١).

لا نعرف شيئًا عن تاريخ تحوله إلى المسيحية ولا الظروف المحيطة أو الدوافع التي أدت إلى ذلك، لكن المعروف عنه أنه قد اتسم بفكر متدين، فكان دائم البحث عن الله الذي يشبعه روحيًا وفكريًا وأخلاقيًا، وقد وجد

[1] Schaff. Vol 2, P 782.

[2] Eus. H.E. 5:11.

[3] In Jul 7: 231; 6: 205.

[4] De Vir. Illus. 38.

[5] Epist. 70:4.

[6] Socrates H:E 2: 35.

[7] Eus. H.E. 6: 13.

[8] Cheethan: A History of the Christian Church during the first six centuries, London 1905, Butcher: Story of Church of Egypt, V. 1, P 49.

[9] C.Bigg: Christian Platonists of Alex, Oxford 1886, P 45.

[10] Adv. Haer. 32: 6.

في المسيحية تحقيقًا لهدفه. حتى بعد اعتناقه المسيحية قام برحلات باهظة يبحث عن المعلم الحقيقي الذي يتتلمذ عليه، فذهب إلى جنوب إيطاليا وسوريا وفلسطين، وأخيرًا استقر في الإسكندرية حيث جذبته محاضرات القديس بنتينوس "الفيلسوف الذي قبل المسيحية"، عاش فيها أكثر من عشرين عامًا[1] (ربما من عام ١٧٥ إلى ٢٠٢م) فصارت وطنه الثاني.

رئيس المدرسة

تتلمذ على يدَّي القديس بنتينوس[2]، وصارت مساعدًا له. سيم كاهنًا في الإسكندرية[3]، وقام بعمله الوعظي بكل نجاح، وإذ سافر أستاذه بنتينوس إلى الهند حوالي عام ١٩٠م تسلم رئاسة المدرسة إلى حين عودته. وإذ تنيح القديس بنتينوس تسلم القديس أكليمنضس الرئاسة من جديد. وقد تتلمذ على يديه العلامة أوريجانوس والقديس ألكسندروس أسقف أورشليم.

هروبه من الإسكندرية

في أيام الاضطهاد القاسي الذي أثاره سبتيموس سويروس حوالي عام ٢٠٢م أضطر القديس أكليمنضس إلى مغادرة الإسكندرية والالتجاء ربما إلى فلسطين وسوريا.

لماذا هرب من الاضطهاد؟ أنه في هذا اشترك مع كثير من الآباء الأولين الذين تحت ظروف معينة فضلوا الهروب من الاستشهاد ربما من واقع الشعور بالمسئولية نحو مخدوميهم وتكملة رسالتهم. من هؤلاء القديسين: ديونسيوس الإسكندري، وأثناسيوس الرسولي، وكبريانوس.

لقد كتب القديس بطرس خاتم الشهداء بشيء من الاستفاضة عن ضرورة الهروب من أمام المضطهدين[4]، مدللاً على ذلك بأقوال إنجيلية. ومع ذلك حينما رأى أن استشهاده ينقذ حياة شعبه من الاضطهاد، تقدم خفية إلى الاستشهاد بكل فرح، بالرغم من تجمهر الشعب حول السجن يصَّر على إنقاذ راعيه. وكأن الراعي إن وجد من واجبه الرعوي أن يهرب من الاستشهاد لا يتقدم إلى الاستشهاد بانفعال عاطفي قد يضر أولاده، وإن رأى من واجبه الرعوي أن يسلم حياته للموت لا يتأخر عن ذلك.

على أي الأحوال كان هروب القديس أكليمنضس من الإسكندرية نافع للكنيسة، كما يظهر ذلك من الرسالة التي بعث بها القديس ألكسندروس أسقف أورشليم إلى كنيسة أنطاكية حوالي عام ٢١١م إذ جاء فيها[5]: "هذه الرسالة أبعث بها إليكم يا أخوتي الأعزاء، على يد أكليمنضس الكاهن الطوباوي، الرجل الفاضل المبارك، الذي سمعتم عنه وستعرفونه أيضًا، والذي بحضوره إلى هنا – بفضل عناية الله وتدبيره قد ثبت كنيسة الرب وأنماها". وفي حوالي عام ٢١٥م تنيح.

[1] F.F. Osborn: The Philosophy of Clement of Alexandria, Cambridge 1957, P. 3.

[2] Eus. H. E. 5: 11: 2; 6: 13: 2.

[3] Eus. H. E. 6: 11: 6, Jerome: De Vir. Illus. 38. St. Clem. Alex. Paed. 1: 37.

[4] المؤلف: البابا بطرس الأول، أسكندرية ١٩٧٨، ص ٤١-٤٣.

[5] Eusebius: H. E. 6: 11: 6.

نظرة الغرب إليه

كان الغربيون يعتبرون أكليمنضس الإسكندري من قدسي الكنيسة يحتفلون بعيده في الرابع من شهر ديسمبر[١]. وفي القرن السادس عشر حذف اسمه من تراحم الشهداء Martyrology بواسطة أكليمنضس الثامن (١٥٩٢ – ١٦٠٠م)، حسب تصحيحات بارونيوس Baronius. وفي عام ١٧٤٨م كتب البابا بندكت الرابع عشر رسالة إلى يوحنا الخامس ملك البرتغال يبرر فيها سَّر هذا الحذف بحماس. مستندًا إلى وجود بعض التعاليم الفاسدة في كتاباته. لكنه لم يشر أحد المؤرخين الأول أمثال يوسابيوس وجيروم إلى هذا الأخطاء. لهذا فالأرجح أن هذه الأخطاء دخيلة على كتبه، فمن دأب الهراطقة أن يفسدوا كتابات الآباء المشهورين لتأييد مذهبهم ونشره[٢].

[1] Murray's Dict. of Christian Biography. Farrar, vol 1, P 363.

[٢] الأنبا غريغوريوس: أكليمنضس الأسكندرى، ص ٦.

كتاباته

سمات كتاباته

يقول Qusaten: "إن كنا نعرف القليل جدًا عن حياة أكليمنضس، لكن كتاباته تقدم لنا صورة واضحة عن شخصيته"[١]. أما سمات كتاباته فتبرز في النقاط التالية:

١. مزج الدراسة بالإيمان: إن كان القديس أكليمنضس قد أحب الدراسة، لكنه بقى "كاتبًا مسيحيًا"، يمتاز باتساع أفقه مع اتقاد ذهنه، يجتذبنا بغيرته الشديدة مع إخلاصه في الدراسة[٢].

كتاباته تكشف عن يد مخطط ماهر، لأول مرة في تاريخ الأدب المسيحي نلتقي التعاليم المسيحية مع الكتابات المعاصرة له، ويقف الاثنان معًا جنبًا إلى جنب لهذا السبب يجب أن يدعى بحق "رائد الثقافة المسيحية"[٣] أعماله الكتابية تؤكد أنه رجل الثقافة الشاملة، من فلسفة وشعر وآثار وأساطير وأدب ومنطق وموسيقى، له معرفة كاملة أيضًا بالكتابات المسيحية الأولى: أسفار الكتاب المقدس والكتابات ما بعد الرسل بجانب كتابات الهراطقة.

نستطيع أن نقول مع J. Patrick أنه "أول معلم منهجي للتعليم المسيحي، والبطل الكنسي للثقافة المتحررة في الكنيسة"[٤].

٢. مزج الدراسة بالعمل الرعوي: إن كان القديس أكليمنضس قد أحب البحث والدراسة بقلب متسع وفكر متفتح فلم يقتصر على الدراسة الدينية بل أهتم بالدراسات المعاصرة، فأنه أيضًا لم يهدف للدراسة في ذاتها لعمل كلاسيكي جامد، لكنه مزج الدراسة بالعمل التبشيري... فكانت دراساته تزيد قلبه اتقادًا نحو خلاص اخوته. وكما قال Farrar: أنه ربط بين العلم والكرازة والعمل، مستشهدًا بما قاله عنه Prof. Westcott: [لازلنا معجبين بشكر من أجل غنى معلوماته واتساع إطلاعه وعظم لطفه وعلو طموحه مع سمو إدراكه لرسالته وقدراته في الإيمان][٥]. ويقول عنه Compenhausen Hans Von: [تساؤلاته وبحثه وتفكيره لا تقف عند نهاية... هو معلم المناقشة... وهو أيضًا خادم، يرى غايته في أن يدخل بالناس إلى المسيح. عمله تبشيري بطريقة شخصية مرنة... مع أن إكليمنضس لم يكن بالمعلم العام في الكنيسة، وبالرغم من إتساع معرفته، فإنه لم يكن بالباحث الحقيقي بل رجل تبشير... كان راعى النفوس المثقف][٦].

٣. إذ أحب "المعرفة الحقيقية"، أراد أن يكون كل مسيحي "غنوسيًا" حقًا، لهذا أنصب تفكيره في عمل السيد المسيح الخلاصي على "النور"[٧] الذي يشرق على فهمنا المظلم فنستنير، ولقب المعمودية "الاستنارة" حيث تبدد الظلمة التي تحجب العين الداخلية عن معاينة "الحق" وإدراك المعرفة الإلهية...

[1] Quasten, Vol 2, P 6.

[2] Lebreton, P 733.

[3] Quasten, Vol 2, P 6.

[4] J. Patrick: Clement of Alexandria, London 1914, P 13.

[5] Farrar, Vol 1, P 365- 6

[6] The Fathers of the Creek Church, London 1963, P 25.

[7] Robert Rainy: The Ancient Catholic Church, Edinburgh, 1926, P 168.

في كتابه "نصح للوثنيين Protrepticus" يدعو البشرية لقبول السيد المسيح، قائلاً: [اسمعوا أيها البعيدين، ويا أيها القريبين، فإن اللوغوس ليس مخفيًا عن أحد. إنه النور العام الذي يضئ الكل. لم يعد في العالم ظلمة. لنسرع إلى خلاصنا. لنسرع إلى تجديدنا][1].

ثالوث أكليمنضس الكتابي

يعرف القديس أكليمنضس بثالوثه المشهور أو أعماله الكتابية الثلاثة الرئيسية، وهي: نصح لليونانيين Protrepticus، المعلم أو المربى Paedagogus، المتفرقات Stromata.

يكشف هذا الثالوث عن منهج القديس أكليمنضس اللاهوتي، بل عن منهج الدراسة في مدرسة الإسكندرية الأولى. وكما يقول Osborn: أن مشكلة العلاقة بين هذه الأعمال الثلاثة الكبرى قد جذبت الانتباه بطريقة ملحوظة في الخمسين سنة الأخيرة[2].

يقول Swete: [ربما ليس في كل الأدب الآبائي الأول أكثر جاذبية للقارئ الحديث مثل ثالوث (أكليمنضس) العظيم في تدريج التعليم في الحياة المسيحية... ومفهوم أكليمنضس للمسيحية في علاقتها بكل ميادين الفكر البشرى، الأمر الذي له قيمته في أيامنا... ونفعه متزايد في العصر الحاضر][3].

يرى **القديس أكليمنضس** أن خطة الله نحو البشرية تأخذ مراحل ثلاث وهي تطابق كتبه الثلاثة[4]:

أولا: يدعو اللوغوس "كلمة الله" البشرية للخلاص من براثن الوثنية خلال الإيمان... هذا يطابق الكتاب الأول "نصح لليونانيين Protrepticus". وكما يقول يوسابيوس: [أنه كان مناسبًا جدًا لأكليمنضس أن يوضح خسة الوثنية فقد عبر هو خلالها لكنه هرب من وبائها].

ثانيًا: إذ يقبلون الإيمان المسيحي ويرفضون أباطيل الوثنية، تُصلح حياتهم بالوصايا الأخلاقية... وهذه المرحلة تطابق الكتاب الثاني "المربي Paedagogos" الذي يجعل الكثير من الوصايا الأخلاقية المسيحية والتي غايتها "التشبه بالله نفسه".

أخيرًا، يرفع الذين خضعوا للتطهيرات الأخلاقية إلى المعرفة الكاملة للإلهيات ليتمتعوا بالغنوسية المسيحية... وهذا هو موضوع كتابه الثالث: "المتفرقات Stromata".

هكذا يتطلع القديس إلى عمل السيد المسيح الثلاثي: دعوة لترك الوثنية فخلاص من الخطية وأخيرًا خلاص من الخطأ الذي ترك البشرية عمياء بلا عون. هذا العمل الثلاثي إنما هو نصح وتقديم مشورة ثم تدريب وتقوية وأخيرًا شفاء وتعليم. وكما يقول Jay: [يسعى في ثالوثه أن يظهر كلمة الله الذي قدم استنارة لإسرائيل

[1] Protrepticus 9.

[2] Osborn, P 5.

[3] H. B. Swete: Patristic Study, London 1902, P 48.

من الذين اهتموا بالعلاقة بين ثالوث أكليمنضس هم:

Muck: Untersuchung uber Klemens von Alexandria P1- 126.
Quatember: De Christliche Lekenshaltung des Klemens von Alexandria, P 29- 42.
Mondèsert in his introduction to to Stromate 1, P 11- 22

[4] Cf. Neander: Church History, vol 2, P 486. Lebreton, P 737.

القديم ولليونانيين أنه قد جاء الآن في المسيح يسوع بطريقة جديدة ليقدم معرفة الله الخلاصية لكل البشرية. إنه يناشد قارئيه أن يأخذوا المسيح معلمًا لهم. ففي البداية ينصحهم، وبعد اهتدائهم يدربهم بنظام مفيد ويقودهم إلى مبادئ التهذيب من الخوف إلى الرجاء، إلى الحب النزيه والمعرفة التي تطلب الآن كغاية في ذاتها، أي معرفة الله][1].

كأن **القديس أكليمنضس** يميز بين اللوغوس الإلهي كهادي Protrepikos، وكمربى Paedagogu، وكمعلم Didaskelos[2]. فهو الهادي يدعو الناس للخلاص، وهو المربى الذي يحث المؤمنين على الحياة الأفضل ويشفيهم من آلامهم ممارسًا عمله الروحي فيهم، وأخيرًا هو بعينه المعلم Didaskalos الذي يعلم الأسس العامة ويشرحها، مفسرًا المنطوقات الرمزية.

ومن كلمات القديس نفسه: [المرشد السماوي، اللوغوس يدعى الهادي عندما يدعو البشرية للخلاص... لكنه إذ يعمل كطبيب أو مربى يصير اسمه "المربي"... فإن النفس المريضة تحتاج إلى مربي يشفي آلامها. ثم تحتاج إلى المعلم الذي يعطيها الإدراك... "إعلان اللوغوس". هكذا إذ يريد اللوغوس خلاصنا خطوة فخطوة يستخدم وسيلة ممتازة: أنه في البداية يهدي، ثم يصلح، وأخيرًا يعلم][3].

يرى البعض أن القديس كان متأثرًا بالأفلاطونية الحديثة New- Piatanism التي نادت بمراحل ثلاث: التطهير فالتثبيت وأخيرًا الإعلان. أو الرؤية.

على أي الأحوال، انعكس هذا المنهج على مدرسة الإسكندرية في عهده، فركزت في برامجها على مراحل ثلاث: مرحلة الوثنيين إلى المسيحية، مرحلة ممارسة الحياة المسيحية الإنجيلية، وأخيرًا تعليم المسيحيين كمال المعرفة.

أولاً: نصح لليونانيين Protrepticus

١. كتب هذا المقال حوالي عام ١٩٠م، وهو عمل جدلي، فيه قدم هجومًا نقديًا للعبادة الوثنية وأساطيرها (فصول ٢- ٧)، هاجمها خلال كتابات الفلاسفة اليونان أنفسهم. ثم أوضح أن الفلاسفة قد عرفوا بعض الحقائق، خاصة أفلاطون، تعرفوا عليها خلال مصدر إلهي أو أخذوها عارية من اليهود. وفي رأيه أن الشعراء تسلموا شيئًا من الوحي من اللوغوس الإلهي. وقد لاحظ أن كبار الفلاسفة لم يقدروا أن يقفوا أمام الوثنية بالرغم من تحققهم من فسادها[4].

٢. في هذا المقال يوجه القديس أكليمنضس دعوة حارة للوثنيين أن يتحولوا ويتهدوا خلال إنصاتهم اللوغوس الذي يدعى "Protreptieus"، السيد الوحيد الذي ليس فقط يدعونا لنبذ الوثنية، وإنما ننال خلال استنارة روحية فعالة.

[1] Eric G. Jay: The Church, Vol 1, London 1977, P 59.

[2] Osborn, P 5.

[3] Paedagogus 1: 1.

[4] Hanry Chadwick: The Early Church, 1969. P 94.

"لو أن الشمس غير موجودة لحلّ الليل في كل المسكونة، بالرغم من وجود الكواكب الأخرى في السماء. هكذا لو لم نعرف اللوغوس ونستضئ به لما كنا أفضل من صغار الطير (الكتاكيت) التي تمتلئ سمنة في الظلام لكي تُشوى بالنار (تؤكل).

لنقبل النور، فنتقبل الله.
لنتقبل النور، ونصر تلاميذ الرب.
لقد وعد أباه هكذا: "أخبر باسمك اخوتي، في وسط الجماعة أمجدك" (مز ٢٢: ٢٢).
نعم قدَّس أباك أيها الكلمة، وعرفني إياه.
إعلاناتك تخلص وتسابيحك تعلمني، فإنني حتى الآن أضل في الخطأ باحثًا عن الله[1].
لكنك إذ تقودني يارب للنور أجد فيك الآب وأتقبله منك.
لقد صرت شريكًا معك في الميراث (رو ٨: ١٧)، إذ لا تستحي أن تدعوني أخًا (عب ٢: ١١)...".

"إذن ما هي النصيحة التي أقدمها لكم؟ إني أحثكم أن تخلصوا. هذا ما يريده المسيح، وفي كلمة واحدة: إنه يهبكم الحياة مجانًا"[2].

٣. وضع أمام الوثنيين مقارنات بين أعمال المسيحيين وأعمالهم، وبين حياة هؤلاء وأولئك. فقد أظهر الفارق الشاسع بين أغاني الشعراء الوثنيين وتلك الأغنية التي تحل رباطات الناس من ظلم الشياطين، وتقودهم إلى القداسة وتدعوهم إلى السماء وتدرب عواطفهم. أما عن الموسيقى فقال: أنها ليست موسيقى Jubal بل موسيقى داود، بل بالأحرى هي موسيقى "كلمة الله" الكائن قبل داود، هذا الذي يحتقر الآلة الموسيقية التي بلا حياة ليعزف بالروح القدس لحنًا جامعًا...

وفي الفصل الأخير يضع أمام الوثنيين حق الخيار بين الحياتين: ممتازة هي حياة الناس الذين يعرفون المسيح بكليتها! أما بالنسبة لك فلك الخيار أن تقبل ما يفيدك: الدينونة أو النعمة! هل لا تزال توجد للشك في أيهما أفضل لك؟ "هل تقارن الحياة بالهلاك؟!".

ثانيًا: المربى Paedagogus

١. يعتبر هذا العمل امتداد للعمل السابق، وهو من أروع ما سجله لنا القديس، غايته تعليم الذين قبلوا نصيحته في المقال الأول (نصح اليونانيين)، الذين نبذوا الوثنية وقبلوا الإيمان، وذلك لكي يمارسوا الحياة المسيحية العملية ليكونوا على شبه الله.

أن كان هذا المقال قد ضم الكثير جدًا من الوصايا السلوكية، لكن غايته ليس مجرد عرض للسلوك الأخلاقي، إنما هو التشبه بالله. إن إعلان الحق بواسطة اللوغوس – في نظر أكليمنضس – يدخل بالمؤمنين لا إلى معرفة نظرية بل تغيير شامل في الحياة ليكونوا متشبهين بالله فيظهر اللوغوس كمعلم كل الحياة البشرية العملية، هو غافر للخطايا، وحامل ضعفنا البشرى ومدربنا كي لا نخطئ.

[1] أي حتى ذلك العصر كان الإنسان يبحث عن الله خلال الفلسفات مع أن الحاجة إلى اللوغوس الذي وحده يغير النفس بإعلاناته.
[2] Protre. 11: 113: 3, 4: 11: 117: 3, 4. ANFrs, vol 2, p 203, 204.

٢. يتكون هذا العمل من ثلاث كتب: الكتاب الأول يعلن عن شخصية المربى، والكتابان الثاني والثالث يقدمان تعاليم المربى.

في الكتاب الأول يتحدث عن المربى كمعلم لكل حياتنا: كيف يتعامل مع خطايانا (ف١)، وعظم مراحمه (٢)، وأن تعليمه للنساء لا يقل عنه للرجال (٣، ٤)، موضحًا من هم الأبناء الذين يعلمهم (٥، ٦)، وأخيرًا يشرح وسائل التعليم وأساسياته (٧– ١٣).

وفي الكتاب الثاني يعالج القديس بعض الأسئلة الخاصة بالحياة العملية للمبتدئين مثل: الطعام والشراب والملابس الثمينة (١– ٤)، والضحك وافساد المحادثات (٥، ٦)، العلاقات الاجتماعية من أكاليل وحياة زوجية (٧– ١٠)، وأخيرًا يتحدث عن الملابس والأحذية والحلَّي (١١– ١٣).

وفي الكتاب الثالث يتحدث عن عناصر الجمال الحقيقي (١)، وعن الحمامات والغنى الحقيقي والرياضة (٢– ١٠)، كما يعطى صورة مبسطة عن الحياة المسيحية اللائقة حتى في الأمور التفصيلية مثل الحلقان والخواتم والاهتمام بالشعر ومكياج الوجه وطريقة المشي...

٣. إن كان القديس كثيرًا ما يحذر من حياة الترف والبذخ لكنه لم يطلب زهد الحياة الشديد، ولا النذر بالفقر... لقد أهتم بالأكثر ألا يكون القلب متعلقًا بالعالم.

٤. أتخذ العلامة ترتليان المعاصر له ذات الاتجاه السلوكي في تعاليمه، لكن هناك فارق شاسع بين الاثنين. فإن كاهن الإسكندرية لم يستخدم الجانب العاطفي مثل كاهن قرطاجنة، ولا استخدم العنف لكنه يدحض غباوة سلوك أهل العالم في ابتسامة عذبة وبأدب. حمل في حديثه الاحساسات الرقيقة العادلة اللائقة بالمسيحي[1].

تذكر على سبيل المثال في نصحه للنساء يقول: [العمل يكسب النساء جمالاً حقيقيًا، فهو يدرب أجسادهن ويكسبهن حسنًا طبيعيًا، لا كالجمال الذي يتأتى بسبب ثوب هو من صنع الآخرين، الثوب الذي لا يحمل جمالاً ولا صلاحًا، يصنعه العبيد والوصفاء، إنما ينبع جمالها عن الثوب الذي تنسجه السيدة الصالحة لنفسها بعمل يديها][2].

٥. أوضح القديس أكليمنضس غاية هذه الوصايا السلوكية في نهاية كتابه الثالث أن نحمل سمات الكنيسة متشبهين بالله، مقدسين وسمائيين، إذ يقول:

[لنكمل في نفوسنا جمال الكنيسة، كأبناء صغار نحو أمنا الصالحة. عندما نكون سامعين للكلمة فلنمجد التدبير الصالح الذي عليه ننشأ، فإن الإنسان يتقدس كابن لله ويتسلم – وهو على الأرض – التعليم الذي يجعل منه مواطنًا سماويًا...][3].

٦. رأينا قبلاً أن غاية الوصايا – عند القديس أكليمنضس – أن نتشبه بالله الكلمة.

وفي موضع آخر، في كتابه "المتفرقات"، نراه لا ينظر للوصايا السلوكية والنسكية في مظهرها الخارجي، بل من أجل التمتع بحياة روحية داخلية خفية، فيقول على سبيل المثال: [كما أن الإتضاع لا يقف عند

[1] Lebreton, Vol 3, p 741- 2.

[2] Paed. 3: 11.

[3] Paed. 3: 12: 991.

مجرد ميتات الجسد، بل يدخل إلى الوداعة. هكذا النسك إنما هو فضيلة النفس التي تقوم في وجودها لا على المنظورات بل في الموضع الخفية][1].

ثالثًا: المتفرقات أو المتنوعات The Miscellaneous Studies Stromata

١. دعي هذا العمل "المتفرقات"، لأنه يشمل مذكرات مجموعة بغير ترتيب أو نظام. كما دعاه "سجاد Carpets"، مستخدمًا هذا الاسم تشبهًا ببعض فلاسفة عصره الذين كانوا يلقبون أعمالهم بأسماء مثل "المروج، الولائم، قرص العسل". في هذا العمل يناقش بعض التساؤلات دون التزام بخطة معينة، فيخرج من مشكلة إلى مشكلة، وكأنه قد نسج مقالاته معًا كما تخلط الألوان المتباينة في "السجادة"[2].

٢. جاء هذا العمل في ثمانية كتب، تعتبر من أهم أعماله، لكنه عمل غير كامل... ضم هذا العمل مقالات تحمل سمات مختلفة يصعب ترابطها معًا؛ وكما قرر القديس نفسه أن كتابًا كهذا يشبه حقلا مملوء من كل أنواع النباتات، يجد فيه الإنسان المجتهد ما يطلبه، لكن عليه أن يفتش لكي يجد[3]. مرة أخرى يقول: أن أسرار المعرفة لا تقدم بوضوح شديد للقارئ غير المؤهل لمعرفتها[4]. مرة ثالثة يؤكد أنه في هذا العمل يرغب في إخفاء بذار المعرفة بطريقة ماهرة حتى يبحث عن الحق فيقتنى خلال الجهاد الشاق فيكون حلوًا[5].

٣. إن كان القديس أكليمنضس قد عجز عن جمع هذه المتفرقات في وحدة واحدة، لكن هدفه بقى واضحًا، ألا وهو أن الفيلسوف المسيحي يجد كل الكفاية لاحتياجاته في الإنجيل[6]. كان الخط واضحًا في كل الكتب ألا وهو الكشف عن العلاقة بين الإيمان المسيحي والفلسفة اليونانية. كما هاجم فيه الغنوسيين الهراطقة الذين أقاموا فجوة ضخمة بين الله والعالم.

في إتضاع نسب الاستحقاق الرئيسي لهذا العمل لمعلميه، وإن قد أضاف الكثير، كما نسى الكثير مما تعلمه منهم.

٤. لهذا العمل أهميته الكبرى، فقد كشف خلال هذه المتفرقات الفكر المسيحي الإسكندري في القرن الثاني من جوانب كثيرة، كما قدم لنا صورة حية للجماعة المسيحية في ذلك الحين. ويعتبر E. De. Fayè من أكثر المعجبين بهذا العمل، إذ يقول: [ربما يعتبر هذا العمل من أعظم الكتابات المسيحية في القرنين الثاني والثالث، وفي نفس الوقت ليس من عمل أصعب منه][7].

٥. يحوى هذا العمل ثمانية كتب شملت الآتي:

[1] Strom. 3:48:3

[2] Quasten: Patrology, vol 2, P 12.

[3] Strom 4: 2: 408.

[4] Ibid 5 (ch 8, 9).

[5] Ibid 1: 20- 21.

[6] Farrar, vol 1, P 377.

[7] E. de Faye: Clement d' Alexandria, Paris 1906, P 45.

أ. الكتاب الأول: فيه يعلن أن الفلسفة قد جاءت بتدبير إلهي، لكنه يتخوف من كثرة استخدامها، ويعتبر اليونان أطفالاً إن قارنوا بالمؤمنين.

ب. الكتاب الثاني: أوضح طبيعة الإيمان، الطريق الذي به يصير الإنسان متشبهًا بالله.

ج. الكتاب الثالث: خصصه للحديث عن الزواج المسيحي.

د. الكتاب الرابع: يعطى صورة للغنوسي الحقيقي.

هـ. الكتاب الخامس: يتحدث عن الإيمان والرجاء ثم ينتقل إلى مبدأ التعليم السري.

و. الكتاب السادس: يقارن بين الفيلسوف المسيحي الذي له مجد الإنجيل، يعرف أسرارًا لا يعرفها غيره، خاليًا من الانفعالات... وبين الفيلسوف اليوناني الذي له معرفة باهتة، وإن كانت معطاة له كهبة من الله.

ز. الكتاب السابع: يوضح أن الغنوسي المسيحي هو وحده العابد الحقيقي والفيلسوف الحقيقي الوحيد، ينمو لكي يصير متشبهًا بابن الله. أما الوثنيون فيصنعون آلهتهم على شبههم، وفيه أيضًا يظهر فساد الهراطقة.

س. الكتاب الثامن: وهو مفقود، يشير إليه القديس في ختام الكتاب السابع. أما الكتاب الموجود حاليًا ففي الحقيقة ليس امتدادًا للكتاب السابع، بل هي تجمعات لبعض "التسويدات"، والدراسات استخدمت في أجزاء أخرى من نفس العمل. وتبدو أنها لم تكن معدة للنشر، لكنها صدرت بعد نياحته بغير إرادته[1].

رابعًا: من هو الغنى الذي يخلص؟

عرفت الإسكندرية كمركز تجارى هام بالغنى والحياة المترفة. ويبدو أن البعض قد تطلع إلى الغنى وكأنه يتنافى مع خلاص النفس، الأمر الذي دفعهم إلى اليأس[2]. لهذا ألتزم القديس بتوضيح وجهة نظر المسيحية في الغنى، فوضع فكره في شكل عظة على لقاء السيد المسيح مع الغنى كما ورد في إنجيل معلمنا مرقس (١٠: ١٧- ٣١).

رفض القديس التفسير الحرفي لقول السيد: "أذهب وبع كل مالك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني"، مقدمًا العمق الداخلي للوصية، ألا وهو تنقية القلب من محبة الغنى[3]. ففي رأيه:

١. الغنى في ذاته لا يحرم الإنسان من ملكوت السماوات. فليس من الضروري أن يتخلص الإنسان من كل مقتنياته حتى يخلص. فإن الخطية لا الغنى هي التي تحرمنا من الملكوت.

٢. الغنى في ذاته ليس أمرًا شريرًا، لكنه مادة وسيطة، هي عطية من قبل الله يمكن أن تكون صالحة أو ضارة حسب استخدامنا لها. نحن استلمناها من الله لنفع الآخرين لا لنجمعها لأنفسنا. استلمناها لكي نستعملها لا لكي نستعبد لها.

[1] Lebreton, P 736.

[2] يوسف الحبيب ومليكه حبيب: من أقوال العلامة القديس أكليمنضس السكندري، ١٩٧٠، ص ٨.

[3] Martin Hengel: Property and Riches in the Early Church, London 1974, P 74.

من كلماته: [لا نلقي بالغنى أرضًا، هذا الذي يفيد اخوتنا... لا يبدد الإنسان غناه، بل بالأحرى يليق به أن يحطم شهواته الداخلية التي تتعارض مع الاستخدام الصالح للغنى. فإذ يصير الإنسان فاضلاً وصالحًا يمكنه أن يستخدم هذا الغنى بطريقة صالحة.

إذن لنفهم ترك ممتلكاتنا وبيعها أنه ترك وبيع لشهوات نفوسنا[١].

إذا كنت وأنت غني تنظر إلى الذهب والفضة والبيوت التي تمتلكها كأنها عطايا من قبل الله،

وإذا كنت تعيدها لله الذي وهبها لك في أشخاص اخوتك، معترفًا بهذا أنك تملكها من أجل الآخرين أكثر مما لنفسك،

وإن كنت تسمو فوق هذه الخيرات، فلا تكون عبدًا لما تمتلكه، ولا تدخل بها إلى نفسك، ولا تضيق أفق حياتك... مدركًا أنك يومًا ما تتركها...

بهذا تكون أنت هو ذاك الذي طوَّبه الرب ودعاه مسكينًا بالروح، وتكون بهذا مستعدًا بحق ليكون لك نصيب في ملكوت السماوات...][٢].

٣. لو كان الغنى في ذاته شرًا، فما هو ذنب الذين يولدون أغنياء بغير إرادتهم؟! هناك أناس أغنياء يحسنون استخدام الغنى، كما يوجد فقراء في المال أغنياء في الرذيلة.

٤. إن كان القديس قد هاجم حياة البذخ والترف، فإنه في نفس الوقت يرى في العوز الشديد مجالاً لانحراف الفكر وبعده عن السماويات. انه يقول: [العوز في ضروريات الحياة يستحيل لا يربك العقل أو يعوقه عن الأمور الصالحة، فإنه ينشغل في الحصول عليها بطريقة أو أخرى، من مصدر أو آخر][٣].

٥. لو أن كل مسيحي يكف عن غناه فمن الذي يمد يده ليعين الفقراء؟! "كيف نطعم الجائع، ونروى الظمآن، ونكسو العريان، ونرحب بالغريب القادم إلينا؟! كيف نحفظ كل هذه الوصايا التي يعاقب من يتعداها بالنار والظلمة الخارجية، وإن كانت تنقصنا المادة؟!".

٦. قدم القديس في كتابه[٤] "المربى Paedagogus" علاجًا للغنى، ألا وهو دخول كلمة الله في القلب فتكون كالرقى الذي يفسد لدغات الحيات.

أخيرًا، فإن هذا المقال مع صغره له أهميته، إذ يكشف عن شخصية الكاتب لا كمعلم أو فيلسوف بل بالحري الكاهن المهتم بخلاص قطيعه، كاشفًا لهم الطريق. لهذا ختم مقاله بقصة القديس يوحنا الحبيب الذي بحث عن الشاب الذي صار لصًا ثم رده، مؤكدًا أبوة الراعي الحانية نحو خلاص أولاده، وإمكانية خلاص التائبين حتى بعد السقوط مرة ثانية، وقد استعار يوسابيوس المؤرخ هذه القصة عن القديس أكليمنضس[٥].

[1] Ch 14. (A.N. Frs, vol 2, P 595).

[2] Ch. 16.

[3] Ch 12.

[4] Lebreton, p 736.

[5] Euseb. H. E. 3: 23: 5.

خامسًا: المجمل Hypotyposis, Outlines

يقول يوسابيوس[١]: [أن هذا المقال يحوى ثمانية كتب، هي تفاسير رمزية لعبارات من العهدين، كان متأثرًا في تفسيره ببنتينوس معلمه].

هذا العمل مفقود، اللهم إلا فقرات قليلة وردت في مجموعات أخرى أفسدها الهراطقة، الأمر الذي جعل فوتيوس[٢] يهاجم المقال بعنف، ولم يقدر أن يصدق أنها من عمله[٣]، ولعله بسبب هذا لم يحفظ المقال[٤].

سادسًا: رسالة عيد الفصح

يروى يوسابيوس[٥] أن أكليمنضس قد صرح في هذا العمل بأن معاصريه ألحوّا عليه أن يدوّن التقاليد التي سمعها من الآباء المتقدمين لفائدة الأجيال القادمة، فدوّنها وذكر فيها أقوال مليتو Melite وإيريناوس وغيرهما. وقد نقل بيتافيوس Petavius شذرتين من هذه الرسالة.

سابعًا: أعمال أخرى

للقديس أعمال أخرى كثيرة مفقودة في الصوم والنميمة وفي الشتيمة، ورسالة في الحث على الثبات، أو إلى الذين قبلوا المعمودية حديثًا، وكتاب في القانون الكنسي أو ضد المتهودين أهداه إلى القديس ألكسندروس الأورشليمى. كما حفظت له شذرات أو مقتطفات من رسالة في "سبق العليم بالمصير"، ورسالة في النفس، وقيل أنه كتب عن "عاموس النبي"، "التعريفات المختلفة".

أشار القديس إلى كتب كثيرة أعتزم كتابتها لا نعرف إن كان قد كتبها فعلاً أم لا، مثل: "في المبادئ الأولى، في الزواج، ضد الهرطقات، في القيامة، في واجبات الأساقفة والقسوس والشمامسة والأرامل، تناسخ الأرواح، في الشيطان، في الملائكة، في أصل الكون، في لاهوت الكلمة "اللوغوس"، في التفاسير المجازية للنصوص التي قيلت عن غضب الله ونظائرها من الانفعالات، في وحدة الكنيسة"[٦].

.

[1] Ibid 6: 13: 2.

[2] Bibl. Code. 109-111.

[3] Lebreton, P 73.

[4] Quasten, vol 2, P 17.

[5] Euseb. II. E. 6:13: 9.

[6] مذكرات نيافة الأنبا غريغوريوس: القديس أكليمنضس الإسكندري.

الفلسفة

عالج القديس أكليمنضس في كتابه "المتفرقات Stromata" موضوعين رئيسيين، هما علاقة المسيحية بالفلسفة اليونانية وعلاقة الإيمان بالمعرفة (الغنوسية). لقد أجاب القديس في أكثر من موضع وبشيء من التفصيل على السؤال الذي كان يشغل أذهان المفكرين المسيحيين في ذلك الوقت، ألا وهو: ما هي نظرة المسيحية للفلسفة اليونانية (الهيلينية)؟ هل تمثل خطرًا على الإيمان المسيحي أم هي معين له؟

لقد أعطى العلامة ترتليان – في ذلك الحين – إجابة واضحة وقاطعة اتسمت بالعنف الشديد[١]، إذ يقول[٢]: [أية شركة بين الفيلسوف والمسيحي، بين تلميذ اليونان حليف الباطل وتلميذ السماء عدو الباطل وحليف الحق؟ حتى حكمة سقراط لم تصل إلى شيء يعتد به، لأنه ليس ثمة شخص يمكنه أن يعرف الله معرفة حقيقية بغير المسيح، أو يعرف المسيح من دون الروح القدس، ثم أن سقراط نفسه يعترف أن جنًا كان يقوده ويهتف في قلبه. أما أفلاطون فيقول أنه من العسير أن يجد الإنسان صانع الكون ووالده، بينما أبسط مسيحي قد وجده].

يرى ترتليان أن الهراطقة وجدوا أسلحتهم في الفلسفة، ففالنتينوس أخذ هرطقته عن أفلاطون، ومرقيون عن الرواقيين والأبيقوريين وغيرهم من الفلاسفة. لهذا كثيرًا ما يردد تليان تحذير معلمنا بولس الرسول: "احذروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة" (كو ٢: ٨).

هكذا يرفض ترتليان بطريقة قاطعة أي دراسة فلسفية، إذ يقول: [أية شركة بين أثينا وأورشليم، أو بين الأكاديمية والكنيسة، أو بين الهراطقة والمسيحيين؟! تعاليمنا تأتى من رواق سليمان الذي علمنا أنه يجب علينا أن نطلب الله ببساطة قلب كاملة. أنه لأمر رديء أن يقيم البعض مسيحية رواقية أو أفلاطونية أو جدلية. أما نحن فلم يعد لدينا حب استطلاع بعد أن عرفنا يسوع المسيح، ولا نطلب أن نبحث عن شيء بعد الإنجيل. مادمنا قد آمنا فما حاجتنا أن نؤمن بشيء آخر. أن أول بنود إيماننا هو ألا نؤمن بشيء غير هذا الإيمان][٣].

أما القديس هيبوليتس وإن كان له معرفة أوسع مما لترتليان لكنه لم يكن متعاطفًا مع الهيلينية أو فلسفتها التي نظر إليها كمصدر للهرطقات.

أما القديس أكليمنضس الإسكندري فقد أخذ موقفًا مخالفًا، فقد أمن أن دستور الكنيسة والكتب المقدسة لا يتعارض مع الفلسفة، وأنه لا عداوة بين المسيحية والفلسفة. وتتلخص نظرته إلى الفلسفة في النقاط التالية:

١. أن الفلسفة ليست عملاً من أعمال الظلمة، بل في كل مذهب من مذاهبها يشرق عليها شعاع نور[٤] من اللوغوس... ففي بداية كتابة "المتفرقات Stromata" انتقد القائلين بأن الفلسفة شر، ووعد أنه سيوضح – خلال هذا العمل – أنها من جانب هي "عمل التدبير الإلهي"[٥].

[1] Lebreton, p. 745.

[٢] دفاع ٤٦ (ترجمة أنبا غريغوريوس).

[3] Tertullian: De Prescriptione 7: 9. 13.

[4] Strom. 1: 13.

[5] Ibid 1: 4.

في رأيه أن غاية الفلاسفة في كل المدارس الفلسفية هي ذات غاية المسيحية، ألا وهي الحياة السامية، ولكن الفارق هو أن الفلاسفة لم يتمتعوا إلا بقبسات من الحق، أما المسيحية فأعلنت الحق كاملاً في المسيح[١]. الفلسفة – في رأيه – أقل من الحق[٢]، لكنها ليست بلا قيمة[٣]. لهذا فهو يرى الفلاسفة أطفالاً بقوا هكذا حتى جعلهم السيد المسيح رجالاً.

٢. خلال هذه النظرة أراد أن يقدم تعريفًا للفلسفة من وجهة نظره، فقال: [أقصد بالفلسفة لا المذهب الرواقي أو الأفلاطوني أو الأبيقوري أو الأرسطاطلي، بل ما قد قيل بحق في كل المذهب منها، حيث يعلم بالبرّ جنبًا إلى جنب مع العلم التقوى. هذا الاختيار الكلى أدعوه "الفلسفة". أما نتائج التعقلات البشرية التي يقطعها البشر ويزيفونها فليست فلسفة][٤].

كأن الفلسفة في ذهنه تحمل جانبين: الجانب الإلهي هو عطية الله، وهو نصيب من الحق...، وجانب بشرى من وضع الفكر الإنساني، يزيف الحق ويفسد، هذا الذي حذر منه الرسول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي (٢: ٨). رأى في كتب الفلاسفة ودود أعشاب كثيرة[٥]، وذلك على خلاف الكتاب المقدس.

أما تعليله لوجود الجانبين في الفلسفة فيقوم على أساس أن كل ما هو صالح يأتي من قبل الله[٦]، قدمه لنا ليس كهدف في ذاته وإنما مبذرة يلقيها اللوغوس على الأرض فتأتى بثمر صالح أو شرير، وذلك حسب نوع التربة إن كانت صالحة أو حجرية[٧].

خلال هذه النظرة نراه تارة يدافع عن الفلسفة في جانبها الحق، وأخرى يهاجمها في الشوائب التي دخلت إليها. تارة يرى في الفلسفة تحمل جانبًا من الحق، وأخرى يراها تعليمًا تمهيديًا للوصول الحق. وثالثة يراها ليست الحق ولا هي الخطأ ورابعة أنها مطلوبة لاكتشاف الحق المزيف، وذلك كالصراف الذي يتعرف على العملة المزيفة ليعرف الأصلية.

٣. يرى القديس أكليمنضس أن عناية الله لم تتجاهل أي شعب مطلقًا. ففي رأيه كما أن الله قد أعد العبرانيين بالناموس ليقودهم للسيد المسيح، هكذا استخدم الفلاسفة بالنسبة لليونانيين للبلوغ بهم إلى ذات الهدف.

في هذا يقول: [قبل مجيء الرب كانت الفلسفة ضرورية لليونانيين للبرّ، وأما الآن فقد أصبحت موصلاً للتقوى، بكونها نوعًا من التدريب الإعدادي للذين ينالون الإيمان خلال البرهان... لقد أعطيت الفلسفة اليونانية مباشرة، وبطريقة بدائية إلى أن يدعوهم الرب. وكما يقود الناموس العبرانيين للمسيح (غلا ٣: ٢٤)، هكذا كانت الفلسفة إعدادًا، تهيئ الطريق الذين يتكملون في المسيح][٨].

[1] W. Fairweather: Origen & Greek Patristic Theology, Edinburgh 1901, p. 15.

[2] Ibid 1: 98.

[3] Ibid 1: 15.

[4] Stromata 1: 7.

[5] Ibid 1: 7. 3.

[6] Ibid 1: 5: 28.

[7] Ibid 1: 7: 37.

[8] Stromata 1: 5 (A.N. Frs, vol 2, P 305).

"الله الواحد الحقيقي هو المصدر الوحيد لكل جمال، سواء الجمال الهيليني أو الجمال الخاص بنا"[١].

"كأن الفلسفة اليونانية تطهر النفس وتعدها لقبول الإيمان، الذي عليه يبنى الحق (المسيح) صرح المعرفة"[٢].

لقد استخدم القديس كلمات بولس الرسول مع الإثينيين ليجتذبهم للإيمان خلال أقوال شعرائهم (أع ١٧: ٢٢– ٢٨) كمثال حيَّ لتأكيد نظريته...

خلال هذه النظرة رأى بعض الكتَّاب في القديس أفلاطونيًا أو أفلاطونيًا حديثًا أو على الأقل مدافعًا عن الفلسفة الهيلينية في المسيحية فيقول Fillinton: [من يعطى اهتمامًا لأكليمنضس الإسكندري يدافع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن سَّر الهيلينية في المسيحية][٣].

٤. أكد القديس بأمثلة عديدة أن اليونانيين قد استعاروا الكثير من العهد القديم[٤]. قال أن أفلاطون انتحل آراء موسى والأنبياء، ولو أنه لم يقمها بطريقة صادقة. كما شبه الفلسفة اليونانية بالشريعة الموسوية، ومع ذلك فكثيرًا ما أكد أن الإيمان هو أساس كل معرفة[٥]، أعظم منها والحكم عليها[٦]، كما دافع عن الإيمان ضد الفلاسفة[٧].

٥. إذ عرف القديس العالم بجانبيه الوثني والمسيحي، عرف الكتابات اليونانية الكلاسيكية كما عرف الكتاب المقدس بعهديه، فكان كمن داره سواء بالنسبة للفلسفة أو اللاهوت المسيحي. لهذا أعتقد أنه ليس من واجب الكنيسة أن تثبط همة الموعوظين عن متابعة دراستهم الفلسفية، إنما تستطيع الكنيسة أن تعطى مسحة مسيحية للفلسفة بثقافتها وتعليمها.

لقد أوضح القديس[٨] أن الغنوسي أو المسيحي الأمثل يستخدم كل أنواع المعرفة ولا يخاف الفلسفة بل يستفيد منها. حقًا إن الجماهير تخاف الفلسفة كما يخاف الأطفال من القناعات لئلا تضلهم الطريق. لكن المسيحي يقدر بالإيمان أن يعرف الحق ويميزه؛ يفصل الحق غير المتغير عن الآراء الباطلة، فيكون كالصراف الذي يقدر بخبرته أن يفصل العملة الحقيقية عن الزائفة... هكذا لا ينخدع الغنوسي بالكلمات الزائفة، وكما يصرخ داود قائلاً: "البار لا يتزعزع إلى الأبد" (مز ١١٢: ٦)، لا بالكلمات الزائفة ولا باللذات الخاطئة. إنه لن يتزعزع عن ميراثه "لا يخشى من خبر سوء" (مز ١٢٢: ٦)، فلا ترعبه افتراءات لا أساس لها، ولا يهتز من آراء باطلة تنتشر حوله.

[1] Hans von Campenhausen, P 30, Stromata 1: 28.

[2] Stromata, 7: 3. ANF, vol 2, p. 528.

[3] Tollinton, Clement of Alexandria, London 1914, P IX.

[4] Strom 2: 5.

[5] Ibid 2: 4.

[6] Ibid 2: 4: 5.

[7] Ibid 2: 2: 8.

[8] Ibid 6: 10.

في نفس الفصل يوضح أكليمنضس أن الغنوسي يستخدم الفلسفة بطريقة صالحة لمعرفة الحق الذي يظهر فيها جزئيًا، أما الهراطقة فيستخدمونها بطريقة شريرة للتضليل. هذا وفي رأيه أن الفلسفة أيضًا قادرة على فضح أخطاء السوفسطاييين وإظهار انحرافهم...

الغنوسية الحقيقية

تحدثنا قبلاً عن الغنوسيين الذين وضعوا في قلوبهم أن تحل المعرفة أو الغنوسية محل الإيمان كطريق للخلاص، حتى صارت كلمة "غنوسيون" تشير إلى مجموعات من الهراطقة. لكن القديس إكليمنضس أعطى للكلمة فهمًا مسيحيًا جديدًا، إذ رأى في الكلمة تعبيرًا عن "المسيحيين الذين يعيشون في معرفة الله"، ومنعًا للبس يستخدم البعض العبارتين "غنوسي حقيقي" و"غنوسي مسيحي" تمييزًا عن "الغنوسي الهرطقي".

من هو الغنوسي؟

في كتابه الثاني من المتفرقات اشترط إكليمنضس في الغنوسي ثلاثة أمور[1]: التأمل، تنفيذ الوصايا، تعاليم الصالحين. إن فقد المؤمن أحد هذه الأمور تعطلت غنوسيته[2]. وكأن الغنوسي يجب أن تكون له المعرفة (الغنوسية) الإلهية التي دعاها "التأمل"، وأن يعيشها عمليًا أي تنفيذ الوصايا، وأن يسلك بروح الكنيسة له "تعاليم الصالحين".

لقد أوضح Walthar Volker حسنًا أن غنوسية إكليمنضس إن كانت تنتعش بضبط الإنسان نفسه لكنها فوق كل شيء هي معرفة الكتب المقدسة خلال الاستنارة بعمل المسيح، على ضوء تقليد الكنيسة[3].

غاية الغنوسية

١. الغنوسية (المعرفة) الحقيقية هي الدخول إلى معرفة الله ورؤيته واقتنائه... هذه المعرفة في حقيقتها هي ممارسة للحياة السماوية، الحياة الفائقة التي لنا في المسيح يسوع، فنتساوى مع السمائيين ونتشبه بالله. "الغنوسي إلهي؛ صار مقدسًا، يحمل الله وهو محمول من الله"[4].

الغنوسي الحقيقي يعرف أن البصيرة الروحية توهب لأنقياء القلب المتواضعين، الذين يسلكون مع الله كأطفال مع أبيهم، يرتفعون بواسطة المعرفة من الإيمان إلى الرؤية الطوباوية التي فوق هذه الحياة، وذلك خلال الاتحاد بالله (التأله)، الأمر الذي رمز إليه بواسطة قدس الأقداس في خيمة الاجتماع[5].

يقول في كتابه Protreptiecus أن كلمة الله صار إنسانًا لكي يتعلم الإنسان أن يصير إلهًا. وفي كتاب المتفرقات يدعو الغنوسيين أبناء وآلهة.

مصدر الغنوسية

أوضح إكليمنضس في مواضع متفرقة أن الله هو مصدر كل شيء صالح ونافع، لذلك رأى أن كل نقاط الحق الجزئية التي وجدت عند الفلاسفة إنما هي عطية إلهية. أما الغنوسية في كمالها أو الحق الكامل إنما **هو عطية الله خلال الابن، هبة المسيح نفسه لنا.**

[1] Stromata, 2: 10.

[2] Louis Bouyer: The Spirituality of the N.T. & The Fathers, 1960, P 265 f.

[3] Walther Volker: Der Waher Grostiker nach Clemens Alexandrinus, Berlin - Lepzig, 1952.

[4] Strom 7: 13.

[5] Chadwick: The Early Church. p. 97.

[قد يقول قائل أن اليونان اكتشفوا الفلسفة خلال الفهم البشري، لكنني أجد الكتاب المقدس يقول بأن الفهم هو من عند الله. لذلك يصرخ المرتل، قائلاً: "أنا عبدك فهمني..." (مز ١١٩: ١٢٥)...[١]]

[الغنوسية، التي هي المعرفة وإدراك الأمور الحاضرة والمستقبلية والماضية، كأمور أكيدة وموثوق فيها، يمنحها ابن الله الذي هو "الحكمة" ويعلنها...][٢].

أوضح إكليمنضس أن السيد المسيح يهب الغنوسية **خلال قراءة الكتاب المقدس**[٣] بروح كنسي حتى لا نسيء فهمها كالهراطقة. بهذا نحمل الكمال بسلوكنا الإنجيلي الكامل، إذ يقول: [بقبول الإنجيل يصير الإنسان كاملاً بعد ما كان سالكًا حسب الناموس[٤].]

يؤكد أيضًا أن **المعمودية** تجعل الغنوسية ممكنة بالنسبة لنا، باستنارة عيوننا الداخلية[٥].

أعطى القديس اهتماما **بالحب** كمصدر للغنوسية، فإنها عليه تتأسس: الله حب، يعرفه الذين يحبونه... لهذا يلزمنا أن ندخل إلى معرفة خلال الحب الإلهي، فتتأمل الشبه بشبيهه[٦]. نعرف إله الحب بممارسة الحب، ممارسة الحياة السماوية.

الغنوسي وحياة الكمال

الغنوسية ليست مجرد معرفة نظرية. لكنها دخول إلى "كمال المسيح"[٧]، دخول من الناموس إلى السيد المسيح مكمل الناموس[٨]...

هذا الكمال في الجسد كما في الروح، فيتقدس الإنسان كله بكمال المخلص[٩]. بهذا ينجح الإنسان بانشغاله بالله، أخلاقيًا (سلوكيًا) وجسديًات وذهنيًا[١٠]. فكما تمجد وجه موسى خلال البرّ الداخلي، هكذا يحمل جسد الغنوسي ختم بر النفس[١١].

لقد أكد القديس أن الغنوسيين الحقيقيين هم وحدهم الأنقياء الحقيقيين وعبَّاد الله كما يليق[١٢].

سمات الغنوسي

خصص القديس فصولاً كاملة في عمله "المتفرقات" عن سمات الغنوسي الحقيقي، أو كما لقبه "الكامل"، وإذ يطول عرض هذه السمات اكتفي بعرض بعضها:

[1] Strom. 6: 8.

[2] Ibid. 6: 7.

[3] Ibid 6: 7.

[4] Strom 4: 21.

[5] Paed. 1: 28: 1.

[6] Strom. 5.

[7] Ibid 4: 21.

[8] Ibid.

[9] Ibid 4: 26.

[10] Ibid.

[11] Ibid

[12] Ibid 7: 1.

١. **محب المعرفة:** الغنوسي ليس فقط صاحب معرفة لكنه يلتهب شوقًا نحو المعرفة...

"يجب على الغنوسي أن يكون كثير المعرفة"[١].

"الغنوسي الذي أتحدث عنه يدرك ما يبدو الآخرين غير مدرك، إذ يؤمن أنه ليس شيء غير مدرك لدى ابن الله، وليس شيء لا يمكن تعلمه. الذي تألم حبًا فينا لا يخفي شيئًا من المعرفة اللازمة لتهذيبنا"[٢].

"يبدو لي أنه يوجد أمور ثلاث في قدرة الغنوسي: أولاً: معرفة الأشياء، ثانيًا: تنفيذ ما يقترحه الكلمة (اللوغوس)، ثالثًا: القدرة على تقبل الأسرار المخفية في الحق..."[٣].

اعتمد إكليمنضس على كلمات سفر الحكمة[٤] في أهمية حب المعرفة في نوال الغنوسية: "الحكمة براقة لا تذبل، يراها الذين يحبونها بسهولة، ويجدها الذين يلتمسونها. وتسبق وتتجلى بالنسبة الذين يشتهون معرفتها. من بكر إليها فما تعب، بل وجدها عند مداخله كائنة" (حك ٦: ١٢– ١٥). ويعلق على هذه العبارة قائلاً: [أظن أن (الحكيم) يعلم بأن التعليم الحقيقي هو الرغبة في المعرفة، والتدريب العملي للتعليم ينجم عنه محبة المعرفة.]

٢. **يطلب الصلاح لأجل ذاته:** الغنوسي الحقيقي هو الذي في معرفته يمارس الصلاح ليس خوفًا من العقاب ولا لطلب المكافأة، إنما يجد فيه لذته، يطلب الصلاح لأجل الصلاح نفسه. فقد شبه أكليمنضس الإنسان الزاهد عن خوف بالكلب الذي يكف عن أكل اللحم تحت تهديد العصا.

"الإنسان الذي له الفهم وحدة الذهن هو غنوسي، عمله ليس الامتناع عن الشر أو صنع الخير عن خوف... ولا من أجل المكافأة الموعود بها... إذ قيل[٥]: "هوذا الرب ومكافأة أمام وجهه ليجازى كل واحد حسب أعمله، ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن. وما لم يخطر على قلب إنسان ما أعده الله الذين يحبونه"، إنما يفعل هذا عن حب، من أجل سمو الصلاح ذاته، بهذا يحسب غنوسيًا... لمثل هذا يقول الرب: "كونوا كاملين كما أن أباكم هو كامل"... والآن من يطيع الدعوة ذاتها، لا عن خوف ولا من أجل المكافأة يكون ساكنًا في طريق المعرفة (الغنوسية)"[٦].

٣. **لا يخضع لآلام النفس:** يخضع الغنوسي لآلام الجسد الضرورية للمحافظة عليه مثل آلام الجوع والعطش وما أشبه ذلك، لكنه يسمو على آلام النفس، أي الشر الذي يفقد النفس سلامها.

"يخضع الغنوسي فقط للمؤثرات الخاصة بالحفاظ على الجسد مثل الجوع والعطش وما أشبه ذلك. إذ تحدث هذه المؤثرات بطريقة متعقلة تكون صالحة، لكن الشخص الكامل لا يقبل مؤثرات أخرى إضافية، فلا يقدر أن يمارس الجسارة (كألم نفسي) إذ لا يواجه شيء بخوف، ولا يرى في الحياة ما يرعب، ولا يستطيع أمر أن ينزع عنه محبته لله... ولا يغضب (ألم نفس آخر) إذ يرى في الله أنه دائم الحب له، وأنه (هو) دائم الاتجاه نحو الله وحده، فلا يبغض أحدًا من خليقة الله. ولا يعود يحسد، لأنه ليس في عوز إلى شيء من الأمور اللازمة لتجعله

[1] Stromata 6: 8.

[2] Ibid

[3] Str m 7: 1.

[4] Ibid 6: 15.

[٥] (أش ٤٠: ١٠، ٦٢: ١) ، (رؤ ٢٢: ١٢) ، (رو ٢: ٦).

[6] Strom. 4: 22.

شخصًا ممتازًا وصالحًا. وبالتبعية لا يحب أحدًا بالمفهوم العام للعاطفة إنما يحب الخلق في خليقته...، "ولا يرغب بشغف أن تبتلعه الأمور الجميلة، إذ هو يملك جمال الحب..."[١]

٤. **مملوء حبًا:** ركز القديس أكليمنضس على "الحب الكامل" في حياة الغنوسي كسمة من سماته، فهي التي تهدأ آلام نفسه وميولها المضطربة بسبب طبيعتها الساقطة، لتصير في انسجام، فتدخل إلى حالة الثبات وكأنها تتذوق الأبدية[٢].

بالحب تدخل النفس إلى الكمال العملي، فتنسحب من سلبيتها التي كانت تعيشها أثناء سقوطها. كما يتحدث عن عمل الحب في حياة الغنوسي، قائلاً: "الحب هو حفظ الوصايا التي تقود إلى المعرفة. وحفظ الوصايا هو تأسيس للوصايا الواهبة عدم الموت، وعدم الموت يقربنا لله"[٣].

٥. **تقي:** "الغنوسي إنسان تقي يهتم أولاً بنفسه (خلاصها) وبعد ذلك بقريبه حتى يكون الكل صالحًا جدًا. فإن الابن يفرح أباه الصالح بظهوره صالحًا على شبه أبيه... أنه في مقدورنا أن نؤمن وأن نطيع!"[٤].

"الغنوسي، من كل ناحية، يشهد للحق بالعمل والكلام، إذ يسلك باستقامة في كل شيء، بالكلام والعمل والفكر أيضًا... الغنوسي وحده بالحق هو تقي وعادل ويخاف الله"[٥].

٦. **يتمم إرادة الله:** "يتذوق الغنوسي إرادة الله، فلا ينصت للمكتوب (الشريعة المكتوبة) بأذنيه إنما بنفسه!"[٦]. خلال هذه الطاعة المملوء حبًا لإرادة الله يظهر كصديق لله وأبنًا له: "الغنوسي كمحب للحق الواحد الحقيقي يكون إنسانًا كاملاً، صديقًا لله، ويحسب ابنًا"[٧].

٧. **لا يخشى الموت:** "(الغنوسي) بحق لا يضطرب من شيء ما... لا يخشى الموت، إذ له الضمير الصالح وتهيأ لمعاينة القوات (السمائية)..."[٨]

٨. **رجل صلاة:** "حياته كلها صلاة وحديث مستمر مع الله... صلاته هي شكر من أجل الماضي والحاضر والمستقبل الذي يراه بالإيمان حاضرًا"[٩].

٩. **شهيد:** لقب القديس أكليمنضس الإنسان الغنوسي الحقيقي، الذي له شركة اتحاد مع الله "شهيدًا"[١٠]. فإن الاستشهاد – في نظره – ليس في بطولة الشهيد بل في الشهادة للحق المسيحي، فيحتمل المؤمن بشجاعة آلامًا ما فوق ما تحمله الطبيعة البشرية.

[1] Strom. 6: 9..

[2] Louis Bouyer: Spirituality of the N.T. & the Fathers, 1960, P 274.

[3] Strom 6:15

[4] Strom 7: 9.

[5] Ibid.

[6] Ibid 7: 11.

[7] Ibid.

[8] Stromata, 7: 13.

[9] Ibid 7: 11.

[10] Ibid 4: 12.

المعلم والتعليم

تركز لاهوت أكليمنضس حول "التعليم المسيحي" فيرى في الله الكلمة "اللوغوس" معلمًا أولا وقبل كل شيء، يقوم بدوره التعليمي خلال التاريخ البشرى كله، نطق به الأنبياء، كما عمل في شعراء اليونان، وأخيرًا ظهر متجسدًا.

لخص أكليمنضس العمل الإلهي في هذه العبارة: "باختصار يعمل الرب معنا كما نفعل نحن أيضًا مع أبنائنا"[1]. إن كان عملنا مع أبنائنا هو "التربية" فهذا هو العمل الإلهي... لذا دعي ابن الله "المربى" مقدمًا لنا منهجًا تربويًا على مستوى إلهي للعمل على تجديد العالم كله.

من هو المعلم؟

المعلم الإلهي ليس مجرد مقدم لوصايا ونواميس، لكنه قادر على التغيير الشامل لحياة الإنسان... أنه يقدم "حياة" يمارسها المؤمنون بمعرفة.

"من هو؟ تعلموا باختصار أنه كلمة الحق، كلمة عدم الفساد، الذي يجدد الإنسان إذ يره إلى الحق. أنه المهماز الذي يحث على الخلاص. هو محطم الهلاك وطارد الموت. أنه يبنى هيكل الله في الناس، فيأخذهم لله مسكنًا له".

"يحتاج المرضى إلى مخلص،
ويحتاج الضالون إلى مرشد،
يحتاج العميان إلى من يقودهم إلى النور،
والعطاش إلى الينبوع الحيَّ الذي من يشرب منه لا يعطش أبدًا
والموتى إلى الحياة،
والخراف إلى راعى،
والأبناء إلى معلم؛
تحتاج كل البشرية إلى يسوع!"[2].

"على هذا الأساس يدعى اللوغوس "المخلص"، إذ يبتكر علاجًا لشفاء الإنسان وخلاصه. ينتهر الفرص المناسبة ليكتشف الخبايا المؤذية، ويفضح علل العواطف، ويقطع جذور الشهوات الحيوانية، ويحذر الإنسان من الأمور الواجب الكف عنها، ويمده بكل نوع من الترياق الشافي. فإن خلاص الإنسان هو أعظم أعمال الله وأسماها.

وصف المعلم هكذا: [معلمنا أيها الأبناء يمثل الله أباه. إنه ابن الله الذي بلا خطية ولا عيب، نفسه فوق الآلام[3] Passionless. إنه الله الذي بلا دنس في صورة بشرية، العامل إرادة الآب، الله الكلمة، الله في شكل بشرى! بالنسبة لنا، هو الصورة غير الدنسة التي ينبغي علينا أن نبذل كل الجهد لتكون نفوسنا متشبهة به هو بلا

[1] Strom 1: 9.

[2] Paed. 2: 9.

[3] Paed 1: 12.

شهوة بشرية تمامًا، الديان وحده الذي بلا خطية، أما نحن فنبذل كل الجهد أن نحفظ نفوسنا من الخطية قدر المستطاع][1].

غايته في التعليم

غاية معلمنا أن يعلن لنا الحق؛ فالسيد المسيح كمعلم يثقف الإنسان ليدربه على اكتشاف الحق[2] الذي في المسيح يسوع.

لا يقف عمل المعلم عن كشف الحق وإنما يولد في النفس شوقًا لمعرفة الحق، إذ يقول: "التدريب على التعليم Paideia يولد حب المعرفة"[3].

أخيرًا فإن الحق المعلن في المسيح ليس معرفة عقلية فلسفية نظرية، إنما تحمل قوة العمل: "غايته إصلاح النفس لا أن تتعلم (فقط)؛ يرفعها إلى الحياة الفاضلة، لا مجرد نوال معرفة عقلية"[4].

موضوع التعليم

الموضوع الرئيسي الذي يركز عليه اللوغوس في تعليم الأبناء "الحب"، أما العنصر الأساسي في الناموس القديم فقد كان "الخوف". لقد أظهر أنه لا تعارض بين الحب والخوف، ولا بين البرّ (العدل) والحب. فالمعلم يحب ويؤدب في نفس الوقت. بهذا دحض أكليمنضس تعليم مرقيون الذي أقام فصلاً كاملاً بين معاملة الله للناس في العهد القديم ومعاملته لهم في العهد الجديد.

في حديثه عن تأديبات الله المخفية يقول: [في تدبيره لا يقدم لطفًا فحسب، وإنما يقدم أدوية الصرامة أيضًا. جذور الخوف المرة توقف أكل مرارة خطايانا. فالخوف مفيد وإن كان مرًا][5].

مكان التعليم

كان أكليمنضس رجلاً كنسيًا، يرى في الكنيسة موضع رعاية الله، إذ يقول: [أطعمنا نحن الأبناء كخراف. نعم أيها السيد املأنا بالبرّ في مرعاك. نعم، لتقوتنا أيها المعلم على جبالك المقدسة، الكنيسة، المرتفعة كالبرج، فوق السحاب، تتلامس مع السماوات][6].

[1] Paed 1: 2: 4.

[2] Strom 4: 6.

[3] Strom 4: 15.

[4] Paed 1: 1: 1.

[5] Paed. 1: 9. AN. Frs., vol 2, P 230.

[6] Ibid, P 281.

الكتاب المقدس

الجهل والباطل في عين أكليمنضس هما أشر الخطايا[١]، لهذا كان محبًا للقراءة لمعرفة الحق. يظهر اتساع إطلاعه في كتاباته حيث أقتبس أكثر من ٧٠٠ نصًا من ٣٤٨ مؤلفًا وربما أكثر[٢].

أما بخصوص الكتاب المقدس فيراه المرجع الأخير[٣] والحاسم... آمن أن "الذي يؤمن بالكتاب المقدس وبصوت الرب العامل لخير البشرية مؤمن حقًا"[٤]. لهذا انسكب على دراسة الكتاب المقدس كله، وكان مغرمًا على وجه الخصوص بسفر المزامير، ومعجبًا بالحكمة البارعة في سفري الأمثال والحكمة. كان في ذهنه على الدوام أشعياء، وأرميا، وحزقيال أما عن العهد الجديد فكان محبًا للموعظة على الجبل وإنجيل القديس يوحنا.

الكتاب المقدس والهراطقة

إذ يتحدث القديس أكليمنضس في نهاية الكتاب السابع من "المتفرقات Stromata" [٥]. عن الهرطقات والهرطقة يرى "الحق" هو العنصر الأساسي في المسيحية. أما المبدأ الأول للحق فهو الرب المتكلم خلال الكتاب المقدس[٦]؛ الرب الذي قاد الأنبياء والإنجيليين والرسل هذا الذي منه أخذنا براهين إيماننا.

قبلنا الحق خلال الكتاب المقدس، خلال صوت الرب نفسه وليس خلال آراء الناس كما يفعل الهراطقة. فإن الهراطقة، وإن كانوا يستخدمون الكتاب المقدس لكنهم لا يعرفون الحق. أنهم يقرأون الكتاب المقدس بطريقة سطحية، يقرأونه في كسل دون أن يدخلوا إلى أعماقه. بهذا لا يتعلمون أسرار معرفة الكنيسة[٧]. أنهم ليسوا من النضوج ليستوعبوا عظمة الحق.

هذا والهراطقة يسرقون مقتطفات من الحق ويدفنونها في نظام فكرى بشرى، يقتطفون عبارات متفرقة ومقاطع غامضة ويشكلونها حسب أهوائهم. بهذا لا يدخلون الكنيسة من بابها الرئيسي إنما يدخلون من باب جانبي خفي... لهذا يصير الكتاب المقدس بالنسبة لهم عقيمًا، أما بالنسبة للكنيسة فالكتاب يكون أشبه بالقديسة مريم العذراء التي تحمل أسرار الحق مخفيًا داخلها، فتنجب "الحق".

فيما يلي مقتطفات من كلماته عن الهراطقة وعلاقتهم بالكتاب المقدس:

[1] Carl S. meyer: The Church, P 32.

[2] Ferguson: Clement of Alexandria, P 17.

[3] S.P. Wood: Clement of Alexandria, 1954, P XI.

[4] Stromata 7: 16.

[5] Ibid 7: 15- 18.

[6] F.F Osborn: The philosophy of Clement of Alexandria, ch 9.

[7] Strom 7: 97.

"إن كان الذين يتبعون الهراطقات يتجاسرون ويحتمون في الكتب النبوية، فإنهم في المكان الأول لا يستخدمون الكتب المقدسة كلها ولا يقتبسون العبارات كاملة... إنما يختارون عبارات غامضة يحرفونها لخدمة آرائهم الخاصة، ويجمعون عبارات قليلة من هنا وهناك، غير مهتمين بالمعنى إنما بمجرد استخدام للكلمات في أغلب اقتباساتهم تجدهم يهتمون بالألفاظ وحدها محرفين المعاني... فلا يستخدمون الاقتباسات التي يدللون بها في طبيعتها الحقيقية"[١].

"مع أنهم يتحدثون عن الله الواحد، ويسبحون بالترنيمات للمسيح، لكنهم يتكلمون بغير تدقيق، مخالفين الحق، إذ اكتشفوا إله آخر وقبلوا مسيحًا ليس حسب النبوات. هؤلاء تعاليمهم باطلة، تعارض الحق، وهم ضدنا"[٢].

"الكتب المقدسة بالنسبة للغنوسيين (الذين لهم معرفة حقيقية) هي حبلى، أما بالنسبة للهراطقة تبدو غير حبلى لأنهم لا يفهمونها"[٣].

"ليت الذي تقبل الإنجيل مرة، حتى في الساعة التي دخل فيها إلى معرفة الخلاص، ألا ينظر إلى الوراء كما فعلت امرأة لوط، ولا يرتد إلى حياته الأولى المرتبطة بالحسيات أو الهرطقات"[٤].

التفسير الرمزي

استخدام القديس أكليمنضس للرمزية هو أحد ملامح فكره المميزة والثابتة. فإن الرمزية بالنسبة له تخفي الحق وتعلنه في نفس الوقت؛ تخفي معانيها عن الجهلاء الذين أعمتهم الخطية وأعاقهم الكبرياء عن الدراسة المملوءة صبرًا. وفي نفس الوقت تعلن أمورًا جديدة لعيون المؤمنين الجديدة[٥]. ويعتبر أكليمنضس أول من قدم نظرية الرمزية وحاول تبريرها بطريقة عملية، إذ يقول:

[يخفي الكتاب المعنى لأسباب كثيرة:

أولاً لكي يكون موضع بحث منا، نسعى على الدوام لاكتشاف كلمات الخلاص...

كذلك لا يليق أن يفهم الكل، لئلا يصابوا بالضرر خلال تأويلهم الأمور الخاصة بإعلان الخلاص... لذلك حجبت الأسرار النبوات المقدسة خلال أمثال، لكي تحفظ للمختارين، الذين يختارون للمعرفة خلال إيمانهم...][٦].

في رأيه أن الرمزية أيضًا تحفظ الحق من السخرية عليه أو تدنيسه، فالحق كاللؤلؤة أثمن من أن تقدم للخنازير، لذلك يجب أن تخفي التعليم التقليدي الشفوي ضروري لتفسيره[٧].

[1] Strom. 7: 16: 96.

[2] Ibid 6: 15.

[3] Ibid 7: 16.

[4] Ibid 7: 16.

[5] F.F. Osborn. p. 10, 11.

[6] Strom. 6: 15

[7] F.F. Osborn. p. 11.

رمزية الكتاب المقدس تشبه بتولية القديسة مريم حتى بعد ولادة السيد المسيح... [يقول البعض أنها وجدت عذراء حتى بعد أن ولدت. هكذا بالنسبة لنا كتاب الرب المقدس، يلد لنا الحق ولا يزال عذراء، إذ يحمل ختم أسرار الحق][1].

أمثلة للرمزية

يرى القديس أكليمنضس في "الحيوانات الطاهرة ذات الظلف المشقوق إشارة إلى الأرثوذكس الذين يتأملون شريعة الله باستقامة"[2].

ثوب يوسف الملون يشير إلى معرفة المتنوعة[3]، وفي قول الرب: "من ترك أبًا أو أمًا..." (متى ١٩: ٢٩). كلمة أب تشير إلى تنازل الإنسان عن حقه المدني، أما كلمة أمًا فتشير إلى الموطن أو القوت الذي يعوله[4]. وعدد عبيد لوط الذي أسروا كانوا ٣١٨ عبدًا لأن رقم ٣٠٠ في شكله يشير للصليب، ورقم ١٨ (يوتا وإيتا) يشير إلى أسم يسوع المخلص (أيسوس).

[1] Strom. 7: 16.

[2] Strom. 4: 4.

[3] Ibid 4: 5.

[4] Strom 4: 4.

الإلهيات

معرفة الله

١. نظرة القدّيس إكليمنضس الفلسفيّة في معرفة الله وجدت بوجه خاص في الكتاب الخامس من "المتفرّقات Stromata"، حيث أعطى إيمانًا ورجاءً في إدراك الذهن للأمور غير منظورة، والتي لا تستطيع الحواس أن تدركها[١]. أمّا طريق المعرفة فيمر بمراحل ثلاث:

أ. **المرحلة الأول**، وهي مرحلة التطهير من الخطيّة. يليق بالإنسان لكي يتمتّع بمعرفة الإلهيّات أن يتخلّص من أفكاره الخاطئة عن الله، التي هي ثمرة عبوديّته لأهوائه الجسديّة. خلال هذه الآلام يرى الإنسان في الأمور الماديّة هدفًا له، فيصير أبعد ما يكون عن الله.

استخدم القدّيس عبارات مقاربة لكلمات فيلون اليهودي الإسكندري: إذ يقول: **[إذ التحف غالبيّة البشر بأمور قابلة للموت كالقواقع المغلقة في الصدَّف، منطوين حول شهواتهم كالقنافذ أشبه بالكرة. صاروا يفكّرون في الله الطوباوي غير المائت بذات التعبيرات التي يفكّرون بها عن أنفسهم...**[٢]] لهذا يليق بالبشر أن يتخلّصوا من هذا الخطأ، فيتحرّرون من آلام النفس والمؤثّرات الأرضيّة لكي يدركوا الله.

ب. المرحلة الثانية هي التحليل المنطقي أو الابتعاد عن التفكير في الله بطريقة ماديّة جسدانيّة. فكلمات الإنجيل لا تفهم بطريقة حرفيّة؛ حين يتحدّث عن "يمين الله" مثلاً، لا يفهم أن لله يمين ويسار، بل هو فوق الزمان والمكان، فوق عالم الأسماء وفوق المفاهيم الأرضيّة.

تحدث إكليمنضس بدقّة أن الله لا يمكن الحديث عنه، فهو بلا شكل ولا اسم وأن ما لقب به من أسماء مثل: "الواحد أو الصالح أو العقل أو الوجود أو الآب أو الله أو الخالق أو الرب" هذه كلها أسماء غير دقيقة لا يمكن أن تصف الأبدي؛ لأن أي اسم يفقده وحدته وينزل به إلى عالم الأمور المحدودة العاديّة، لكن هذه الأسماء أعطيت لنا من أجل قصورنا حتى نقدر أن ندرك سلطان قدرته[٣].

الله فوق كل لغة، لهذا إنّما نتحدث عنه خلال الرموز، فلا تفهم الكلمات عنه بطريقة حرفيّة بل "غنوسيًا".

ج. **المرحلة الثالثة هي مرحلة الرؤية**. معرفة الله هبة إلهيّة، لا يمكن بلوغها بدون نعمته. حقًا إن الفلسفة تسندنا، لأنها تعرفنا ما هو ليس الله، وهو أمر هام، به تزول الأفكار الخاطئة التي في أذهاننا والتي في أذهان الآخرين. أمّا إدراك الله فلا يمكن بلوغه إلا بالنعمة الإلهيّة وحدها، فوق حدود الفكر المنطقي. هكذا يعبر بنا من الفلسفة إلى الدين، إذ يرى أن طريق المعرفة الإلهيّة هو الاتّحاد مع اللوغوس المولود من الآب، اتّحاد مع السيّد المسيح في القداسة. فإن الله غير المعروف يصير معروفًا خلال اللوغوس. من يرفض نعمة الله ويتجاهل اللوغوس يبقى الله بالنسبة له غير معروف...

إذن اللوغوس هو سرّ المعرفة الإلهيّة، التي ننعم بها خلال الاتّحاد معه وتمتّعنا بالحياة الجديدة التي لنا فيه. لهذا يقول في الكتاب السادس من "المتفرّقات" إن معرفتنا وفردوسنا الروحي هو مخلّصنا نفسه الذي فيه نزرع بعد أن نقلنا من الحياة العتيقة إلى التربة الصالحة... الرب نفسه هو معرفتنا. يليق بالغنوسي أن ينقل إلى

[1] Cf. Osborn, ch 5.

[2] Strom. 5: 68.

[3] Strom. 5: 11: 71; 5: 12: 81, 4: 18: 166; 2: 2: 6.

السيّد المسيح نفسه لكي يزرع فيه. يقتلع من جذوره القديمة ليتأصل في المسيح، بهذا يصير خليقة جديدة، يتحرّر من الإنسان العتيق والأمور العتيقة ليدخل الحياة الجديدة[١].

٢. الله هو رب العالم كله، لكننا لا نستطيع أن ندعوه "الكل"[٢]، لأن صفة "الكليّة" خاصة بالأشياء التي أوجدها الله. لا يمكن دعوته هكذا لأنه لم يخلقها صادرة عن كيانه أو ذاته لكنه أوجدها من العدم.

يرى الفلاسفة أن كل شيء مخلوق من شيء سابق له في الوجود، أمّا أإكليمنضس فأوضح أنه لا يمكن لله الواحد غير المنظور أن يصدر عن ذاته شيء من الخليقة، إنّما إرادة الله كليّة القدرة وكافية لخلقة كل شيء. إذ يريد الله شيئًا يأتي إلى الوجود. وكما يقول: [كل شيء يأتي إلى الوجود في الوقت الذي فيه يأمر الله. أنها تتبع عن إرادته المجرّدة، إذ يهب فتصير إلهيّة كائنة تمامًا][٣]. "ما يريده يصير حقيقة، واسم هذه الحقيقة هو العالم"[٤].

اللوغوس

يقوم نظام القدّيس إكليمنضس اللاهوتي على شخص "اللوغوس". وهو خالق العالم والأساس المطلق لكل الوجود، مصدر النور والحياة، بلا بداية ونهاية، لا يخضع للزمن. هو معلن عن الآب، مربى البشريّة ومعلمهم. خلال الاتّحاد به ينعم المؤمن بالميلاد الجديد مياه المعموديّة، حيث تتطهر نفسه من الخطيّة التي تفصلنا عن الآب، وتخلص من الانقسام الداخلي والحرب الداخليّة. فينعم بالسلام الداخلي، خادمًا الله في كل شيء، متممًا إرادة الله على الأرض كما في السماء.

خطة السيّد المسيح الخلاصية خطة جماعية، تشمل كل البشريّة عبر الأجيال، وتأتى بهم إلى الاتّحاد مع السيّد وبالتالي يتحقّق الاتّحاد مع بعضهم البعض[٥].

اللوغوس ومعرفة الله

١. يقول القدّيس إكليمنضس: [الله لا يمكن البرّهنة عليه، وبالتالي لا يمكن أن يكون موضوع معرفة. لكن الابن هو الحكمة والمعرفة والحق وما يماثل ذلك يمكن وصفه وتعريفه[٦].] الابن هو إعلان عقلي للآب، هو

[1] Osborn, ch 12.

[2] Paed. 3: 1; Strom 2: 28; 2: 68; 7: 14.

[3] Paed. 1: 26.

[4] Ibid 1: 27.

[5] Osborn, P 53.

[6] Strom 4: 156.

ختم مجد الآب، يعلمنا الحق[١]. هو صورة الله[٢]، وفكره[٣]، ووجهه[٤]. هو النور الذي به نعاين الله[٥]. يعلن عن طبيعة الآب[٦]، يدعى قوّة الله[٧] وذراعه[٨].

٢. أعلن الابن "اللوغوس" الآب خلال الناموس في العهد القديم وخلال الفلسفة عند اليونانيّين، وذلك بكونه الفهم والحكمة والحق ذاته. هو المعلم العظيم للبشريّة كلها. أمّا في ملء الزمان فقد تجسّد بكونه مخلّص الجنس البشري ومؤسس الحياة الجديدة، مجتذبًا إيّانا إلى الاتّحاد معه، واهبًا إيّانا شركة الطبيعة الإلهيّة.

تأنّس اللوغوس

بتأنّسه يدخل بنا إلى المعرفة والتأمّل، ويقودنا خلال الحب إلى الخلود والتألّه، رافعًا إيّانا إلى الحياة الإلهيّة. وكما قال القدّيس إيريناؤس: [صار الله إنسانًا لكي يصير الإنسان إلهًا[٩]]، هكذا يقول القدّيس إكليمنضس: [صار كلمة الله (اللوغوس) إنسانًا حتى تتعلم من الإنسان كيف يصير الإنسان إلهًا][١٠].

يتحدّث عن عمل اللوغوس المتأنّس في حياتنا، قائلاً: [إنه شمس البرّ الذي يقود مركبته فوق الكل؛ تنتشر أشعّته بالتساوي على كل البشريّة، وذلك مثل أبيه الذي يشرق شمسه على جميع البشر، وينزل ندى الحق عليهم. وإذ ينتزع الإنسان من الهلاك يرفعه إلى السمويّات، غارسًا المائت في الخلود، ومحوّلاً الأرض سماءًا. إنه الزارع الإلهي الذي يمنحنا ميراث الآب العظيم حقًا؛ الزارع الإلهي غير المتغيّر، الذي يؤله الإنسان بالتعليم السماويّة، واضعًا شرائعه في أذهاننا، وكاتبًا إيّاها في قلوبنا][١١].

لقد صار الابن إنسانًا ليس فقط لكي يصير منظورًا، وإنما لكي يتألم على الصليب من أجل خلاصنا... هذا الخلاص إنّما يعني اتّحاد الغنوسي الحقيقي مع الله بطريقة تمس كل حياته[١٢]. هو خلاص من الانقسام الداخلي ودخول إلى الاتّحاد مع المسيح لتكون حضرة الرب كائنة فينا ومعنا حتى أثناء عملنا اليومي، سواء كنّا نفلح الأرض أو نقلع بالمركب[١٣]. لخص مفهومه في الخلاص في هذه العبارة: "إذ نؤمن به وخلاله تصير واحدًا فيه بغير انفصال، أمّا جحده فيعني الانفصال والتغرّب عنه والانقسام"[١٤].

الاتّحاد مع اللوغوس المتأنّس

[1] Ibid 7: 58.

[2] Ibid 5: 94.

[3] Ibid 5: 16.

[4] Paed 1: 57.

[5] Prot 84.

[6] Strom. 5: 34.

[7] Ibid 7: 7.

[8] Prot. 120.

[9] St. Irenaeus: Adv. Haer. 3: 10: 2, 19: 1; 4: 33; 4, 11.

[10] Protr. 1, Strom. 4: 23; 7: 3, 7: 10, 7: 13.

[11] Prot. 11: 88.

[12] Strom. 7: 35.

[13] Ibid.

[14] Ibid 4: 157.

قلنا إن الخلاص هو اتّحاد مع اللوغوس خلاله ينزع عنّا روح الانقسام الداخلي لننعم بحضرة الله العاملة فينا في حياتنا اليوميّة. لقد تحدث كثيرًا عن فاعليّة هذا الاتّحاد فينا، نذكر منها:

أ. الميلاد الجديد في حياة البرّ والسلام الأبدي في الله. فالله يلدنا خلال أمنّا – مياه المعموديّة – فنحمل سمة الخلود.

ب. الاتّحاد مع المسيح إنّما هو تغيير لحياتنا الأرضيّة إلى حياة سماويّة. فقد دعي الغنوسي الذي يتأمّل في السماء والإلهيّات "سماءًا".

جـ. الاتّحاد مع السيّد المسيح إنّما يعني الطهارة والتحرّر من الخطيّة التي تفصلنا من الله، فقد اهتم بحزقيال (٤٤) حيث لا يسمح لغريب أن يدخل المقدّسات بل للاويّين... هكذا لا يدخل المقدّسات غير مؤمن بل المؤمنون الأنقياء. في الشرّيعة الموسوية إن مس كاهن جسد ميت يتدنس ويبقى سبعة أيام وفي اليوم الثامن يدخل إلى الكفارة. هكذا تشير الأيام السبعة إلى التكوين أو الخطيّة التي يجب أن يتخلّص منها الإنسان، أمّا اليوم الثامن فيشير إلى السماء، التطهير الكامل، الراحة العلّيا، الموضع الثابت المثالي...

د. أخيرًا، فإن الاتّحاد مع السيّد المسيح إنّما يعني خدمة الله بكل كيانّنا في العالم الذي خلقه. فلا ينظر الغنوسي إلى العالم كشرّ، إنّما يكرس حياته لأجل العالم وخدمته. يخدمه بذهنه وسلوكه وجسده، يخدمه بذهنه خلال الحكمة التي هي معرفة الإلهيّات والأمور البشريّة؛ وبسلوكه خلال العدل الذي يمارسه، وجسديًا خلال القداسة التي هي خدمة الله.

اللوغوس ومنهجه اللاهوتي

رأينا أن كتب أكليمنضس الثلاثة الرئيسية تمثل منهجه اللاهوتي من حيث دعوة البشريّة لقبول الإيمان، ثم تدريب المؤمن للتشبّه بالله، وأخيرًا تمتّعه بكمال المعرفة. هذا المنهج إن كان غايته هو خلاص الإنسان، لكن محوره في الواقع هو "اللوغوس" العامل في حياة البشريّة. ففي الكتاب الأول Protreptieus يطلب من الوثنيّين أن يجابهوا رفض الحياة الوثنيّة والاقتراب إلى اللوغوس مصدر النفس الإلهي. وفي الكتاب الثاني "المربّي Paedag" يضع النظام الذي من خلاله يسمح السيّد المسيح للنفس التي قبلته أن تبتر الآلام التي تعوق نموّها نحو الكمال. وذلك بقصد التشبّه بالله. وأخيرًا في كتاب المتفرّقات يسعى إلى بلوغ المؤمن إلى "المعرفة الحقيقيّة alethas gnosis" الأمر الذي يخص النفس التي بدأت في نوال الكمال في المسيح يسوع[١].

الروح القدس

الروح القدس هو قرة اللوغوس كما أن الدم هو قوّة الجسد[٢]. هو مسار للوغوس، يتكلّم بواسطة الأنبياء[٣]، إذ يعمل في كل الأبرار هو واحد في كل مكان[٤].

[1] L.G. Patterson: God & History in Early Christian Thought, London 1967, P 44.

[2] Paed 2: 20.

[3] Prot. 1: 8.

[4] Strom, 5: 33, Paed 1: 24.

الروح القدس يغسل نداه خطايانا ويقدّس نفوسنا وأجسادنا[1]، كما يربط بين الكنيسة المنظورة وغير المنظورة[2].

يحل الروح القدس في نفس المؤمن بقوته لا بأقنومه[3]. شرح ذلك بعبارة أخذها عن برناباس، قائلاً: [يسكن الله فينا حقًا كما في الهيكل، ولكن كيف؟ بكلمة إيمانه، بدعوة مواعيده، بحكمة شريعته، بوصايا تعاليمه][4].

وحدانية الله

من يؤمن بآلهة كثيرة وليس بالله الواحد الحقيقي يشبه اللقيط الذي لا يعرف أباه الواحد الحقيقي[5]. وقد أعلن الأقانيم الثلاثة في الله الواحد وتمايزهم مع تأكيد وحدانيّتهم. على سبيل المثال يقول: [أيها الإله العظيم! أيها الابن الكامل! الابن في الآب، والآب في الابن][6].

[1] Quis dwes salvus 34, Strom. 4: 26.

[2] Strom. 7: 2: 9.

[3] Bigg, P 101.

[4] Strom. 7: 14; 6: 16; 2: 20; 5: 13.

[5] Prot 25.

[6] Paed 1: 24.

الصلاح

صلاح الله

الله وحده كلى الصلاح، صالح في ذاته، يعلن هذا الصلاح لأجلنا[١]، فإن هذا هو عمل الله الواحد، أن يفعل صلاحًا[٢]. هكذا لا يتحدّث **القدّيس إكليمنضس** كثيرًا في اللاهوت النظري لكنه يتحدّث عن "الله الصالح" المحب للبشر. يمكننا أن نلخص نظرته في صلاح الله في النقاط التالية:

١. يعلن الله صلاحه في حب غير المنقطع وسهره على البشريّة[٣]، رغم انفصالهم عنه وتغرّبهم عنه[٤].

٢. في حبه احتضن كل البشريّة بلا تمييز منذ بدء الحياة البشريّة خلال اللوغوس"يسوع المسيح". وكما يقول شارلس بيج: [المسيح هو النور الذي احتضن التاريخ كله، يضيء كل إنسان آت إلى العالم. كل ما على الأرض من جمال وحق وصلاح وكل ما يميز الإنسان المتمدن عن الهمجي، والهمجي عن الحيوانات المفترسة إنّما هو عطيّة. ليس من كاتب بعده له مثل هذه النظرة الرؤيّة المملوءة رجاءًا نحو الطبع البشري"[٥].

٣. صلاح الله غير المنطوق به يطلب على الدوام أن يقود طبيعة الأشياء إلى ما هو أفضل[٦]. غايته المستمرّة هو خلاص القطيع البشريّة، لذلك نزل إليهم الراعي الصالح[٧].

٤. يظهر أيضًا صلاح الله في استخدام أخطاء مقاوميه للخير[٨]، يحوّل الشرّ خيرًا كقول يوسف لاخوته إنهم أرادوا به شرًا والرب صنع به خيرًا... هكذا يحوّل الله الشرّور إلى دواء للخلاص[٩].

صلاح الإنسان

ليس إنسان كامل في صلاحه، لذلك صار الصالح إنسانًا ليقود الإنسان إلى الصلاح:

[لا أعرف إنسانًا كاملاً في شيء... وهو بعد إنسان، إلا ذاك الذي وحده من أجلنا لبس ناسوتيتنا][١٠].

هذا الصالح هو وحده صورة الله الذاتيّة، يدخل بنا إلى التشبّه بالله، بالقداسة، مقتفين أثر خطواته. هكذا نتمتّع بحياته المخلّصة فيكون لنا ختم الآب... تنزع عنّا الآم النفس ونتطهّر فنعاين الله.

[1] Paed 1: 10 Strom. 1: 27; 2: 7; 4: 3.

[2] Strom. 6: 159.

[3] Ibid 2: 43.

[4] Ibid 2: 74.

[5] Bigg. P 103.

[6] Strom. 6: 154.

[7] Prot. 116.

[8] Strom. 4: 87.

[9] Ibid 7: 61.

[10] Strom. 4: 130.

لهذا يطالبنا أن نطرد عنّا الآم النفس[1] المفسدة لها. وأن نمارس الفضيلة مثل غفران أخطاء الآخرين سبع مرّات سبعين مرّة، إذ نسيان الشرّ يجعلنا نتشبّه بالله المشرق شمسه على الأبرار والأشرار[2]. كما يسألنا أن نسلك بالبساطة فلا نحتاج إلا إلى الضروريّات القليلة متشبّهين بالله الذي لا يحتاج إلى شيء[3]. وأيضًا بالحب المرتبط بعدم آلام النفس يدخل بنا إلى الرجولة الروحيّة الكاملة[4]... هكذا يرى في كل فضيلة إنّما هو امتثال وتشبّه بالله الصالح. لكن هذا التشبّه ليس مجرّد عمليّة أخلاقيّة ethical بحتة، بل هو في جوهره عمل الله فينا[5] الذي يدخل حياتنا...

من هذا المنطق يرى حاجة البشريّة إلى اللوغوس كمصدر للخلاص والتشبّه بالله وليس مجرّد جهادنا البشري... إذ يقول:

[كمرضى نحن نحتاج إلى الشافي،
كتائهين نحتاج إلى مرشد،
كعميان نحتاج إلى من يقودنا إلى النور،
كعطاش نحتاج إلى ينبوع الحياة، الذي ينزع الظمأ إلى الأبد،
كأموات نحتاج إلى الحياة،
كخراف نحتاج إلى راعى،
كأطفال نحتاج إلى معلم،
لكن كل البشريّة تحتاج إلى يسوع][6].

[1] Ibid 7: 86.

[2] Ibid 7: 85.

[3] Paed 3: 1.

[4] Strom. 7: 84.

[5] Ibid 2: 22.

[6] Paed 1: 83.

الاستشهاد

كتب القدّيس أكليمنضس عن الاستشهاد من واقع الخبرة التي عاشها، فقد عاصر "الاستشهاد" بنفسه، ولمس ثمرته الحيّة في حياة الكنيسة. لقد خصص فصولاً كاملة من كتابة الرابع من المتفرّقات Stromata يوضوح فيها أن الاستشهاد أمر أساسي في حياة المؤمن الغنوسي، فإن الاستشهاد ليس مجرّد سفك دم، ولا هو مجرّد اعتراف شفهي بالسيّد المسيح لكنه ممارسة كمال المحبة، مظهرًا كرامة الاستشهاد (ف ٤، ٧)، وأن النساء كما الرجال والعبيد كما السادة مدعوون لنوال إكليل الاستشهاد (ف ٨)، معلقًا على أقوال السيّد المسيح في هذا الشأن، كما عرض آراء **القدّيس أكليمنضس الروماني** والشعراء في الاستشهاد.

شأنه شأن كثير من الآباء الأوّلين يرفض التقدّم للاستشهاد باندفاع وتهوّر (ف ١٠)...

من أقواله من الاستشهاد

[الرب وحده – من أجل البشريّة التي أساءت إليه وعصت – شرب الكأس. وإذ امتثل به الرسل وأرادوا أن يكونوا غنوسيّين حقيقيين وكاملين، قدّموا حياتهم من أجل الكنائس التي أسّسوها. هكذا يليق بالغنوسيّين الذين يقتفون أثر الرسل أن يكونوا بلا خطيّة، وبسبب حبّهم للرب يحبّون قريبهم حتى إذا ما حدثت ضيقة يحتملونها بغير تملّق، ويشربون الكأس من أجل الكنيسة...][1].

[إن كان أحد يصعد إلى الحب، بالحقيقة يكون مطوَّبًا وشهيدًا حقًا، إذ يعترف بطريقة كاملة بالله ووصاياه...].

[من المعقول حين يدعى الغنوسي (للاستشهاد) يطيع بسهولة، مسلمًا جسده لمن يسأله ذلك. وإذ تحرّر مقدّما من آلام هذه الـ Carcase لا يشتم المضطهد بل في رأيي يدرّبه ويقنعه...

أنه بالحقيقة يقدّم شهادة عن نفسه أنه مؤمن وأنه ممتثل بالله، ويشهد عن المضطهد أنه باطلاً يحسده إذ يبقى أمينًا في محبته له. كما يشهد للرب من أجل تعاليمه التي لا يتخلى الغنوسي عنها خوفًا من الموت، بل بالأحرى يؤكّد بأعماله قوّة الكرازة مظهرًا أن الله يسرع إليه وهو قوى.

أنه لا ينكر المسيح خوفًا، بل ينفذ وصيّة. ولا يبيع إيمانه من أجل وعود، بل يرحل من هذه الحياة بكل فرح في حب للرب، ربّما مقدّما الشكر لكل من قدّم له علّة الرحيل ومن دبر الخطة ضدّه...

أنه يذهب للرب صديقه بشجاعة صادقة، مقدّما جسده من أجله بكمال حريته...

إنّنا ندعو الاستشهاد كمالاً teleiotes ليس لأن حياة الإنسان تنتهي (telos) كما تنتهي حياة غيره، وإنما لأنه يظهر كمال عمل المحبة...

[1] J. Danielou: The Christian Centuries, vol 1, P 126. Strom. 4: 9.

إن كان الاعتراف بالله هو استشهاد، فإن كل نفس تعيش في معرفة الله بنقاوة، وتطيع وصاياه، تشهد بحياتها كما بالكلام، بغض النظر عن الطريقة التي بها تتحرّر من الجسد، فإنها تبذل الإيمان كالدم يجرى في حياتها إلى يوم رحيلها[1].

إذ يقول: [ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى (مت ١٠: ٢٣) لا ينصح بالهروب من الاضطهاد بكونه شر، ولا خوفًا من الموت كأنهم مرتعبون منه، لكنه لا يريدنا أن نكون سببًا في إثارة الشرّ لدى أي إنسان: سواء بالنسبة لنا أو للمضطهد أو القاتل. فمن ناحية يأمرنا أن نهتم بأنفسنا، فمن لا يطيع يكون متهورًا وغبيًا. إن كان الذي يقتل رجل الله يخطئ في حق الله. فإن من يتقدّم لكرسي القضاء بنفسه يتحمل مسئوليّة جريمة قتله.

هكذا من لا يتجنب الاضطهاد إنّما يتقدّم ليقبض عليه، مثل هذا يحسب شريكًا من المضطهد في الجريمة... أيضًا من يقوم بالإثارة المضطهد يحسب مجرمًا، إذ يثير وحشًا كاسرًا، وبالمثل، إن قدّم أي علّة للحرب أو العقوبة أو المحاكمة أو إيجاد عداوة فإنه يخلق الفرصة للاضطهاد. لهذا أوصانا ألا ترتبط بشيء من هذه الحياة، بل من يطلب منا الثوب نعطيه الرداء، ليس فقط لكي نستمر في نزع أي إثارة مبالغ فيها، إنّما لئلا باقتناعنا عن العطاء نجعل المضطهدين عنيفين ضدّنا، ونثيرهم للتجديف على الاسم][2].

[أنهم يضطهدوننا ليس لأنّنا فعلة شر، لكنهم يظنون إنّنا كمسيحيين نخطئ ضدّ الحياة وإنّنا نعمل ضدّ أنفسنا...[3]]

يقولون: [لماذا لا تسندكم (العناية الإلهيّة) حين تضطهدون؟... أي شر يصيبنا مادمنا نتطلع إلى الموت كانطلاق به نذهب إلى الرب، وكأنما هو تغيير في الحياة، نخرج من حياة إلى حياة أخرى؟!...

يقول كل منّا بثقة: "الرب لي معين فلا أخاف، ماذا يفعل بي الإنسان؟" (مز ١١٨: ٦). "فإن نفوس الأبرار في يد الرب لا يمسها أذى" (حك ٣: ١)...[4]]

[1] Strom. 4: 4.

[2] Strom. 4: 10.

[3] Strom. 4: 11.

[4] Ibid.

الكنسيّات

مكان التعليم

كان القديس أكليمنضس رجلاً كنسيًا، يرى في الكنيسة موضع رعاية الله، إذ يقول: [أطعمنا نحن الأبناء كخراف. نعم أيها السيد املأنا بالبرّ في مرعاك. نعم، لتقوتنا أيها المعلم على جبالك المقدسة، الكنيسة، المرتفعة كالبرج، فوق السحاب، تتلامس مع السماوات.]

كما أحب الكنيسة جدًا يخضع لتقليدها وقوانينها... إذ يقول: [إننا لا نرتبط بشيء يجعلنا نتعدّى قانون الكنيسة][1].

أما نظرته للكنيسة فتتلخص في النقاط التالية:

١. العضويّة الكنسيّة

العضويّة الكنسيّة عند **العلاّمة ترتليان** علامتها استقامة السلوك، أمّا عند **القدّيس أكليمنضس** فهي المعرفة الروحيّة أو إدراك الحق عقليًا، الصادر عن التأمّل في الله دون توقف[2].

٢. الوحدة الكنسيّة

الوحدة الكنسيّة هي طبيعة تتّسم بها الكنيسة على خلاف جماعات الهراطقة الذين يحملون سمة الانقسام[3]، والكنيسة في هذا إنّما تمتثل بالله نفسه الواحد، إذ يقول:

[الله الذي (للجنسين) هو واحد، سيدهما أيضًا واحد، والكنيسة واحدة... طعامها مشترك...][4].

[في رأيي الكنيسة الحقيقيّة التي هي بحق قديمة، كنيسة واحدة، تضم أبرارًا حسب قصد الله مسجّلة أسماءهم. لذات السبب الله واحد، الرب واحد.

إنها مكرّمة جدًا، وممجدة بسبب وحدتها، ممتثلة بالأصل الواحد الأول...

امتياز الكنيسة... هو وحدتها، في هذا تفوق كل شيء، ليس من يشبهها ولا من يعادلها في هذا][5].

سرّ هذه الوحدة الكنسيّة هي "وحدة الإيمان" إذ يقول: [لذلك فإن سرّ الكنيسة القديمة الجامعة هو وحدتها التي جمعت في وحدة الإيمان الواحد هؤلاء المختارين الذين عينوا من قبل الله قبل إنشاء العالم ليكونوا

1 Strom. 7: 15.

2 Eric G. Jay: The Church, vol 1, London 1977, p. 60.

3 Strom. 7: 17.

4 Paed. 1: 4.

5 Strom. 7: 17.

أبرارًا... كحصيلة لعهديها أو بالأحرى للعهد الواحد خلال الأزمنة المختلفة، وذلك حسب إرادة الله الواحد وبالرب الواحد][1].

في هذا النص أعلن طبيعة الوحدة: وحدانية الله، ووحدة الإيمان، ووحدة العهدين أو بالأحرى العهد الواحد خلال الأزمنة متتابعة. والوحدة الكنسيّة... ولعلّه في هذا أراد أن يأخذ اتّجاها مضادًا للهراطقة أمثال مرقيون الذين نادوا بالثنائيّات...

أما ثمر هذه الوحدة الكنسيّة فهو تعبد الكنيسة بروح واحد: [الكنيسة هي جماعة الذين يسجدون في الصلوات ويقدّمون انسجامًا في أصواتهم كما من فهم واحد!][2]. هكذا تخرج سيمفونيّة الحب الحقيقي التي يرتاح لها السيّد المسيح الكلمة، ويرى خلالها الآب في المؤمنين أبناء حقيقيّين: [اتّحاد الكثيرين في واحد، يخرج من أصواتهم المتعددة سيمفونية واحدة في انسجام إلهي، تحت قيادة قائد الخورس والمعلم، فتبلغ الكلمة غايتها ويستريح الحق فيها، وينطق أولاد الله بالحق: "أيها الآب أبانا"، وينقلها الله بسرور ونعمة كباكورة ثمار][3].

٣. أمومة الكنيسة

يتحدّث عن أمومة الكنيسة في عبارات تكشف عن مدى تعلّقه بالكنيسة: [كما أن لأم تعزى أولادها الصغار، هكذا أنا أعزيكم. الأم تهتم بأولادها، ونحن نطلب أمنا الكنيسة][4].

ارتبطت أمومة الكنيسة في ذهن القدّيس أكليمنضس بأبوّة الله الحانية، ففي كتابه الأول من "المربّي Paedagogus" يقول:

[يا له سرّ عجيب!
واحد هو أب الجميع؛ واحد هو لوغوس المسكونة، والروح القدس هو واحد في كل موضع!
واحدة هي الأم العذراء وحدها! إني أحب أن أدعوها الكنيسة. هذه الأم... عذراء وأم في نفس الوقت. طاهرة كعذراء ومحبة كأم. كأم تدعو أولادها إليها وتقوتهم باللبن المقدّس الذي هو اللوغوس المقدّس للأبناء][5].

هذه الأمومة الكنسيّة تحدث عنها آباء القرنين الأول والثاني، نذكر على سبيل المثال هرماس[6]. أمّا كون اللوغوس قد صار بتجسّده لبنًا يقتات عليه أبناء الكنيسة فقد أشار إليه **القدّيس إيريناؤس** قائلاً: [إنه خبز الآب الكامل، بتجسّده قدّم نفسه لنا كما لأطفال صغار في شكل لبن. يريدنا أن نقتات بجسده وأن نعتاد على هذا الطعام فنأكل ونشرب "كلمة الله"، بهذا يمكننا أن نتشبّه بخبز الخلود الذي هو روح الآب][7].

1 Strom. 7: 17.
2 Strom. 7: 6.
3 Exhort. to Heath., ch g.
4 Paed. 1: 5.
5 Paed. 1: 6.
6 Lebreton, vol 2, P 376.
7 Irenaues: Adv Haer.

٤. جماعة المختارين

الكنيسة هي اجتماع المؤمنين المختارين مع السيّد المسيح، تدعى جماعة المختارين[١]، والمدينة المخصبة التي يديرها اللوغوس[٢]. هي العروس التي من خلالها يعلم العريس بنفسه أولادها[٣].

٥. العالم الجديد

الكنيسة هي العالم وقد تجدد خلالها عمل الله الخلاصي. فقد خلق الله العالم وأوجده حين أراد. أمّا غاية إرادته هذه فهي خلاص البشريّة أي وجود الكنيسة كعالم جديد.

في هذا يقول: [كما أن إرادة الله هي عمل، هذا العمل يدعى العالم (قال فكان)، فإن غاية إرادته هي خلاص البشر، وهذا يدعى الكنيسة][٤].

٦. بين الكنيسة السماويّة والكنيسة المنظورة

إذ يتحدّث عن الكنيسة غالبًا ما يسحب فكرنا نحو السماويات، بكون الكنيسة في العهد الجديد قد حملت السمة السماويّة وصار وضعها في الأعالي، تشارك ربوات الملائكة تسابيحهم.

في هذا يقول: [هذه كنيسة الأبكار لها أبناء كثيرون. هؤلاء الأبكار مكتوبة أسماءهم في السماء، يعبدون مع ربوات الملائكة][٥].

في هذه الكنيسة يجد الغنوسيّون راحتهم؛ [إذ يستريحون على جبل الله المقدّس (مز ١٥: ١)، في كنيسة الأعالي، التي يجتمع فيها فلاسفة الله، الذين هم بحق إسرائيليّون حقيقيون أنقياء القلب ليس فيهم دنس... مكرسين حياتهم للرؤيا النقية في تأمّل بلا نهاية][٦].

أما الكنيسة المنظورة التي على الأرض فهي أيقونة للكنيسة السماويّة العلويّة المثلى، لهذا نصلي قائلين: "كما في السماء كذلك على الأرض"[٧]. هذه الكنيسة المنظورة هي الكنيسة القديمة الجامعة التي تسلّمت تقليد الرسل، وبهذا تتميز عن جماعات الهراطقة[٨].

1 Strom. 7: 5.

2 Strom. 4: 26.

3 Paed 3: 12.

4 Paed. 1: 6.

5 Exhort. to Heath. A. N Fra, vol 2, P 195

Strom. 6: 8; 5: 26; 6: 14, 7: 2, 7: 6; 7: 11. راجع أيضًا

6 Strom. 7: 11, 14.

7 Strom 7: 17.

8 Ibid.

٧. التقليد الكنسي أو قانون الكنيسة

يرى **القدّيس أكليمنضس** أن "التقليد الكنسي"، الذي هو "قانون الكنيسة". والتعليم الذي تسلّمته الكنيسة من الرب[١] كتعليم إلهي[٢] ملوكي[٣]، ورسولي[٤]... وهو عبارة عن الحكمة أو المعرفة المقولة في سرَّ:

[أعطى الرب بعد قيامته المعرفة gnoais ليعقوب البار ويوحنا وبطرس، وهؤلاء سلموه للرسل الآخرين، والرسل الآخرون سلموه للسبعين تلميذًا، أحدهم برناباس][٥].

[جاءت هذه المعرفة عن الرسل وسلمت شفاها، سلمت بالتتابع إلى عدد قليل من البشر][٦].

ويعتبر القدّيسان إيريناؤس وأكليمنضس أول من أشارا إلى أهمية [قانون الكنيسة][٧]. وقد أشار يوسابيوس وغيره إلى عمل قام به القدّيس يسمى "قانون الكنيسة" وللأسف لم يصلنا منه سوى فقرة واحدة. لكننا نراه في حديثه عن "قانون الكنيسة" يراه "قانون الحق" لأنه يمثّل الحق الذي تعلنه الكنيسة[٨]، و"قانون الإيمان regula feidei" الذي تقدّمه الكنيسة في مواجهة الهراطقة.

لقد أكّد القدّيس وحدة الكنيسة التي تحفظ التقليد الواحد، الذي يليق بنا ألا نكسره، ولا نسرق منه مقتطفات وننسبها لأنفسنا كما يفعل الهراطقة[٩].

ويرى القدّيس أن الغنوسي الحقيقي "المسيحي الأمثل"، إذ يتربى على الكتب المقدّسة ويتمسك في تعاليمة بالأرثوذكسية الرسولية الكنسيّة يعيش بحق في توافق مع الإنجيل ويستنبط البرّاهين التي يطلبها من الشرّيعة والأنبياء... لأن حياة الغنوسي – في رأيه – هي اتّفاق أفعال وكلماته مع تقليد ربّنا[١٠]. كما يقرّر أن من يعتزل التقليد الكنسي إنّما يحرم نفسه من أن يكون رجل الله[١١].

1 Paed. 2: 61. Strom. 6: 89, 7: 57, 7: 90, 7: 95.

2 Prot 87.

3 Strom. 1: 80.

4 Strom. 7: 108.

5 Hypotyposes, In Euseb H. E 2: 1.

6 Strom. 6:7, Cf. Strom. 1: 1, 1: 12, 6: 15.

7 Osborn, ch g.

8 Strom. 7: 49.

9 Strom 7: 105.

10 Strom. 7: 16.

11 Ibid. للمؤلف : التقليد الأرثوذكسية ١٩٧٩م، ص٢٣.

الليتورجيّا

وضع القدّيس أكليمنضس كتابًا عن الأساقفة والكهنة والشمامسة والأرامل، بجانب كتابه السابق الإشارة إليه "القانون الكنسي"، وللأسف كلاهما مفقودان حتى الآن. بلا شك أن هذين الكتابين قد احتويا الكثير من شرح الخدمة الكنسيّة والصلوات الليتورجيّة. ولعلّه لذلك لم يكتب في هذه الأمور باستقامته في بقيّة أعماله. ومع هذا يمكننا أن نقدّم صورة مبسّطة للّيتورجيّا في عصره خلال بعض فقرات متناثرة وردت في أعماله، يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أولا: الدرجات الكهنوتيّة

الدرجات الكهنوتيّة من أسقفيّة وقسيسيّة وشماسيّة ليست مجرّد حمل للمسئوليّة يلتزم بها الشخص. لكنها وهي شركة في خدمة الرب نفسه تصير أمجادًا يدخل خلالها الإنسان إلى شركة المجد الملائكي السماوي.

[في رأيي أن الدرجات في الكنيسة من أساقفة وكهنة وشمامسة هي امتثال بالمجد الملائكي وبالتدبير الذي يقول عنه الكتاب المقدّس ينتظر الذين يتبعون خطوات الرسل الذين يعيشون في كمال البرّ حسب الإنجيل. يرتفعون في السحاب، وكما يقول الرسول أولاً يخدمون (كشمامسة) حينئذ يحسبون أهلاً أن يكونوا كهنة، إذ يدخلون من مجد إلى مجد حتى يبلغوا الإنسان الكامل (أف٤: ١٣)][1].

بكونه كاهنًا يخشى على نفسه السقوط في الكبرياء معتدًا بالدرجات الكهنوتيّة المكرّمة، لهذا أراد أن يؤكّد أن مجد الكاهن في حياته المستنيرة والتزامه بالسلوك كملاك الله، إذ يتحدّث عن الكاهن، قائلاً: [إذن، ذاك الذي هذَّب رغباته ودرَّب نفسه على الاحتمال، ونمى إلى حالة كمال المعرفة يكون مساويًا للملائكة! لقد استنار فعلاً وصار مضيئًا كالشمس في ممارسة اللطف، مسرعًا بمعرفة مملوءة برًا إلى المسكن المقدّس خلال حب الله كما فعل الرسل. فإن هؤلاء الرسل لم يصيروا رسلاً لاختيارهم للرسوليّة بسبب امتياز في طبيعتهم إذ كان يهوذا أيضًا مختار من بينهم، لكنهم كانوا قادرين أن يكونوا رسلاً (أن يمارسوا الحياة الرسوليّة المستنيرة)... فيروا أمورًا غير محدودة. متياس لم يكن مختارًا بينهم لكنه أظهر نفسه مستحقًا أن يكون رسولاً عوضًا عن يهوذا.

الآن أيضًا، الذي يدرّب نفسه على وصايا الرب، ويعيش بالكمال بمعرفة حسب الإنجيل، يحسب في جسد الرسل المختارين. مثل هذا يكون بحق كاهنًا للكنيسة، وخادمًا (شماسًا) حقيقيًا لإرادة الله، مادام يعمل ويعلم حسب الرب، وليس مجرّد أنه سيم من أناس، فهو لا يحسب بارًا لمجرّد كونه كاهنًا، وإنما صار في الكهنوت لأنه بار. فإنه حتى وإن لم ينل هنا على الأرض كرامة الكرسي الأعظم، لكنه سيجلس على الأربعة وعشرين عرشًا، يدين الناس، كما قال يوحنا في سفر الرؤيا][2].

ثانيًا: الأفخارستيّا "القداس الإلهي"

[1] Strom. 6: 13.

[2] Strom. 6: 13.

١. يبدو أن القداس الإلهي – في القرن الثاني – كان يبدأ برفع بخور عشية عند غروب السبت، ويقضي المؤمنون الليل أغلبه في التسابيح حتى ينتهي القداس الإلهي مع الفجر. وقد أوضح القدّيس أن الأفخارستيّا غالبًا ما تقام بالليل، ليس خوفًا من الوثنيّين أو الحكام أو غير ذلك... وإنما تذكرًا لانطلاق النفس من الجسد، الذي غالبًا ما يتم بالليل... أو لأنها انطلاق من ليل هذه الحياة إلى نهار الفردوس.

[غالبًا ما تقام الأسرار ليلاً، إشارة إلى انطلاق النفس من الجسد... "فلا ننم إذًا كالباقين بل لنسهر ونصح. لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون. وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة رجاء الخلاص" (١ تس ٥: ٦– ٨)][1].

٢. يتحدّث أيضًا عن الاتّجاه للشرق أثناء الصلاة، حيث يؤكّد لنا ميلادنا الجديد في المسيح يسوع شمس البرّ المشرق علينا. "يصلون في اتّجاه الشرق، لأن الشروق هو رمز لميلادنا، إذ منه يخرج النور مشرقًا على الظلمة. هكذا يشرق يوم المعرفة مثل الشمس على المدفونين في الجهالة (الظلمة)][2].

٣. يسند القدّيس العمل الليتورجي بتقديس يوم الرب (الأحد) خلال السلوك الروحي الحي والتأمّل المستمرّ في السمويّات من أجل التمتّع بأمجاد قيامة الرب.

[يحفظ يوم الرب بتنفيذ الوصيّة حسب الإنجيل بترك الإنسان الشرّ... ممجدًا قيامة الرب في نفسه. بالأحرى عندما يتمتّع بإدراك التأمّلات الحقيقيّة، فيبدو كأنه قد رأى الرب، موجهًا أنظاره نحو غير المنظورات][3].

٤. يرى القدّيس أن الاستعداد للمشاركة في ليتورجيّا الأفخارستيّا لا يكون باستعداد خارجيّة فحسب وإنما بتهيئة النفس داخليًا ممارسة حياة الحب والطهارة الجسديّة والقلبيّة، وأن يكون سلوكنا في حياتنا اليوميّة مطابقًا لسلوكنا داخل الكنيسة.

في هذا يقول: [يليق بالنساء والرجال أن يذهبوا إلى الكنيسة في هدوء ونظام وسكون، وتكون فيهم محبة صادقة، يكونون أطهارًا حسب الجسد والقلب، مؤهّلين للصلاة أمام الله.

وعلى النساء – بوجه خصوص – أن يهتممن بالأكثر بهذا الأمر، وتكون المرأة مغطاة بالكامل وإلا تبقى في بيتها، فإن ملبسها له خطورته، إذ يقيها من نظرات الآخرين. أن وضعت الاتّضاع نصب عينيها لا تسقط أبدًا...

هكذا يليق بمن كرَّس نفسه للسيّد المسيح أن يسلك في حياته كلها بذات السلوك الذي يراعيه داخل الكنيسة].

[قيل أنه يلزمنا أن نتقدّم إلى الذبيحة والصلوات ونحن مغتسلون، أنقياء وفي بهاء، إنّنا نمارس هذه الزينة الخارجيّة والتطهيرات الخارجيّة كعلامة. فإن النقاوة هي أن تكون أفكارنا مقدّسة... والتقديس – كما أدركه – هو نقاوة الكاملة للذهن والأعمال والأفكار والكلمات، وتصل إلى كمال درجتها حين لا نخطئ في الأحلام. النقاوة الكافية للإنسان هي – كما أحسب – التوبة الصادقة الأكيدة][4].

[1] Strom 4: 22.

[2] Strom 6: 13.

[3] Paed 3: 11.

[4] Strom 4: 22.

٥. ليتورجيّا الأفخارستيّا هي شركة تسبيح وصلاة مع السمائيّين والقدّيسين: [(الإنسان الروحي) يحفظ يوم الرب... ممجدًا قيامة الرب في نفسه... يكون طاهرًا على الدوام مستعدًا للصلاة. يصلّي مع جوقة الملائكة، لأنه قد صار في الرتبة الملائكيّة، محفوظًا على الدوام بعنايتهم المقدّسة. حينما يصلّي وحده يقف مع صفوف القدّيسين... صلاته هي شكر من أجل الماضي والحاضر والمستقبل، لأنه يرى المستقبل بالإيمان حاضرًا أمامه... يقدّم الشكر لله على الدوام، على مثال ما قاله إشعياء بخصوص تسبيح المخلوقات الحيّة][1].

٦. فسّر القدّيس إكليمنضس السكندري المزمور (١٥٠) الذي تسبحه الكنيسة أثناء التناول بطريقة رمزية جميلة، فيها قدّم الكنيسة المقامة من الأموات خلال عريسها القائم من الأموات كأداة موسيقيّة حيّة يلعب عليها الروح ليخرج تسبحة حب صادق لله.

يقول: [في الخدمة الإلهيّة يترنم الروح...

"**سبّحوه بصوت البوق**"، لأنه بصوت البوق يقيم الأموات.

"**سبّحوه بالمزمار**"، فإن اللسان هو مزمار الرب.

"**سبّحوه بالقيثارة**"، هنا يقصد الفم الذي يحرّكه الروح كالوتر.

"**سبّحوه بطبول ورقص**"، مشيرًا إلى الكنيسة التي تتأمّل القيامة من الأموات خلال وقع الضرب على الجلود (إشارة إلى الأموات).

"**سبّحوه بالأوتار والأرغن**"، يدعو جسدنا أرغنًا، وأعصابه هي الأوتار التي يضرب عليها الروح فتعطي أصواتًا بشريّة منسجمة.

"**سبّحوه بصنوج حسنة الصوت**": يدعو اللسان صنجًا، إذ يعطي الصوت خلال الشفتين.

لذلك يصرخ إلى البشريّة قائلاً: "**كل نسمة فلتسبح اسم الرب**"، لأنه يعتني بكل مخلوق يتنفّس. حقًا إن الإنسان هو آلة السلام...][2].

٧. في نفس الفصل الرابع من الكتاب الثاني من "المربّي" أوضح أن الكنيسة لم تستخدم في عصره الآلات الموسيقيّة معلّلاً ذلك بأن هذه الآلات استخدمتها الأمم والشعوب لإثارة الحقد والضغينة في الحروب، فكان Etruria غرب وسط إيطاليا كانوا يستخدمون البوق، وشعب أركاديا Arcadia باليونان يستخدمون المزمار، والكرّيتيّون يستخدمون القيثارة، والمصريّون يستخدمون الطبول، والعرب يستخدمون الصنوج في الحرب. "أما آلة السلام الواحدة فهو "الكلمة" الذي به وحده نكرّم الله هذا هو ما نستخدمه! إنّنا لا نستخدم الآلات القديمة من مزمار وبوق وطبول وصفارة هذه التي يستخدمها المختصّون في الحروب... وفي حفلاتهم".

لقد رأى في السيّد المسيح نفسه "سرّ تسبيحنا" بل "آله ترنّمنا" ليس فقط خلال الخدمة الإلهيّة، إنّما خلال حياتنا اليوميّة؛ إذ يقول:

[في اللحظة الحاضرة هو ضيف بيتنا. يقول الرسول: "وأنتم بكل حكمة معلّمون ومنذرون بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحيّة بنعمة مترنّمين في قلوبكم للرب" (كو٣: ١٦). وأيضًا يقول: "وكل ما عملتم بقول أو فعل فأعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به" (كو٣: ١٧). هذا هو احتفالنا المملوء شكرًا. إن

[1] Strom 7: 12.

[2] Paed 2: 4.

أردت الترنم واللعب على عود أو قيثارة فليس من لوم عليك[1]. فإنك بهذا تمتثل بالملك العبراني في تقديمه الشكر لله، إذ تقول النبوّة: "اهتفوا أيها الصدّيقون بالرب. بالمستقيمين يليق التسبيح. احمدوا الرب بالعود، بقيثارة ذات عشرة أوتار رنموّا له. وغنّوا له أغنية جديدة" (مز٣٣: ١-٣). ما هذه القيثارة ذات العشرة أوتار إلا كلمة "يسوع" التي أعلنت خلال حرف عشرة (وهو حرف اليوتا الذي يمثّل رقم ١٠ في اليونانية وأول حروف كلمة يسوع أو إيسوس)[2].

٨. يتحدّث عن فاعلية سرّ الأفخارستيّا في حياة المؤمن لتقديس روحه وجسده، قائلاً: [الذين يتناولون دم يسوع يصيرون شركاء في خلوده. الروح هو الفعَّال بالنسبة للكلمة، كالدم بالنسبة للجسد. بهذا كما يمزج الخمر بالماء هكذا يكون الروح بالنسبة للإنسان. فمزج الخمر بالماء يغذى الإيمان، وأما الروح فيقود إلى الخلود. مزج الاثنين – والماء والكلمة – يسمى الأفخارستيّا، النعمة الفائقة المجيدة، ومن يتناولها بإيمان يتقدس جسدًا وروحًا][3].

يتحدّث عن هذه الذبيحة "الأفخارستيّا" كطعام للمؤمنين، قائلاً:

[يقول "كلوا جسدي، اشربوا دمي" (يو ٥: ٥٣). مثل هذا الطعام لائق، قد هيّأه الرب، مقدّما جسده وباذلاً دمه، فلا حاجة للأبناء بعد إلى شيء لنموّهم، ياله من سرّ مدهش! إنّنا نتمتّع به لينزع الفساد الجسدي القديم، ولنأخذ عوض الطعام القديم (السيّد المسيح). نتقبّله هو ما أمكن؛ نخفيه في داخلنا؛ وإذ ندّخر المخلّص في نفوسنا تتهذّب عواطف جسدنا][4].

٩. أشار في الكتاب الأول من المتفرّقات[5] إلى عمل هرطوقي فيه يقدّم الخبز والخمر كتقدمه دون استخدام الخمر، وقد أوضح أن هذا العمل "ليس حسب قانون الكنيسة".

في هذا النص أوضح نظرة الكنيسة إلى الأفخارستيّا كتقدمه وذبيحة، وفي نفس الوقت كشف عن وجود قانون كنسي يرتب طقس الأفخارستيّا.

١٠. يرى في تقدمه ملكي صادق رمزًا للأفخارستيّا، [ملكي صادق، ملك ساليم، كاهن الله العليّ الذي قدّم خبزًا وخمرًا كطعام مقدّس إنّما هو رمز للأفخارستيّا][6].

١١. في الكتاب الثالث من المربّي[7] انتقد استخدام القبلة بطريقة غير لائقة... مؤكدًا أن الرسول قد دعاها "قبلة مقدسة" (رو ١٦: ١٦)، لذلك يجب أن تعبر عن المحبة المملوءة طهارة. ولعلّ هذا الانتقاد جاء لإساءة البعض استخدامها...

[1] غالبًا ما يقصد الجانب الرمزي.

[2] Paed 2: 4.

[3] Paed 2: 2.

[4] Paed 1: 6.

[5] Strom 1: 19.

[6] Strom 4: 45.

[7] Paed 3: 11.

هذا وقد اعتادت الكنيسة منذ بدء انطلاقها أن يصلّي كلى الجنسين منفصلين وأن يُقبّل النساء بعضهن البعض[1].

ثالثًا: المعموديّة

١. إن كان شخص اللوغوس هو مركز لاهوتيّات **القدّيس أكليمنضس** فقد اهتم أيضًا بالأسرار الكنسيّة خاصة المعموديّة، حيث ينعم المؤمن بالميلاد الجديد ويتقبل السيّد المسيح نفسه في حياته كسرّ معرفته الكاملة والعاملة...

اهتم أيضًا بالحديث عن المعموديّة وفاعليتها في حياة المؤمنين لتوضيح خطأ الهراطقة الغنوسيّين الذين حاولوا تقسيم المسيحيّين إلى طائفتين: نفسانيّون وروحانيّون (كاملون)... ففي سرّ المعموديّة ينال المؤمنون الكمال دون تميّز.

[إذ قد يجدّدنا بالمعموديّة تسلّمنا حالا العطيّة الكاملة التي نتوق إليها. إذ نستنير ننال معرفة الله، ومن يعرف الكامل لا يقدر أن يكون غير كامل...][2].

٢. خصّص الفصل السادس من الكتاب الأول المربّي Paedagogus للحديث عن فاعلية المعموديّة في حياة المؤمنين، خاصة "استنارة بصيرتهم الداخليّة" للمعرفة عوض الجهل الذي عاشوا فيه بالخطايا.

في هذا يقول: [الظلمة هي الجهل الذي أعمى الحق والمعرفة. لكننا إذ نقبل الاستنارة يختفي الجهل وتصير لنا رؤية واضحة].

[نحن الذين اعتمدنا إذ أُزيلت عنّا الخطايا التي تحجب نور الروح الإلهي، صارت لنا بصيرة الروح المتحرّرة، التي بلا عائق، المملوءة نورًا، والتي بها وحدها نتأمّل اللاهوت، فنرى الروح القدس نازلاً علينا من فوق. هذا هو التعديل الأبدي للرؤية القادرة على معاينة النور الأبدي، إذ الشبيه يحب شبيهه، والمقدّس يحب من تصدر عنه القداسة التي تملك نورًا... "لأنكم كنتم قبلا ظلمة، وأما الآن فنور في الرب" (أف ٥: ٨).]

[إذ تشرق المعرفة مع الاستنارة، تلقي بأشعّتها على الذهن فنصير نحن الذين كنّا غير المتعلّمين تلاميذ...].

هذه الاستنارة بالمعموديّة لا تعطى معرفة نظريّة لكنها تحمل قوّة التجديد وتغيير طبيعتنا...

[هذه هي نعمة الاستنارة أن شخصياتنا لا تبقى كما كانت عليه قبل نوالنا الحميم][3].

[لمربّي يخلق الإنسان من تراب، ويجدّده بالماء، وينميه بالروح] [4].

في عبارات قويّة يتحدّث عن فاعلية المعموديّة في حياة المؤمنين قائلاً: [هذا الأمر عينه يحدث لنا نحن أيضًا الذين قد صار لنا المسيح مثالاً. فإنّنا إذ نعتمد نستنير، وإذ نستنير نصير أبناء، وكأبناء نصير كاملين، وككاملين نضحّي غير مائتين، كما قيل: "أنا قلت أنكم آلهة وبنو العليّ كلّكم" (مز ٨٢ (٨١): ٦)].

يدعى هذا العمل بأسماء كثيرة: أعني نعمة واستنارة وكمالاً وحميمًا.

[1] Bunsen: Hippol 3, P 15. ANF, vol 2, P 12 n.

[2] Paed 1: 4.

[3] Paed 1: 6.

[4] المؤلف: الحب الإلهي، ص ٨٦٦.

فهو حميم به نغتسل من خطايانا،

ونعمة إذ تنزع عنّا عقوبات تعدّياتنا،

واستنارة به نرى نور الخلاص المقدّس، أعني إنّنا نشخص به إلى الله بوضوح وندعوه كمالاً إذ لا ينقصه شيء، لأنه ماذا ينقص من يعرف الله؟![1]

٣. في الفصل الخاص بالمعموديّة[2] كاستنارة تحدث عن شرب اللبن وأكل العسل... ففي الكنيسة الأولى كان المعمّدون حديثًا يشربون لبنًا ويأكلون عسلا، لأنهم خلال المعموديّة يدخلون أرض الموعد "الكنيسة" التي تفيض عسلاً ولبنًا.

لقد افاض في الحديث عن شرب اللبن بكونه "الحق" الذي يقتات عليه أولاد الله. السيّد المسيح هو اللبن الروحي الذي يتمتّع به الأطفال في الرب... هو لبن الحب من يرضعه يصير بحق مطوَّبًا، يسند الإنسان ويقوده نحو السماء!

أما العسل فهو الغذاء الحلو، هو الحب الذي يشفي جراحات نفوسنا ويغسلنا من خطايانا.

كما أشار إلى الدهن بزيت الزيتون موضحًا أن "الكلمة" يسمّى بنهر زيت الزيتون، وهو ينبوع حياتنا.

إن كنّا لم نتعرّض لطقس المعموديّة لكنه تحدث عن العمل الروحي للمعموديّة في حياة المؤمنين من خلال الطقس ذاته.

رابعًا: سر الزواج

لم يشر إلى ليتورجيّا الزواج أو طقسه، لكنه وهو مهتم بالدفاع عنه ضدّ الغنوسيّين الذين حقّروا من شأنه وازدروا به، بل وجعله بعضهم من صنع الشيطان، أوضح لنا مفهوم الزواج والحياة الزوجيّة.

١. رأى في الحياة الزوجيّة أو الحياة العائليّة "سرّ الكنيسة" سرّ اجتماع العائلة في المسيح يسوع، إذ يقول: [من هم الاثنان أو الثلاثة الذين يجتمعون معًا باسم المسيح فيحل الرب في وسطهم؟! أليس هؤلاء هم الرجل وزوجته وابنهما فيرتبط الرجل والزوجة معًا بواسطة الله][3].

هكذا رفع الزواج من العقد الاجتماعي الذي يعقده الفتى والفتاة إلى سرّ مقدس، يتممه الله نفسه، فيعيش أفراد العائلة أو البيت الجديد معًا في المسيح يسوع – رفع الوحدة الزوجيّة فوق العلاّقات الجنسيّة وإن كان لم يحقّر منها ولا رفضها.

لقد أعطى للبيت المسيحي قدسيّة خاصة، فجعل منه "الكنيسة التي في البيت"، فيحلّ السيّد المسيح وسطها خلال الصلوات العائليّة، وبركات الصلاة قبل الأكل وبعده، واجتماعهم معًا في حياة نقيّة.

٢. في دفاعه ضدّ الهراطقة (في الكتاب الثالث من المتفرّقات) جذب أنظارنا نحو السيّد المسيح، وقد صار عريسًا للكنيسة زوجته، دون أن يحقّر من شأن الزواج[1] مؤكّدًا قدسيّة الزواج من تعاليم الرسل وإيليّا

[1] Paed 1: 6.

[2] Paed 1: 6.

[3] Strom 3: 10.

وصموئيل والسيّد المسيح نفسه. وذكر الرسول بطرس كمثال أنه كان متزوّجًا، والقدّيس فيلبّس الشماس كان له بنات متزوّجات[٢].

٣. في دفاعه عن الزواج لم يمتدحه لأسباب سلوكيّة فحسب، وإنما وجد فيه واجبًا يلتزم به البعض من أجل رخاء البلاد وكمال العالم وإنجاب الأطفال[٣]، لكن ليس الكل ملتزم بالزواج ولا الكل ملتزم بالبتوليّة.

٤. رفع من شأن الزواج إلى كونه عمل شركة مع الخالق: [هكذا صار الإنسان على صورة الله يشترك في خلقه الإنسان][٤]. ولا يقف الزواج عند الإنجاب بل أيضًا هو سرّ الحب المشترك والتعاون الذي يربط الزوجين معًا برباط أبدي، لا يحلّه حتى الموت!

٥. تحدّث عن شركة الزوجين ومساواتهما: [الجنسان يحملان ذات الفضيلة. فإن كان إلهًا واحد، سيّدهما واحد، كنيسة واحدة، ضبط للنفس واحد، اتّضاع واحد، طعام مشترك، يحملان نيرًا متساويًا في زواجهما، يشتركان في التنفس والنظر والسمع والمعرفة والرجاء والطاعة والحب، حياتهما مشتركة، خلاص مشترك، حب مشترك، وتداريب مشتركة][٥].

٦. هل كان **القدّيس أكليمنضس** متزوّجًا أم بتولاً؟ لقد رأى في الغنوسي (المسيحي الأمثل) أن يتزوّج وينجب أولادًا ويسلك في حياة عالية، ليغلب التجارب التي يتعرض لها الشخص الأعزب[٦]، فهل كان القديس كنزوجًا؟

يرى جون فيرجسون[٧] من باب الحدس أنه كان متزوّجًا، مدلّلاً على ذلك بأنه كتب عن الحياة الزوجيّة بنظرة تعاطف، وأوضح أنه ارتبط بأناس متزوّجين أكثر من البتوليّين[٨]. وكتب عن اهتمام الزوجة بالشخص في وقت المرض[٩]، وعن الحياة الأسريّة في أيام الشتاء مما يظهر أنه اختبر الحياة الزوجيّة. لكن غالبيّة المؤرّخين يؤكّد حياته البتوليّة. يقول **Quasten** [١٠]: [أنه قد سلك البتوليّة إذ لم يتزوّج "حبًا في الرب"][١١]، وقد قال بين الحين والآخر: [إنّنا نمدح البتوليّة والذين وهبهم الله أيّاها][١٢]. لقد اقتنع أن : [من يبقى بمفرده لكي لا يحرم من خدمة الرب يربح مجدًا سماويًا][١٣]. لكنه حين قارن بين المتزوّجين والأعزب رأى في المتزوّج أسمى من الأعزب، ربّما لأنه أراد الدفاع ضدّ الغنوسيّة[١٤].

[1] Strom 3: 6.

[2] Ibid.

[3] Strom 2: 23.

[4] Paed 2: 10.

[5] Paed 1: 4.

[6] Strom 7: 12.

[7] J. Fergusom: Clement of Alexandria, P 18.

[8] Strom 2: 23.

[9] Paed 2: 9, 10.

[10] Patrology. Vol 2, P 35.

[11] Strom 3: 7: 59.

[12] Strom 3: 1: 4.

[13] Strom 3: 12: 82.

[14] Strom 7: 12: 70 ANF, vol 2, P 543.

الإيمان

الإيمان والحياة الروحيّة

الإيمان هو بدء الحياة المسيحيّة[1]، وهو سر قوّة الله العاملة فينا، إذ يقول: [الإيمان هو قوّة الله وقوّة الحق. كمثال قيل "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل تقولون لهذا الحبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل" (مت١٧: ٢٠)، كما قيل "بحسب إيمانكم ليكن لكما" (مت ٩: ٢٩). فنال إنسان الشفاء بالإيمان، وقام آخر إذ آمن إنسان أنه يقوم][2].

إن كان الإيمان هو بدء انطلاق حياتنا المسيحيّة، فإنّنا لكي نتعلم داخل الكنيسة يلزمنا أن نتطهر ونحمل الطبيعة الجديدة بالمعموديّة. فبها ننال غفران الخطايا مجانًا وندخل دائرة النور، عندئذ في إمكانّنا أن نسلك الحياة الصالحة أو الشرّيرة.

أما وقد قبل المؤمن المعموديّة، فإنه كغنوسي حقيقي يلزمه أن يقتات بالسيّد المسيح نفسه، الغذاء الروحي لأولاد الكنيسة. يتناول جسد السيّد ودمه الأقدسين حتى ينموّ على الدوام.

الصلاة أيضًا هي عنصر أساسي في حياة الغنوسي، الذي وأن التزم بصلوات السواعي، لكنه يليق به أن يدرك أن صلاته لا يحدّها زمن ولا تختصر على موضع معيّن. إنّما تكون حياته كلها صلاة[3]. وهي فعَّالة وعاملة حتى وإن كانت صامتة، أمّا موضوعها فهو الشكر الدائم لله والتشفّع عن الآخرين متشبّها بالمخلّص.

الإيمان والتوبة

إن كان الإيمان هو بدء الحياة المسيحيّة وملازم للغنوسي كل أيام حياته، فإن الإيمان هو واهب التوبة للإنسان التي هي طريق ملكوت.

في هذا يقول: [التوبة هي من عمل الإيمان. لأنه أن لم يؤمن الإنسان إلى من قد استعبد نفسه للخطيّة فلن يكف عنها؛ وإن لم يؤمن بالعقوبة التي يسقط تحتها العاصي وأن الخلاص هو نصيب من يسلك حسب الوصيّة فإنه لن يصلح حاله][4].

الإيمان والرجاء

الإيمان يسند المؤمن ويدفعه نحو الرجاء في الخيرات الأبديّة... "الرجاء أيضًا يعتمد على الإيمان... لأن الرجاء إنّما هو انتظار لخيرات. هذا الانتظار إنّما يقوم على الإيمان"[5].

الإيمان بين الحب والخوف

يحمل الإيمان: الحب والخوف، كل يكمل الآخر.

[1] Strom 2: 2.

[2] Strom 3: 11.

[3] Strom 4: 7.

[4] Strom 2: 6.

[5] Strom 2: 6.

[إنني لا أخاف الأب كخوفي من الحيوان المفترس إذ أخافه وأكرهه، لكنني أخاف الأب وأحبّه في نفس الوقت. كذلك عندما أخاف العقاب إنّما هو حب لنفسي خلال الخوف. فمن يخاف أن يعصى أباه يحب نفسه. طوبى للذي له الإيمان، فإنه يحمل الحب والخوف (معًا). فإن الإيمان هو قوّة للخلاص، وهو سند للحياة الأبديّة][1].

الإيمان والفضائل

[الفضائل تتبع الواحدة الأخرى. فلست في حاجة إلى تكرار ما سبق أن برهنته أن الإيمان يترجى خلال التوبة، والخوف خلال الإيمان، والصبر وممارسة هذه الأمور مرتبط بالحب ويتكمّل بالمعرفة][2].

الإيمان وحرّيّة الإرادة

الإيمان هو عمل الإرادة الحرّة، من عمل النفس الحرّة، لها أن تؤمن أو لا تؤمن. إذ الإرادة – في رأيه – أسمى. وقوات العقل خاضعة لها[3].

[الغنوسي الحقيقي يخلق نفسه،
يختار الإيمان أو يرفضه بكمال حريته][4]

ومع هذا فإن هذه الحرّيّة الإنسانية والعقل هما هبة إلهيّة، لا يقدران أن يقدّما الإنسان حياة الشرّكة مع الله دون عون الله.

بمعنى آخر إن كان الإيمان من صنع الإرادة الحرّة، ففي الحقيقة هو هبة إلهيّة[5]. إنه يشبه لاعب الكرة الذي له الحرّيّة أن يمسك بالكرة أو يرفض، لكنه لا يقدر أن يمسك بها ما لم تُقذف إليه[6]. هكذا يمكننا أن نمسك بالإيمان أو نرفضه، لكنّنا في حاجة إلى يد الله تقدّمه لنا.

الإيمان والمعرفة

١. **الإيمان هو طريق المعرفة الحقّة**، أمّا الاعتماد على الأفكار الذاتيّة المقاومة للإيمان فتدفع إلى الجهل:

يقول سفر الأمثال: "على حكمتك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفها، وهي تقوَّم سبلك، فلا تعثر رجلك" (أم ٣: ٥، ٦، ٢٣). بهذا عنى أنه يلزمنا أن نظهر أعمالنا مطابقة للعقل (الحكمة)، فنختار ما هو نافع من كل ثقافة. فإن طرق الحكمة متنوّعة وتقود بصدق إلى طريق الحق. الإيمان هو الطريق...

أما قوله: "على حكمتك لا تعتمد" فيعني ألا تقبل الأفكار الشرّيرة المضادّة لتدبير الله، إنّما "اتّق (خف) الله" (أم ٣: ٧)، الذي وحده قوي...

[1] Strom 3: 12.

[2] Strom 2: 9.

[3] Strom 2: 77.

[4] Strom 3: 9.

[5] Strom 2: 4; 3: 7.

[6] Strom 2: 6.

قيل في سفر الحكمة: "هو أعطاني المعرفة الصادقة بالأكوان لأعرف نظام الكلمة... وقوى الجذور" (حك ٧: ١٧، ٢٠). فبه يفهم العلّم الطبيعي الخاص بظواهر الكون المحسوس. ويستمر في القول مشيرًا إلى معرفة الأمور العقليّة أيضًا، قائلاً: "وما هو خفي أو ظاهر أعرفه، لأنه الحكمة العاملة الكل علمتني" (حك ٧: ٢٠)...

ممارسة الإيمان تصير معرفة بطريقة مباشرة، وتستقر على أساس وطيد[١].

يقول أيضًا: [من يؤمن بالكلمة يعرف الأمور على حقيقتها، لأن الكلمة هو الحق][٢].

[الغنوسي يثبت بالإيمان، أمّا من يظن نفسه حكيمًا فلا يمس ما يخص الحق][٣]

٢. السيّد المسيح هو سر المعرفة

[إن كان الرب هو الحق والحكمة وقوّة الله... لذلك فإن الغنوسي الحقيقي هو الذي يعرف الرب ويعرف الآب بواسطته... "فإن شفاه البار تعرف العلّويات" (أم ١٠: ٢١) (الترجمة السبعينية)][٤].

[ليست معرفة بدون إيمان، ولا إيمان بدون معرفة... الابن هو المعلم الحقيقي عن الآب. إنّنا نؤمن بالابن لكي نعرف الآب، الذي معه أيضًا الابن.

مرّة أخرى، لكي نعرف الآب يلزمنا أن نؤمن بالابن، ابن الآب.

معرفة الآب والابن، بطريقة الغنوسي الحقيقي، إنّما هي بلوغ للحق بواسطة الحق...

حقًا، قليلون هم الذين يؤمنون ويعرفون[٥].]

[في أكثر من موضع يؤكّد القدّيس أن كل بحث عقلي يبقى غير أكيد وأعمى، بدون نعمة المعرفة التي توهب لنا من قبل الله الآب بواسطة ابنه][٦]

٣. النموّ في الإيمان وكمال المعرفة

يوجد إيمان عام لجميع المؤمنين، هو إيمان البسطاء ذهنيًا، هذا الإيمان هو أشبه باللبن، المعرفة غير الكاملة. لكن قليلون لا يكتفون باللبن بل يطلبون الطعام القوي[٧]، يدخلون من إيمان إلى إيمان، ومن عمق إلى عمق، فيكون لهم الإيمان في حياتهم أشبه بحبّة خردل تدخل بالنفس إلى الحياة الجديدة، وتنمو من يوم إلى يوم حتى تصير شجرة عظيمة جدًا، عليها تستقر النفس في كمال المعرفة (الغنوسيّة) حيث تنعم بالحياة السماويّة وتتمتّع بالإعلان الواضح للحياة العتيدة[٨]، وتكون لهم رؤية "الوجه للوجه". بمعنى آخر يعبر خلال الإيمان إلى كمال المعرفة، التي هي فوق الإيمان.

[1] Strom 2: 2.

[2] Strom 2: 4.

[3] Strom 3: 11.

[4] Strom 3: 11.

[5] Strom 5: 1.

[6] Strom 5: 12.

[7] Paed 1: 6.

[8] Strom 5: 3.

هذا هو هدف الغنوسي أن يتعرف على الله (الحق) ويراه[1] وجهًا لوجه، أي يعبر إلى كمال المعرفة من خلال الإيمان، وذلك خلال خبرة الحياة النقيّة والتأمّل الدائم. فإن كنّا قد عبرنا من الوثنيّة إلى الإيمان، فيليق بنا أن نعبر من الإيمان إلى المعرفة[2]، لنرى الله ونعرفه. هذه المعرفة هي هبة إلهيّة نتقبّلها خلال الابن، وذلك بقبولنا إيّاه وتشبّهنا به؛ أي خلال نقاوة القلب، نعاين الله وندرك ما يبدو للآخرين غير مدرك[3].

بالابن ننعم بالحب فندرك الله الذي هو حب، لأن الشبه يعرف بالشبه[4]. فالله غير المنظور لا يدركه المنظور، والروحي لا يدركه المادي، والمنظّم لا يدركه المشوّش. لذلك فإن غير المؤمن يبقى أعمى وأصم في إدراكه الحق، أمّا الذي يدخل بالإيمان إلى الحياة الطاهرة الروحيّة المنظمّة فيعرف الحق...

٤. الإيمان والعلّم

[يمكن للإنسان أن يكون مؤمنًا وهو غير متعلّم. ونحن نؤكد أنه يستحيل للإنسان أن يدرك الأمور المتعلّقة بالإيمان دون تعلم. فلكي نتبنّى الأمور الحسنّة ونرفض عكسها لا يتحقّق ذلك بالإيمان وحده، وإنما بالإيمان ملتحم مع المعرفة. فحيث لا يكون للجهل وجود في التدريب والتعلم تصير هناك معرفة للأمور الإلهيّة والأمور البشريّة][5].

٥. الإيمان والخلاص

قرار الإيمان له جانبان هامان. فهو ضروري للخلاص كما أنه ضروري للمعرفة. فقد رأينا أهميته في المعرفة، إذ يراه عنصر حيوي في حياة الغنوسي كما التنفس ضروري ليحيا الإنسان في العالم، بدونه يستحيل اقتناء المعرفة وإدراك الحق[6]. بالإيمان يتقبّل الإنسان بكمال حرّيته إمكانيّة المعرفة رافضًا الجهل.

أما بالنسبة للخلاص "فالإيمان هو قوى الخلاص وسلطان الحياة الأبديّة"[7]. بالإيمان يترك الغنوسيّين الشهوات فيصيرون روحيّين أمام الرب[8]. أمّا الذين يرفضون الإيمان فإنهم يفعلون ذلك لأنهم لا يريدون ضابطًا لشهواتهم[9].

[1] Strom 2: 10.

[2] Strom 7: 10.

[3] Strom 6: 8.

[4] Strom 5: 13.

[5] Strom 1: 6.

[6] Strom 2: 6.

[7] Strom 2: 53.

[8] Paed 1: 31.

[9] Prot 61.

٥

العلامة أوريجينوس

"بلغت مدرسة الإسكندريّة أوج عظمتها في عهد أوريجينوس[١]، خليفة القدّيس أكليمنضس. وهو المعلّم والباحثّ الممتاز في الكنيسة الأوّلى، شخصيّته لا يشوبها عيب، يحمل في تعليمه دائرة معارف، ويعتبر أحد المفكّرين الأصليين الذين شاهدهم العالم"[٢]. "يرى البعض في العلامة أوريجينوس أعظم فكّر يحمل عمقًا ظهر في تاريخ الكنيسة"[٣].

وصفه **القدّيس جيروم** هكذا: [أعظم معلّم للكنيسة بعد الرسل" نقلاً عن القدّيس ديديموس؛ وقد وضعها في مقدّمة ترجمة "عظات حزقيال" لمعلّمه العظيم[٤].

لُقب العلامة أوريجينوس بـ "أدمانتيوس" أي "الرجل الفولاذي"، إشارة إلى قوّة حجّته التي لا تقاوم وإلى مثابرته.

طفولته

يعتبر أوريجينوس ابن مصر الأصيل، يبدو أنه ولد في الإسكندريّة حوالي عام ١٨٥م. اهتم به والده ليونيدس[٥] Leonides فهذّبه بمعرفة الكتاب المقدّس؛ وقد أظهر الابن شغفًا عجيبًا في هذا الأمر[٦]، إذ يروي عنه يوسابيوس: "تهذب في الأسفار الإلهيّة منذ الطفولة... لأن والده علاوة على أنه قدّم إليه الثقافة الواسعة العاديّة، فإنه لم يجعل من دراسة الأسفار الإلهيّة أمرًا ثانويًا... بل كان يطلب منه أن يحفظ جزءً معينًا كل يوم ثم يتلوه عليه.

ولم يكن هذا العمل مضنيًا على الولد، إذ كان شغوفًا جدًا بهذه الدراسات. ثم أنه لم يكتفِ بدراسة الأمور السهلة والواضحة في الأقوال المقدّسة، بل كان يطلب المزيد، وكان ينكبّ على التأمّلات العميقة وهو بعد في هذا السن (الصغير) حتى كان كثيرًا ما يربك أباه بأسئلته عن المعنى الحقيقي للأسفار الإلهيّة.

أما والده فقد كان يوبّخه – حسب الظاهر – قائلاً له ألا يبحثّ فوق حدود سنّه، أو يذهب إلى أبعد من المعنى الظاهر. أما في الحقيقة فكان مغتبطّا جدًا، يشكر الله مصدر كل صلاح، الذي حسبه أهلاً أن يكون أبًا لصبي كهذا.

[١] أوريجين يعني "ابن حورس، إله الشمس المصري".

[2] Quasten: Patrology, vol 2, P 37

[3] Carl S. Meyer: The Church, P 32.

[4] Jerome: Praef. in Hom. Orig. in Exech

[٥] ليونيدس تعني "ابن الأسد".

[6] J. Lebreton: History of the Primitive Church, 1948, vol 4, P 773.

"ويقال أنه كثيرًا ما كان يقف بجوار الصبي وهو نائم، ويكشف صدره كأن روح الله قد استقر في داخله، ويقبِّله بوقار معتبرًا نفسه بأنه قد تبارك بذريّته الصالحة"[١].

استشهاد ليونيدس

إن كان أوريجينوس قد تأثر بالكتاب المقدّس بفعل تربية والده له، فإن العامل الثاني الذي كان له كبير الأثر على حياته وكتاباته هو "الاستشهاد"، فقد عاش في بيت له نفسيّة الشهيد، الكل مستعد أن يقدّم حياته شهادة للمسيح. كما عاصر الاضطهاد الذي أثاره سبتيموس ساويرس عام ٢٠٢م، والذي كان أكثر عنفًا على الكنيسة المصريّة[٢]، حتى ظنّ كثيرون أن هذا الاضطهاد هو علامة على مجيء "ضدّ المسيح"[٣].

وفي عام ٢٠٢م ألقيَ القبض على ليونيدس ووضع في السجن، أما أوريجينوس الذي لم يكن بعد قد بلغ السابعة عشر من عمره فكان يتوق بشغف أن ينال إكليل الاستشهاد مع والده. وفي اللحظة الحاسمة منعته أمه من تحقيق رغبته بإخفاء كل ملابسه حتى يلتزم البقاء في المنزل[٤] ليرعى شئون اخوته الستّة، فأرسل إلى أبيه يحثّه على الاستشهاد، قائلاً: "إحذّر أن تغيّر قلبك بسببنا!"

معلّم الأدب

إذ قطعت رأس ليونيدس وصودرت ممتلكاته لحساب الخزانة الحكوميّة أصبح أوريجينوس وعائلته في عوز. لهذا التجأ أوريجينوس إلى سيّدة غنيّة جدًا رحبّت به، لكنه لم يحتمل البقاء كثيرًا، لأن معلّما هرطوقيًا يدعى بولس الأنطاكى استطاع أن يؤثر عليها ببلاغته فضمّته إلى بيتها، وتبنّته، وأقامته فيلسوفًا خاصًا بها، وسمحت له أن ينشر هرطقته بإلقاء محاضرات في بيتها.

لم يستطع أوريجينوس – وهو بعد صغير السن – أن يشترك في الصلاة مع هذا الهرطوقى متمسكًا بقوانين الكنيسة[٥]، فترك البيت وعكف على تدريس الأدب الدنيوى والنحو لينفق على نفسه وعلى عائلته.

وجد أوريجينوس في تدريسه للوثنيّين الأدب والنحو فرصته للشهادة للإيمان المسيحي قدر ما تسمح الظروف، فكان يعلن عن مركّز اللاهوتيات بين الكتابات اليونانيّة. بهذا إجتذب أوريجينوس بعض الوثنيّين الذين جاءوا يطلبون أن يسمعوا منه عن التعاليم المسيحيّة من بينهم بلوتارخس الذي نال إكليل الاستشهاد وأخوه هيراقليس (ياروكلاس) الذي صار بطريركًا على الإسكندريّة.

[١] يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٦: ٢: ٧-١١.
راجع ترجمة القس مرقس داود، القاهرة ١٩٦٠.
خصص يوسابيوس الكتاب السادس كله عن حياة أوريجينوس بجانب ما ذكره في الكتب الأخرى.

[2] W. Fairweather: Origin & Greek Patristic Theology, Edinburg 1901, P 37.

[3] Benjamin Drewerly: Origen & Doctrine of Grace, London 1906, Intr.

[4] F.F. Bruce: The Spreading Flame, 1970, P 179.

[٥] جاء في أوامر الرسل (٨: ٣٤): "لا يصلّي أحد من القدّيسين مع أحد من الهراطقة، حتى ولا في البيت، لأنه أي شركة للنور مع الظلمة؟!".

أوريجينوس ومدرسة إسكندريّة

إذ تركت مدرسة إسكندريّة بلا معلّم بسبب الاضطهاد، ورحيل القدّيس أكليمنضس، عين البابا ديمتريوس أوريجينوس ورئيسًا للمدرسة وهو بعد في الثامنة عشر من عمره، وذلك لِّما رآه فيه من غيرة على الكرازة وقدرة على تعليم الموعوظين. كان لهذا المركّز كرامته، لكنه لم يخلو من المخاطر، لأن الاضطهاد الذي بدأ بمنشور سويرس عام ٢٠٢م لم يزل قائمًا يهدد بصفته الخاصة الذين يتحوّلون إلى الإيمان المسيحي ومعلّميهم.

على أي الأحوال أوقف أوريجينوس كل نشاط له وباع كل كتبه الثمينة المحبوبة لديه[١]، ليكرّس حياته بالكامل للعمل الجديد الذي أوكل إليه كمعلّم للموعوظين.

لقد تتلمذ على يديه كثيرون نذكر على سبيل المثال القدّيس ألكسندروس أسقف أورشليم الذي كان يتطلّع إلى أوريجينوس كمعلّمه وصديقه، خليفة الأستاذين المبجّلين بنتينوس وأكليمنضس بل وأعظم منها. ففي اليوم التالي لنياحة القدّيس أكليمنضس كتب ألكسندر لأوريجينوس هكذا: "إننا نعرف جيدًا الأبوين الطوباويّين اللذين سلكا الطريق قبلنا وسنلحق بهما سريعًا: "بنتينوس الطوباوي والمعلّم القدير وأكليمنضس المبجّل معلّمي ومعيني، وأيضًا آخرين مثلهما، وقد تعرّفت خلالهما عليك، إذ أنت هو ممتاز معهما، يا معلّمي وأخي"[٢].

وإنني أود أن أشير هنا إلى دور العلامة أوريجينوس في تطور المدرسة:

١. أُلقيَ العلامة أوريجينوس بنفسه بكل طاقاتها لا للدراسة الكتاب المقدّس والتعليم به فحسب، بل وفي تقديم حياته مثلاً للحياة الإنجيليّة. في هذا يقول تلميذه **القدّيس غريغوريوس** صانع العجائب[٣]: [لقد جذبنا بأعماله التي فعلها أكثر من تعاليمه التي علمنا إياها]. ويخبرنا **المؤرّخ يوسابيوس:** [كان سلوكه يتفق مع تعاليمه، وكانت تعاليمه تتفق مع حياته. لذلك فإن القوّة الإلهيّة التي كانت تعمل فيه قد دفعت الكثيرين جدًا إلى غيرته]، وأضاف أيضًا: [كان يكبح جماح نفسه على قدر استطاعته بحياته الفلسفيّة الصارمة، أحيانًا بتدريب نفسه على الصوم، وأحيانًا بالإقلال من النوم في حدود معينة. وبسبب غيرته المتأججة لم ينم على فراش قط، وإنما يفترش الأرض.

وفوق هذا كلّه فكّر في ضرورة تنفيذ كلمات المخلّص الواردة في الإنجيل والتي ينصح فيها عدم اقتناء ثوبين أو استعمال أحذية (مت ١٠: ١٠)، أو الاهتمام بالمستقبل (مت ٦: ٣٤)].

لقد حاول أن يقود تلاميذه وسامعيه في ذات طريق النسك وآلاماته الذي سار فيه منذ شبابه.

بجانب حياته النسكيّة اهتم بممارسة الصلاة بكونها جزء لا يتجزأ من الحياة النسكيّة، تسنده في تحرير النفس ودخوله إلى الاتّحاد مع الله بطريقة أعمق. يرى في الصلوات أمرًا ضروريًا لنوال نعمة خاصة من قبل الله لفهم كلمة الله[٤].

[1] Eusebius: H.E. 6: 3: 9.

[2] Eus. H.E. 6: 14: 8-9.

[3] Ibid 6: 3: 7, 9: 10.

[4] Hom. Jer. 6: 3

رأى أن الإنسان يطلب الاتّحاد مع الله خلال حفظ البتوليّة[١]، فينسحب عن العالم وهو بعد يعيش فيه[٢]، مقدّما تضحية في أمور الترف قدر ما يستطيع[٣]، محتقرًا المجد البشرى[٤].

وبسبب حضور النسوة يستمعن محاضراته، ولكي لا تحدث عثرة رأى أن ينفذ حرفيًا ما ورد في الإنجيل أن أناسًا خصوا أنفسهم من أجل ملكوت الله (مت ١٩: ١٢)، لكنه يبدو أنه قدّم توبة على هذا الفعل[٥]. وقد استخدمها البابا ديمتريوس ضدّه.

٢. في البداية ركّز أوريجينوس على أعداد الموعوظين وتهيئتهم للعماد، لا بتعليمهم الإيمان المسيحي فحسب، وإنما بتقديم التعاليم الخاصة بالحياة المسيحيّة العمليّة أيضًا. ففي حديثه مع الموعوظين الداخلين للمعموديّة نراه يقول[٦]: [إن أردتم نوال المعموديّة يلزمكم أولا أن تتعلّموا كلمة الله، وتقطعوا عنكم كل جذور الرذائل. وتصلحوا حياتكم القفرة البربرية وتمارسوا الوداعة والاتّضاع، عندئذ تتهيأون بقبول نعمة الروح القدس].

كما يقول أيضًا: [إذهبوا توبوا أيها الموعوظين، إن أردتم قبول المعموديّة لمغفرة الخطايا... إظهروا ثمر التوبة المقبول (مت ٣: ٨). عيشوا في حياة طاهرة إلى حين... وتعالوا لتنالوا غفران الخطايا][٧].

٣- لم يقف عمل العلامة أوريجينوس عند تهيئة الأعداد الضخمة المتزايدة الجالسة عند قدّميه لنوال سرّ العماد وإنما كان عليه بالأحرى أن يهيئهم لقبول إكليل الاستشهاد. فكل من يقترب إليه إنما بالأحرى يجرى نحو خطر الاستشهاد.

وصف يوسابيوس الدور الذي قام به أوريجينوس في وقت الاضطهاد هكذا: [برز اسمه بين قادة الإيمان، وذلك بسبب اللطف والرعاية والرقّة التي أظهرها نحو الشهداء والقدّيسين، سواء كانوا معروفين لديه أو غرباء. كان يرافقهم في السجن ويمكث معهم أثناء المحاكمة، بل يبقي معهم حتى لحظات الموت... غالبًا عندما كان يذهب إلى الشهداء يهتم بهم ويحييهم بقبلة دون أي اعتبار لما ينتج عن ذلك، فكان الوثنيّون المحيطون بهم يثورون عليه ويكادوا أن يهجموا عليه ليضعوا حدًا لحياته...][٨].

روى أبيفانيوس[٩] أن رعاع الوثنيّين أمسكوه يومًا وهو سائر في الطريق وحملوه بضجيج شديد إلى هيكل سيرابيوم الشاهق، وحلقوا رأسه، ووضعوا عليها قلنسوه والبسوه حُلّة بيضاء على طريقة كهنتهم رغمًا عنه، ثم أخرجوه خارج الهيكل وأصعدوّه على القمة الكبرى التي أعلى السلم، وأعطوه سعف النخل، وأمروه أن يقوم بتوزيعه على عبدة الأوثان المجتمعين حوله، وكانوا يسخرون به مصفقين. فأسرع أوريجينوس يلوح بالأغصان وينثرها

[1] In Num. hom. 11: 3

[2] In Levit. hom. 11: 1.

[3] Ibid 15: 2.

[4] In Joan. 28: 23.

[5] On. Matt. 19: 12.

[6] Hom. Levit 6: 2.

[7] Hom Luc. 21.

[8] Eus. H. E. 6: 3: 3-7.

[٩] منسى يوحنا ص ٣٤.

على المتجمهرين وهو يقول بصوت عظيم: [هلمّوا خذوا هذه الأعضان لا برسم الأوثان بل باسم يسوع المسيح خالق الإنسان]، فصَرّوا بأسنانهم عليه وأرادوا قتله، لكن الرب أنقذه من أيديهم.

هكذا نشأ أوريجينوس في أسرة كان لها شرف أن ينعم الأب بالاستشهاد، وتلمذ كثيرين صاروا شهداء، ودخل إلى مشاركة الشهداء أتعابهم... وحتى بعد أن انتهت موجة الاضطهاد بقي ذهنه يحمل ذكريات الاستشهاد، إذ يقول: [وجد وقت كان فيه الناس مؤمنين بحق، حيث كان الاستشهاد هو عقوبة حتى لمن يدخل الكنيسة... حيث وقفت الكنيسة كلها دون أن تتزعزع. كان الموعوظين يتلقون التعاليم وسط الاستشهاد وموت المسيحيّين الذين يعترفون بإيمانهم حتى النهاية، وحين كان هؤلاء الموعوظين يغلبون المحاكمات ملتصقين بالله الحيّ بغير خوف].

٤. اهتم أوريجينوس بتعميق الفكّر الدراسي؛ فإذ كان جمهور تلاميذه يلتفون حوله من الصباح حتى المساء رأى أوريجينوس أن يقسمهم إلى فصلين، واختار تلميذه هيراقليس – المتحدّث اللبق – ليدرس المبتدئين المبادئ الأوّلى للتعاليم المسيحيّة، أما هو فكرّس وقته في تعليم المتقدّمين اللاهوت والفلسفة معطيًا اهتمامًا خاصًا بالكتاب المقدّس.

٥– لعل أعظم أثر لأوريجينوس على مدرسة الإسكندريّة هو إبرازه التفسير الرمزي للكتاب المقدّس. فقد كرَّس حياته كلها لهذا العمل، حتى نسب هذا المنهج التفسيري لمدرسة الإسكندريّة ولأوريجينوس... الأمر الذي نعود إليه بشيء من التفصيل فيما بعد.

٦– إن كان أوريجينوس قد تتلمذ على يدَّي القدّيس أكليمنضس الذي صالح الإيمان مع الفلسفة اليونانيّة، لكن أوريجينوس المبشر أكثر منه فيلسوف دخل بالمدرسة إلى مرحلة جديدة هي إبراز أهمية الفلسفة كطريق لكسب الفلاسفة لكن في شيء من الحذّر... وسنعود بمشيئة الله إلى نظرته للفلسفة فيما بعد.

رحلات أوريجينوس

١. حوالي عام ٢١٢م زار أوريجينوس روما أثناء أسقفية زفيرينوس[1] Zephyrinus، وفي حضرته أُلقيَ القدّيس هيبوليتس مقالاً عن كرامة المخلّص، وبعد إقامة قصيرة هناك عاد إلى الإسكندريّة.

٢. قام بعدة رحلات إلى بلاد العرب، أولها حوالي عام ٢١٤م، حيث ذهب إليها بناء على دعوة من حاكم تلك البلاد الذي كان يرغب في التعرّف على تعاليمه[2]؛ كما دعي إلى العربيّة عدة مرّات ليتناقش مع الأساقفة[3] وقد أشار المؤرّخ يوسابيوس إلى اثنين من هذه المناقشات، نذكر منها انه في عام ٢٤٤م أنعقد مجمع عربي لمناقشة وجّهة نظر الأسقف بريلوس Barylius في شخص السيّد المسيح. أنعقد هذا المجمع على مستوى واسع أدان الأسقف بسبب قوله أن الله أقنوم واحد، وقد حاولوا باطلاً إقناعه أن يعود إلى الإيمان المستقيم[4]. أسرع

[1] Eus. 6: 14: 10.

[2] 6: 14: 15; 6.

[3] C. Knetschmar: Origens Und dei Arber, Zeilsch. Theolo. Kirsh 50 (1953) P 258 – 280.

[4] Fairweather, P. 60.

أوريجينوس إلى العربيّة ونجح في إقناع الأسقف الذي يبدو أنه بعث إليه رسالة شكر[١]، وصار من أكبر المدافعين عنه.

على أي الأحوال هذا الإرتباط بين أوريجينوس والعربيّة إنما هو امتدّاد لإرتباط العلامة بنتينوس بها[٢].

٣. حوالي عام ٢١٦م إذ نهب الإمبراطور كاركلا Caracalla مدينة الإسكندريّة وأغلق مدارسها واضطهد معلّميها وذبحهم، قرر أوريجينوس أن يذهب إلى فلسطين. هناك رحبّ به صديقه القديم الإسكندر أسقف أورشليم كما رحبّ به ثيؤكتستوس Theoctistus أسقف فلسطين، الذين دعاه أن يشرح الكتاب المقدّس في إجتماعات المسيحيّين في حضرتهما.

غضب البابا ديمتريوس الإسكندري جدًا، لأنه حسب عادة الكنيسة الإسكندريّة لا يستطيع العلماني أن يعظ في حضرة الأسقف، فأمره بعودته إلى الإسكندريّة سريعًا. وبالفعل أطاع أوريجينوس بطريركه في خضوع، وبدت الأمور تسير كما كانت عليه قبلاً، لكن هذا الحديث صار مقدّمة لصراع أوشك أن يحدث بعد عدة سنوات (حوالي ١٥ عامًا).

وقد أورد المؤرّخ يوسابيوس دفاع الأسقفين الإسكندر وثيؤكتستوس عن نفسيهما، جاء فيه: [رجاء في رسالته أنه لم يسمع عن أمر كهذا من قبل، ولا حدث إلى الآن أن وعظ علمانيّون في حضرة أساقفة. ولست أدرى كيف يقرر أمرًا غير صحيح، لأنه متى وجد أناس قادرون على تعليم الاخوة يحثّهم الأساقفة القدّيسون على وعظ الشعب. هذا ما حدث في لاراندا عندما طلب ذلك نيون من يولبس، وفي أيقونيّة عندما أمر كلسس بولينوس... والأرجح أن هذا حدث في أماكن أخرى لا نعلمها][٣].

٤. مع بداية حكم إسكندر ساويرس (٢٢٢-٢٣٥م)، أرسلت ماميا mammaea والدة الإمبراطور حامية حربيّة تستدعى أوريجينوس لإنطاكيا كي يشرح لها بعض الأسئلة. وكما ورد في يوسابيوس أن أوريجينوس بعد أن لبث معها في القصر الإمبراطوري بعض الوقت أظهر لها فيه أشياء كثيرة لمجد الله وأوضح لها سموّ تعاليم الإلهيّة، أسرع في العودة إلى مدرسته[٤].

٥. أرسل العلامة أوريجينوس إلى اليونان[٥] لضرورة ملحة تتعلق ببعض الشئون الكنسيّة، وبقي عامين غائبًا عن الإسكندريّة. ذهب إلى آخائية ليعمل صلحًا، وكان يحمل تفويضًا كتابيًا من بطريركه. وفي طريقه عبر بفلسطين، وفي قيصريّة سيم قسًا بواسطة أسقفها[٦]. فقد بدى للأساقفة أنه لا يليق بمرشد روحي مثل أوريجينوس بلغ أعلى المستويات الروحيّة والدراسية يبقي مجرد علماني. هذا وقد أرادوا أن يتجنّبوا المخاطر التي يثيرها البابا ديمتريوس بسماحهم له أن يعظ وهو علماني في حضرتهم.

وقد اعتبر البابا هذه السيامة أكثر خطأ من التصرف السابق، حاسبًا إيّاها سيامة باطلة لسببين:

[1] Jerome: Cata c. 60; Socrate 6:39.

[2] J. Danièlou: The Christian Centuries, vol 1, P 184.

[3] Eus. H. E. 6: 19: 17, 18.

[4] Ibid 6: 21: 3, 4.

[5] Fairweather, P 50.

[6] Eus. H. E. 6: 23: 4.

أ. أن أوريجينوس قد قبل السيامة من أسقف آخر غير أسقفه، دون أخذ تصريح من الأسقف التابع له.

ب. إذ كان أوريجينوس قد خصى نفسه، فهذا يحرمه من نوال درجة كهنوتيّة، فإنه حتى اليوم لا يجوز سيامة من يخصي نفسه.

إدانته

لم يحتمل البابا ديمتريوس هذا الموقف فدعى لانعقاد مجمع من الأساقفة والكهنة بالإسكندريّة. رفض المجمع القرار السابق مكتفين باستبعاده عن الإسكندريّة[1].

لم يرضى البابا بهذا القرار فدعى مجمعًا من الأساقفة وحدهم عام ٢٣٢م، قام بإعلان بطلان كهنوته واعتباره لا يصلح بعد للتعليم، كما أعلن عن وجود بعض أخطاء لاهوتيّة في كتاباته، نعود إليها فيما بعد أن شاء الرب.

كتب البابا الإسكندري القرار وبعث به إلى كل الأبيارشيات. فدعى Pontias أسقف روما مجمعًا أيدَّ القرار، وهكذا فعل كثير من الأساقفة، فيما عدا أساقفة فلسطين والعربيّة وآخائيّة وفينيقيّة وكبدوكيّة الذين رفضوا القرار[2].

ومع أن أوريجينوس قد أخطأ في قبوله الكهنوت بدون تصريح من أسقفه، كما قبله رغم أنه كان قد أخصى نفسه، لكن كثير من المؤرّخين يروا في أوريجينوس الرجل النبيل الذي أطاع القرار متحاشيًا كل انقسام، أطاع بروح مسيحيّة لا تحمل شيئًا من الأنانيّة، معتبرًا استبعاده عن الأرض الغالية عليه جدًا أكثر من أي بقعة أخرى على الأرض ليست بالتضحية الكبرى من أجل حفظ وحدة الكنيسة. فبالرغم من وجود أصدقاء لهم سلطانهم في الإسكندريّة وفي الخارج، وكان يمكنه أن يقود حركة مضادة للبابا لكنه أبى أن يفعل شيئًا من هذا. في هدوء ترك الإسكندريّة شاعرًا أنه لن يوجد من يقدر أن يفصله عن كنيسته المحبوبة، إذ يقول: [يحدث أحيانًا أن إنسانًا يطرد خرجًا ويكون بالحق لا يزال في الداخل، والبعض يبدو كما لو كانوا في الداخل مع أنهم في الحقيقة هم في الخارج][3].

كانت هذه العاصفة التي ثارت ضدّ أوريجينوس بلا شك صفعة مرعبة، ومع ذلك فإنّنا نراه وهو يتحدّث عنها يتكلّم باتزان، إذ يقول في مقدّمة الكتاب السادس عن إنجيل يوحنا[4]: [بالرغم من العاصفة التي هبت ضدّنا في الإسكندريّة أكملت المجلّد الخامس (من إنجيل القدّيس يوحنا) لأن يسوع أمر الرياح والأمواج. لقد بدأت فعلا في المجلّد السادس حين طردت من أرض مصر. منذ ذلك الحين والعدوّ يضاعف عنفه، فينشر رسائله الجديدة، التي هي بالحق غريبة عن الإنجيل، هكذا يطلق علينا الرياح الشرّيرة قادمة علينا من مصر. وكان للعقل أن يشير علينا أن نستعد للمعركة لكن لا يمس هذا الأمر سلامنا إلى حد كبير فيعود الهدوء إلى ذهننا حتى نقدر أن نكمل أعمالنا السابقة الخاصة بدراسة الكتاب المقدّس...".

[1] H. M. Gwatkin: Early Church History , London 1909, vol 2, P. 192.

[2] Jerome: Epist. 33:4.

[3] Hom Levit 14:3.

[4] in Joan 6:1, 8-11.

غير أن أوريجينوس اضطرّ أن يدافع عن نفسه ضدّ الاتّهامات الخطيرة التي وجّهت ضدّه. فقد أورد روفينوس في كتابه De Adulteratione شذرة طويلة من خطاب كان قد وجّهه أوريجينوس إلى أصدقاء له في الإسكندريّة يشكو فيه من الملفقين الذين غيّروا بعض فقرات من كتبه وشوّهوها، ومن الذين نشروا في العالم المسيحي كتبًا مزوّرة ليس من العسير أن نجد فيها ما يستحق السخط.

كذلك يعرّفنا القدّيس إيرونيموس بوجود خطاب آخر كتبه أوريجينوس إلى أسقف روما فابيانوس يتّهم فيه صديقه إمبروسيوس بأنه تسرّع ونشر أحد كتبه في وقت غير مناسب وقبل أن يكمله، لعلّه قصد بهذا الكتاب المبادئ De Prineipiis[1]، الذي أثار سخط الكثيرين عليه حتى بعد وفاته بقرون.

وجاء في ميمره الخامس والعشرين على إنجيل القدّيس لوقا: [أنه من دواعي سرور أعدائي أن ينسبوا لي آراء لم أكن أتصوّرها ولا خطرت ببالي].

مدرسة جديدة

إذ ترك أوريجينوس الإسكندريّة واستوطن في قيصريّة فلسطين فرح به الإسكندر أسقف أورشليم وثيؤكتستوس أسقف قيصريّة، وحسباه "معلّمهما الوحيد، وسمحا له أن يفسّر الأسفار المقدّسة ويقوم بتعليم الكنيسة كلها"[2].

حثّه الأسقف ثيؤكتستوس على إنشاء مدرسة للاهوت هناك، رأسها قرابة عشرين عامًا. في هذه المدرسة تتلمذ القدّيس غريغوريوس العجائبي لمدة خمس أعوام.

وبناء على طلب الأسقف كان أوريجينوس يشرح الكتاب المقدّس من على إمبن الكنيسة في قيصريّة على الأقل مرّتين كل أسبوع: الأربعاء والجمعة[3]، وبعد قليل كان يقوم بهذا العمل يوميًا، وأحيانًا أكثر من مرّة في اليوم الواحد.

هذا العمل لم يدفع بأوريجينوس إلى الكبرياء والتشامخ بالعكس كان يدرك أن الكارز يلزمه أولاً وقبل كل شيء أن يكون رجل صلاة. وفي مرّات كثيرة حينما كان يقف أمام عبارة صعبة يتوقّف عن الكلام ويطلب من سامعيه الصلاة من أجله لينال فهمًا أفضل للنص[4].

اضطهاد مكسيميان

خلال الاضطهاد الذي أثاره مكسيميان التجأ أوريجينوس إلى كبادوكيّة قيصريّة. في هذا الاضطهاد أُلقيَ القبض على صديقيه القديمين: إمبروسيوس وبروتوكتينوس كاهن قيصريّة، ووضعا في السجن. كتب أوريجينوس

[1] د. أرشيدياكون وهيب عطا الله جرجس (حاليًا نيافة الأنبا غريغوريوس) أوريجينوس(١): مقدّمة ص ٦.

[2] Eus. H. E. 6:27. Jerome: Epis. 41.

[3] In Num. Hom. 15: 1. In Jesu Nave Hom. 20, In 1 Sam. Hom. 2.

[4] In Gen Hom. 2: 3.

إليهما مقالاً: "الحثّ على الاستشهاد"، نظر فيه إلى الاستشهاد كأحد البراهين على صحة الحق المسيحي، وكاستمرار لعمل الخلاص.

أطلق سراح صديقيه وعاد أوريجينوس إلى قيصريّة فلسطين.

سافر أوريجينوس إلى أثينا عن طريق بيثينيّة، حيث قضى عدة أيام في نيقوديميّة، وهناك تسلم رسالة من يوليوس أفريقانيوس، يسأله فيها عن قصة سوسنّة إن كانت جزءًا أصيلاً من سفر دانيال، وأجابه أوريجينوس برسالة مطوّلة بعثها إليه من نيقوديميّة.

وفي أيام دقيوس Decius (٢٤٩-٢٥١)، ثار الاضطهاد مرّة أخرى، وألقيَ القبض على أوريجينوس. تعذّب جسده، ووضع في طوق حديدي ثقيل وألقيَ في السجن الداخلي، وربطت قدّماه في المقطرة أيّامًا كثيرة، وهدد أن يعدم حرقًا[١].

احتمل أوريجينوس هذه العذابات بشجاعة، وإن كان لم يمت أثناءها، لكنه مات بعد فترة قصيرة، ربّما كان متأثّرًا بالآلام التي لحقت به.

قبل أن يموت أرسل إليه البابا الإسكندري ديدنسيوس الذي خلف هيراقليس، رسالة "عن الاستشهاد"، لعلّه بذلك أراد أن يجدّد العلاقة بين العلامة الإسكندري أوريجينوس وكنيسة الإسكندريّة.

وفي عام ٢٥٤م رقد أوريجينوس في مدينة صور بفلسطين وكان عمره في ذلك الحين ٦٩عامًا[٢]، وقد اهتم مسيحيّو صور بجسده اهتمامًا عظيمًا فدفنوه إزاء المذبح، وغطّوا قبره بباب من الرخام، نقشوا عليه: "هنا يرقد العظيم أوريجينوس"، وقد شاهد الكاتب غيليوم الصوري هذا القبر والباب الرخامي في أواخر القرن الثاني عشر[٣].

[1] Eus. H. E. 6: 39: 5.

[2] Eus. H.E. 7: 1

[٣] رئيس أساقفة صور، ولد حوالي عام ١١٣٠م وتنيح عام ١١٨٣م.

الأحداث التي تمت بخصوص

أوريجينوس[1]

ولد بالإسكندريّة	حوالي ١٨٥
استشهاد والده	٢٠٢-٢٠٣
رئاسته مدرسة الإسكندريّة	٢٠٤
إخصاء نفسه، تحوّل إمبروسيوس	٢١٠-٢١١
زيارته روما	٢١٢
رحلته الأوّلى إلى بلاد العرب	٢١٤
زيارته إلى فلسطين	حوالي ٢١٦
مقابلته مع ماميا بإنطاكية (في بدء حكم ساويرس)	٢٣٢-٢٣٥
سفره إلى اليونان، سيامته كاهنًا في قيصريّة فلسطين	٢٣١
انعقاد مجمع بالإسكندريّة يحرم أوريجينوس	٢٣٢
اضطهاد مكسيمان	٢٣٥
التجاء أوريجين إلى كبادوكيّة قيصريّة	
زيارته الثانية لأثينا وتصادمه مع Plotinus و Longinus	٢٤٣
زيارته لبلاد العرب	حوالي ٢٤٥
احتماله الآلام أثناء اضطهاد دقيوس بقيصريّة فلسطين	٢٤٩
تحرّكه إلى صور ومقابلته مع بروفيرى	٢٥٣
وفاته بصور	٢٥٤

[1] See R. P.C. Hason: Origen's Doctrine of Tradition, London 1954, P 25-27.

كتابات أوريجينوس

كتابات العلامة أوريجينوس قد سحبت قلوب الكثيرين، فلم يكن أوريجينوس بالكاتب الفيلسوف، لكنه أولاً وقبل كل شيء الرجل الكنسي ذا الفكّر متسع وقلب مملوء غيرة نحو الإيمان المسيحي الإنجيلي. لعلّه كان أول كاتب مسيحي قد عرفناه نشأ بالتأكيد في بيت مسيحي أصيل، مثله مثل القدّيس إيريناؤس الذي لم يأت إلى الكنيسة من الخارج. لهذا وجد أوريجينوس في الإيمان المسيحي مركزًا للحق من خلاله يتطلّع إلى كل شيء[١].

غيرته المتقدة جعلت منه كاتبًا خلاقًا: "فقد خلق الكثير من أشكال الأدب الدائم في الفكّر المسيحي، وساهم أكثر من غيره في تثبيت أشكاله أو توجيه تطور الأدب الذي لم يوجده"[٢].

قال عنه **دانيلو**: [يمكن القول بأن كتابات أوريجينوس تشير إلى فترة حاسمة في كل ميادين الفكّر المسيحي. فقد بحثّ في تاريخ نسخ الكتاب المقدّس المتنوّعة، كما أن تعليقاته على المعاني الحرفيّة والروحيّة للعهد القديم والجديد، جعلته مؤسّسًا الدراسة العمليّة للكتاب. هو أول من وضع النظرة اللاهوتيّة العظيمة، وأول من حاول تقديم تفاسير منهجيّة للأسرار المسيحيّة. إنه أول من وصف الطريق الذي تسلكه النفس في رجوعها لله، وبهذا يكون أول مؤسس للاهوت الحياة الروحيّة. كذلك نتساءل إن كان يعتبر هو السلف – إلى حد ما – لظهور الحركة الرهبانيّة الكبرى في القرن الرابع][٣].

إمبروسيوس وكتابات أوريجينوس

تعرّف أوريجينوس على صديق غني يدعى إمبروسيوس، من عائلة طيبة ويشغل مركزًا ممتازًا ويعتبر أحد المعترفين في أثناء اضطهاد مكسيمان كما رأينا قبلاً.

إذ ألتقى أوريجينوس بإمبروسيوس جذبه إلى الإيمان المستقيم وأظهر له فساد هرطقة فالنتينوس التي سقط فيها. وإذا أعجب إمبروسيوس بصديقه ضغط عليه أن يكتب وأمدّه بأكثر من سبعة سكرتيريّين في دورات بجانب الكثير من النساخ وبعض الفتيات اللواتي يجدن الكتابة[٤].

أما سبب ضغط إمبروسيوس عليه ليكتب فقد أوضحه أوريجينوس نفسه، قائلاً: [اليوم تحت ستار الغنوسيّة (المعرفة) وضع الهراطقة أضداد كنيسة المسيح المقدّسة الكثير من المجلّدات في التفسير، تظاهروا فيها بشرح الكتابات الإنجيليّة والرسوليّة. فإن التزمنا الصمت ولم نعارضهم بالتعاليم الصادقة الحقيقيّة يجتذبون الأرواح الضعيفة، الذين بسبب حرمانهم من القوت الصحّي يتمسّكون بالطعام الممنوع الذي هو بحق غير نقي ودنس][٥].

[1] Hans Von Campenhausen: The Fathers of the Creek Church, P 38.

[2] Louis Bouyer: The Spirituality of the N.T. & The Fathers, 1960, P 280.

[3] J. Danièlou: Origen, N.Y 1955, P VII

[4] Eus. H. E. 3: 23: 2, 3.

[٥] وجد في كتاب الفيلوكاليا (In Joan 5: 8).

ضياع الكثير من كتاباته

للأسف ضاع الجزء الأعظم من كتابات العلامة أوريجينوس بسبب الصراعات المرّة التي نشبت بسبب أرثوذكسيّته، فلم تكن مجرد قراءة أعماله محرمة وإنما مجرد الاحتفاظ بها كان يحسب عملا غير شرعي.

أما معظم ما تبقّى من كتاباته فهي ليست في الأصل اليوناني بل جاءت إلينا خلال الترجمات اللاتينية، خاصة التي قام بها روفينوس أسقف أكويلا والقدّيس جيروم.

القائمة الكاملة لكتابات أوريجينوس التي أضافها يوسابيوس إلى سيرة صديقه ومعلّمه بامفيليوس قد فقدت. ويقدّم جيروم مقالات أوريجين ألفين[١]، أما عند أبيفانيوس فستّة آلاف[٢]. شهد جيروم عن كثرة كتاباته بقوله: [من منا يقدر أن يقرأ كل ما كتبه؟].

الترجمة اللاتينية

الترجمات اللاتينية لأعمال أوريجينوس غير دقيقة، خاصة التي قام بها روفينوس، فقد أراد أن يقدّم مؤلفه للناطقين باللاتينية، فلم يتردد عن أن يختصر بعض العبارات التي بدت له مطوّله، وأن يضيف شروحات من عنده حسبها ضرورية. كما اعتقد روفينوس أن كتب أوريجينوس امتدّت إليها أيدي الهراطقة وحرفوها، فرأى من حقها إن ينقيها مما بدت له غير أصيلة.

أولا: النصوص النقديّة

يعتبر كتابه هكابلا Hexapla "السداسيّات" أول محاولة قامت على مستوى علمي في دراسة نصوص العهد القديم. وهو عمل ضخم كرّس له أوريجينوس حياته كلها[٣]. فقد نسق ست أعمدة متوازية تشمل النصوص التالية:

أ. النص العبري للعهد القديم.

ب. النص العبري بحروف يونانيّة.

ج. الترجمة السبعينية (اليونانيّة).

د. الترجمة اليونانيّة لسيماخوس، وهو أبيوني[٤]. قام بعمل الترجمة حوالي نهاية القرن الثاني للقارئ غير اليهودي. لهذا اهتم أن تكون اللغة اليونانيّة سليمة بغض النظر عن التقيّد بحرفيّة الترجمة من النص العبري. وجد أوريجينوس هذه الترجمة لدى الطوباويّة جوليانا بقيصريّة كبادوكيّة إذ التجأ إلى بيتها ومكث فيه عامين من وجّه الاضطهاد[٥]. أغرم القدّيس جيروم بهذه الترجمة.

[1] Danielou. Origen, 1953, P X-XII

[٢] رسالة ٨٤: ٨ إلى باكيوم بروما.

[3] Quasten: Patrology, vol 2, P44.

[٤] يوسابيوس ٦: ١٧. كان الابيونيون يصرون على أن السيّد المسيح ابن يوسف ومريم، مجرد إنسان؛ يشدّدون على حفظ الناموس بطريقة يهوديّة. وقد هاجموا إنجيل متّى.

[5] Budge: The Paradise of Fathers. N. Y. 1972. P 166.

هـ. الترجمة اليونانيّة لأكيلا من بنطس، وهو مسيحي تهوّد، عاش في أوائل القرن الثاني. ترجمته حرفيّة على حساب اللغة اليونانيّة. وضعها لمقاومة استخدام المسيحيّين للترجمة السبعينية. ترجع هذه الترجمة لحوالي عام ١٢٨م.

و. الترجمة اليونانيّة لثيؤدوتيون، وهو يهودي من أفسس، قام بالترجمة حوالي عام ١٨٠م. تمسّك بحرفيّة اللغة، لكنها ليست في دقة ترجمة أكيلا.

هذا وقد أضاف أوريجينوس ترجمات لم يعرفها أسماء القائمين بترجمتها، وضمها إلى السداسيّات، حتى أظهر أيضًا "التساعيات Euneapla"، حيث وجدت تسع أنهر في بعض الأسفار.

ثانيًا: التفاسير

كرَّس أوريجينوس ساعات طويلة كل يوم للصلاة والدراسة، فجاءت تعليقاته وعظاته على الكتاب المقدّس هائلة، شملت تقريبًا كل حقل الكتاب المقدّس؛ أخذت ثلاث أشكال أدبيّة:

أ. ملاحظات مختصرة Scholia، غالبيّتها ملاحظات نحوية بخصوص بعض العبارات الغامضة والصعبة.

ب. عظات على فصول أو عبارات منتخبة من الكتاب المقدّس، ألقيت في إجتماعات ليتورجية لتثقيف الشعب.

ج. تعليقات نحوي تفاسير رمزية وجوانب عقيدية، ى تزال هذه التعليقات لها أهميتها في مجال التفسير.

بمعنى آخر جاءت أعماله التفسيرية تحوى خليطًا غريبًا من ملاحظات أدبية ونصوص وتاريخ وتفسير المعاني لغويًا وملاحظات لاهوتيّة وفلسفيّة[1].

ويلاحظ أن أعماله هذه كشفت عن قدراته في الكتاب المقدّس، فكان يتحدّث ويتكلّم بطلاقة وبتوسّع، فجاءت تفسيره لعبارة "في البدء كان الكلمة" يضم مجلّدا كاملاً.

في أعماله هذه لم يهتم كثيرًا بالتعمق اللفظي... فإنّنا نجده "يحتقر المعلّمين الذين لا يريدون أن يفعلوا شيئًا سوى أن يجمعوا العبارات المعروفة والجمل الموديّة"[2].

ثالثًا: الكتابات العقيديّة Dogmatie Writings

أ. عن المبادئ (De Prircipiis (Peri Archon

[1] Quasten: Patrology, vol 2, P 48.

[2] In Exech. Hom. 3: 3.

للأسف الأصل اليوناني لهذا العمل المفقود، كذلك ترجمة القدّيس جيروم له الدقيقة، والذي بين أيدينا هو ترجمة روفينوس اللاتينيّة التي كما شهد المترجم نفسه أنه غيَّر في النص لينقيه من العبارات الغامضة[١].

احتل هذا الكتاب أهميّة كبرى بين كتابات العلامة أوريجينوس لسببين:

١. يعتبر هذا العمل أول محاولة قدّمت لإيجاد منهج للاهوت المسيحي[٢]. فإذا انشغل أوريجينوس كثيرًا بالدفاع عن العقيدة المسيحيّة المستقيمة (الأرثوذكسية) ضدّ الهراطقة الغنوصيين، رأى الحاجة ماسة لا بالرد على النقاط منفصلة، وإنما ضرورة تقديم وجّهة نظر للإيمان المستقيم تحمل طبيعة هذا الإيمان بطريقة شاملة وملتحمة، من خلالها تجد أسئلة الغنوصيين الإجابة[٣]. فعالج هذا العمل الفكّر المسيحي من جهة: الله والخليقة والخلاص والوحي الإلهي... قدّمه الدارسين وليس للثقافة الشعبية العامة. فجاء العمل كأول محاولة مسيحيّة فيها تحكم الفلسفة في خطة الخلاص[٤].

٢. وجد مقاوموا أوريجينوس في هذا العمل المادة الغزيرة لاتّهامه بالهرطقة، سواء في حياته أو بعد رقاده بقرون طويلة وهنا لا ننسى ما أعلنه القدّيس جيروم من أن أوريجينوس كتب إلى فابيانوس أسقف روما يوضح له أن بعض الأشياء الواردة في عمله (غالبًا ما يقصد به هذا العمل) تخالف وجّهه نظره، وأن صديقه إمبروسيوس قد تسرّع في نشرها بغير إرادته[٥].

كتب هذا العمل في الإسكندريّة ما بين عام ٢٢٠ وعام ٢٣٠م، في أربع كتب حوت المواضيع التالية:

١. الله وعالم الأرواح.
٢. العالم والإنسان، وخلاص الإنسان ومصيره.
٣. الحرية الإنسانيّة ونصرة الخير النهائيّة.
٤. الكتاب المقدّس وتفسيره.

تحدّث في الكتاب الأوّل عن الله وحدانيّته، كما أوضح خطأ مرقيون وغيره من الغنوسيّين من جهة التمييز بين إله العهد القديم وإله العهد الجديد. تحدث أيضًا عن الثالوث القدوس وعلاقتهم بالخليقة. تحدث عن الآب أنه عامل في كل الخليقة، والكلمة (اللوغوس) المولود قبل كل الخليقة يعمل في الخليقة العاقلة، أما الروح القدس فيعمل في الخليقة العاقلة المقدّسة فقط. ثم تحدث عن الملائكة، أصلهم وجوهرهم وسقوط الملائكة.

في الكتاب الثاني عن العالم المادي وخلقة الإنسان كنتيجة لسقوط الملائكة، فإن الإنسان هو روح ساقطة ليست جسدًا ماديًا. ثم تحدث عن تجسد اللوغوس لخلاص الإنسان، عقيدة القيامة والدينونة والحياة الأخرى.

[١] توجد بعض الفقرات باليونانيّة في كتاب "الفيلوكاليا" وفي منشورين للإمبراطور جوستينيان الأوّل.

[2] Drewery, P 6.

[3] H. Chadwick: Early Chureh, P 104.

[4] Farrar, vol 1, P 347.

[5] Jerome: Epist. 41.

وفي الكتاب الثالث تحدث عن اتحاد الجسد بالنفس أنه يعطى فرصة للجهاد والنصرة. في هذا الجهاد يسند الإنسان الملائكة أو القوات الصالحة، بينما تقاومه الشياطين، وفي هذا يبقي الإنسان في حريته. لقد ركّز على "الحرية الإنسانيّة" ورافعًا عنها بقوّة ضدّ الغنوسيّين الذين يحطمونها.

وفي هذا الكتاب الرابع قدّم التعاليم الأساسية مع بعض إضافات كما تحدث عن الكتاب المقدّس كمصدر للإيمان، والوحي وتفاسيره الثلاثة (الحرفيّة والأخلاقيّة والروحيّة).

ب. مناقشة مع هيراقليدس[1] Heraclides

وجد بين مجموعة من أوراق البردي التي اكتشفت في طور بجوار القاهرة عام ١٩٤١ مخطوط يرجع لحوالي نهاية القرن السادس، يحوي نص المناقشة التي دارت بين أوريجينوس والأسقف هيراقليدس. وهي تمثل سجلاً كاملاً لمناقشة واقعيّة حدثت في كنيسة بالعربيّة في حضور الأساقفة والشعب حوالي عام ٢٤٥م. ويبدو من المناقشة أن أوريجينوس كان يتكلّم وهو في سلطة المعلّم.

في الجزء الأوّل منها تدور المناقشة حول الآب والابن، فيشير أوريجينوس إلى الكتاب المقدّس ليظهر ماذا يعني أن الاثنين هما واحد.

آدم وحواء هما اثنان لكنهما جسد واحد (تك ٢: ٢٤).

(الإنسان البار) المرتبط بالرب يصير معه روحًا واحدًا (كو٦: ١٧).

أما ربنا ومخلّصنا ففي علاقته بالآب، إله المسكونة، ليس معه جسدًا واحدًا، ولا روحًا واحدًا (بالمعنى الوارد في كو ٦: ١٧). "بل ما هو أعظم من الجسد والروح، هما الله الواحد".

وفي نهاية المناقشة يعالج موضوع خلود النفس، حيث يسأله الأسقف في هذا الشأن، ويجيبه أوريجينوس بأن النفس هي خالدة من ناحية وقابلة الموت من ناحية أخرى، إذ هناك ثلاثة أنواع من الموت: موت الخطية (رو٦: ٤)، وموت عن الله (خر ١٨: ٤)، والموت الطبيعي. فالنفس لا تسقط تحت الموت الأخير، الموت الطبيعي، ولو أن الذين يعيشون في الخطية يشتهونه ولا يجدونه (رؤ ٦:٩). لكن النفس تخضع للموت الأوّل أو الثاني، بهذا يمكننا أن نسميها قابلة للموت.

ج. عن القيامة

يمكن اعتبار عمله "عن القيامة Peri Anastasius" مقدّمة لعمله الضخم "عن المبادئ الأوّلى"[2]. أشار إليه في هذا العمل طالبًا الرجوع إليه حيث تحدث في أمر القيامة بتوسّع كبير[3] وأشار المؤرّخ يوسابيوس إلى كتابين له في هذا الموضوع[4]، كذلك جيروم... وللأسف فقد هذا العمل، ولم يبقي منه إلا مقتطفات في

[1] Questen: Patrology, vol 2, P 62-64.

[2] Edgar J. Goodsbeed: A History of Early Christian Literature, Chieago 1966, P 139.

[3] De Prineipiis 2: 10: 1.

[4] Euseb. H. E. 6: 24: 2.

أعمال بامفيلوس[1] Pamphilus وميثوديوس أسقف فيلبى[2] وجيروم[3]. ويروي لنا ميثوديوس أن جيروم غيَّر رأيه الذي أوردّه في كتاب "المبادئ" عن القيامة، وذلك في أواخر حياته رافضًا فكرة التعرّف المادي للشخص المقام ببشريّته وجسده وكل تفاصيله...

د. المتفرّقات Stromata, Miscellaneous

هذا العمل مفقود، إلا شذرات قليلة منه اقتبسها جيروم باللاتينيّة[4]. وقد أشار يوسابيوس[5] إليه، أنه يحوي عشر كتب سجّلها في الإسكندريّة قبل رحيله منها.

يشير العنوان إلى موضوعات متنوّعة لم تناقش بترتيب خاص.

رابعًا: أعماله الدفاعيّة Apologetical

أهم أعماله الدفاعيّة هو "**ضدّ صلسس Contra Celsus**"، وهو مقال مكون من ثمانيّة كتب في إجابة مطوَّلة ضدّ صلسس. كتبه في أواخر حياته حوالي عام ٢٤٨م، موجود بكامله. ويعتبر أحد أعماله القيّمة جدًا الخصبة، كما يعتبر مصدرًا هامًا في تاريخ المسيحيّة في الكشف عن الصراع بين المسيحيّة والوثنيّة[6].

صلسس هذا في نظر أوريجينوس كان أبيقوريًا، لكن كانت له أفكار أفلاطونية، وهو صديق الخطيب لوقيان Lucian (حوالي١٢٠-٢٠٠م). بجانب معرفته بفلسفات عصره كان صلسس في الواقع رجل دولة أكثر منه كاتب، غيور على الإمبراطوريّة الرومانيّة ومهتم بالحفاظ على شرائعها وتقاليدها.

إذ أراد الهجوم على المسيحيّة قرأ العهدين "القديم والجديد"، كما قرأ كتابات اليهود ضدّها، وعرف كتابات الغنوسيّين، حتى ظنّ أنه عرف كل شيء عن المسيحيّة، فكتب عمله "True Discourse" حوالي عام ١٧٨م، مستخدمًا كل وسيلة تعلّمها للهجوم على المسيحيّة. هذا العمل مفقود، لكن مقال أوريجينوس حفظ الكثير من نصوص الهجوم.

أ. في هجومه بدأ بتقديم يهودي، هاجم شخص يسوع المسيح، متهمًا القدّيسة مريم بالزنا، كما استخدم إنكار بطرس وخيانة يهوذا وموت يسوع كمتناقضات للاهوته؛ فقد رفض التجسد والصلب، كما جعل من القيامة خدعة.

ب. هاجم المسيحيّة واليهوديّة معًا، فسخر بفكرة المسَّيا، كما اتّهم السيّد المسيح أنه تعلّم السحر في مصر.

[1] Apol. Pro Orig. 7.

[2] De Resurr

[3] Contra Joh. Hier. 25-26

[4] Schaff: Hist. of Christian Church, vol 2, P 796.

[5] Euseb. H. E. 6:24:3.

[6] Quasten: Patrology, vol 2, P 56.

ج. هاجم فكرة "ما فوق الطبيعة" التي تقوم عليها المسيحيّة واليهوديّة معًا، ويرى أن الصراع بين المسيحيّة واليهوديّة نوعًا من الغباء.

د. هاجم فكرة "الوحيّ الإلهي" وأنكر العقاب الأبدي، متهمًا المسيحيّين أنهم ورثوا الجهل والقسوة عن آبائهم اليهود، ودعاهم غير متعلّمين وعبيدًا ونساءً وأطفالاً وسخفاء.

هـ. في رأيه أن الله لا يهتم بالإنسان أكثر من اهتمامه بالقرود والحشرات... وفي مجمله لم يحمل مشاعر دينيّة قويّة.

و. مدح التعاليم المسيحيّة السلوكيّة وتعاليم اللوغوس، وفي رأيه أن يُترك المسيحيّون يعيشون بشرط أن يتخلوا عن عزلتهم السياسية والدينيّة ويخضعوا لتقاليد الدولة الدينيّة. فقد كان متخوفًا من عزلتهم أن تسبب شقاقًا في الدولة وانهيارًا للإمبراطوريّة الرومانيّة. لهذا دعاهم لمساندة الملك والعمل معه في تحقيق العدل، والمحاربة من أجله، وإن استدعى الأمر أن يكونوا في الحرب تحت قيادته أو من ينيبه عنه، وذلك لتدعيم شرائع الدولة ودينها[١].

لم يقرأ أوريجينوس هذا العمل، الذي كان أثره على مصر وفلسطين لا يُذكر[٢]. ولولا إمبروسيوس صديقه قرأ الكتاب وشعر بخطورته فأرسل إليه يطلب أن يفنّده لما علمنا شيئًا عنه.

في البداية كان رأيه أنه لا حاجة لتفنيده وأن حياة السيّد المسيح وسلطانه يعرفها الجميع، وهذا خير شاهد ضدّ ما كتبه صلسس، وأن هذا العمل لن يهز إيمان أي مسيحي[٣]. لكنه عاد واستجاب لطلب صديقه، فكتب الرد بنظرة روحيّة ثاقبة ومهارة عظيمة وفكّر ناضج يحمل قوّة[٤]. وجاء ردّه يحوي اقتباسات كثيرة من الكتّاب الوثنيّين، ولعلّه بهذا أثبت أنه كان من حيث علمه منافسًا كبيرًا لخصمه الوثني صلسس.

وجّه أوريجينوس مقاله لا للمؤمنين تمامًا، بل للذين ليس لهم معرفة بالإيمان المسيحي أو الذين قال عنهم الرسول بولس (رو ١٤: ١) أنهم ضعفاء في الإيمان[٥].

في هذا العمل أوضح الآتي:

أ. لو قرأ صلسس النبوات ودرس الكتاب المقدّس بعهديه كما يجب لما قال أنه يعرف "كل شيء"... [نحن الذين درسنا هذه الأمور دراسة عن قرب لا نستطيع أن نجرأ ونقول أنّنا نعرف كل شيء لأننا نحب الحق][٦].

ب. أجاب على اعتراض صلسس بأن المسيحيّة إيمان البسطاء، بأن هذا الإيمان البسيط يحمل نوعًا من المعرفة أكده كلمة الله، وحمل ثمارًا حية في حياة المسيحيّين أنفسهم الذين تركوا رذائلهم القديمة. هذا وأن المسيحيّة تقدّم بساطة الإيمان للبسطاء، كما تقدّم سموّ المعرفة العالية للكاملين. الله في محبته للبشر قدّم لبنًا للأطفال وطعامًا قويًا للبالغين. لقد أراد أن يرتفع بالضعفاء إلى "معرفة الله في حكمة الله".

[1] Contra Cels. 8: 73-75.

[2] Lebreton, vol 4, P 321.

[3] Contra Cels. Pref. 3.

[4] Fairweather, P 110, 111.

[5] Contra Celsus Pref 6.

[6] Ibid 1: 21.

جـ. انتقد أوريجينوس صلسس، لأنه عبر على النبوات الخاصة بالسيّد المسيح دون مناقشتها كما ينبغي، فقد شهد الأنبياء قبل مجيئه عن ميلاده في بيت لحم وآلامه ومجيئه الأوّل والأخير وقيامه والتحول الذي يصنعه...

د. أكد صدق الأناجيل بما تحمله الرسل من أجل الكرازة به، كما تحدث الإنجيليون عن ضعفاتهم الخاصة وعن تركهم للسيّد أثناء الصلب وإنكار بطرس... فلو أن الأناجيل من عملهم الذاتي لما ذكروا شيئًا من هذا. أكد أوريجينوس كيف أن وعود السيّد المسيح قد تحقّقت، فالعالم قبل رسالته والإنجيل انتشر في كل المسكونة، ومن أجله احتمل الكثيرون الاستشهاد.

هـ. أما عن قيامة السيّد فقد أوضح أوريجينوس أنه صُلب علانية ومات أمام الكثيرين، فإذ ظهر بعد ذلك كانت قيامته حقيقيّة لا شك فيها. وقد شهد الرسل عنها حتى الموت. "لو أنهم اخترعوا رواية القيامة، كيف كانوا يبشّرون بها بعد ذلك بقوّة حتى أنهم ليس فقط قادوا الآخرين إلى احتقار الموت بل هم أولاً احتقروه"[1].

قد يعترض: لماذا لم يظهر بعد قيامته للجميع؟ أجابه ليس الكل كان مستحقًا لرؤيته ولا كان قادرًا على التفرس فيه[2]؛ فليشرح لنا ظهوره لتوما وللتلميذين الذين كانا في طريقهما لعمواس... الخ.

تأكدت القيامة أيضًا بالنبوات وبالمعجزات، وفوق الكل بثمار الخلاص التي قدّمتها للجنس البشرى.

و- تحدث عن التحول الذي حدث في العالم، وكيف قدّمت المسيحيّة حياة فُضلى فعّالة في حياة الناس. يحوّل السيّد الخطاة إلى قدّيسين... ويغّير النفس البشريّة ويجدّد طبيعتها.

ز- أكد أوريجينوس طاعة المسيحيّين للحكام، لكنها ليست طاعة مطلقة إنما في الرب، فلا يقبلون العبادات الوثنيّة.

خامسًا: كتاباته العمليّة Practical Writings

١. عن الصلاة De Oratione: مقال وجّهه إلى صديقه إمبروسيوس وسيّدة غير معروفة تسمّى Tatians ربّما أخت إمبروسيوس أو زوجته. كتبه ما بين عامي ٢٢٣ و ٢٣٤م؛ عالج فيه موضوع الصلاة وتحدّث عن وسائل الصلاة الحقيقيّة معطيًا توجيهات عمليّة.

ينقسم هذا المقال إلى جزئين؛ الجزء الأوّل يعالج موضوع الصلاة بصفة عامة (ف٣-١٧)، والثاني يعالج الصلاة الربّانيّة بوجه خاص (ف١٨-٣٠). وفي النهاية يطلب من إمبروسيوس وتاتيانا أن يكتفيا حاليًا بما كتبه في هذا الشأن، واعدًا إياهما أن يكتب في هذا الأمر بطريقة أفضل وأجمل... لكن يبدو أنه لم يقدر أن يفي بوعده.

هذا العمل أوضح بأكثر جلاء عن بقيّة كتاباته عمق حياة أوريجينوس وغيرته الروحيّة.

وأرجوا أن أتحدث عن أفكاره بخصوص الصلاة فيما بعد أن شاء الرب.

[1] Ibid 2: 61; 1: 31.

[2] Ibid 2: 61, 62, 67.

ب. حثّه على الاستشهاد Exhortatio ad Martyrium

كتب هذا المقال في قيصريّة فلسطين عام ٢٣٥م في بدء اضطهاد مكسيمانوس، وجّهه إلى إمبروسيوس صديقه وبروتوكتسيوس كاهن في إيبارشية قيصريّة[١]، اللذين ألقيا في السجن. في هذا المقال كشف عن أعذب ما تشتهيه نفسه كل أيام حياته إلا وهو "الاستشهاد".

يعتبر عمله هذا أكثر حكمة واعتدالاً من مقالي ترتليان والشهيد كبريانوس عن الاستشهاد، كما قدّم براهين لمواجهة الاضطهاد، على أسس حقيقيّة عميقة[٢]. أما نظرته للاستشهاد فنعود إليها فيما بعد أن شاء الرب.

جـ. عن القيامة Peri Pascha

حفظ المخطوط الذي وجد بطور عام ١٩٤١م مقتطفات عن مقال لأوريجين عن القيامة.

د. رسائله

اقتبس القدّيس جيروم أربعة مجموعات مختلفة من رسائل العلامة أوريجينوس. أحدهما حوَّت تسع مجلّدات، لأبد أنها هي التي نشرها المؤرّخ يوسابيوس[٣]، والتي شملت أكثر من مئة رسالة.

ولا يوجد من رسائله سوى رسالتين كاملتين:

١. الأوّلى وردت في كتاب الفيلوكاليا فصل ١٣، وهي رسالة موجّهة إلى تلميذه السابق القدّيس غريغوريوس الصانع العجائب، كتبت ما بين عام ٢٣٨، وعام ٢٤٣ بينما كان أوريجينوس في نيقوميديا.

في هذه الرسالة يطلب من تلميذه أن يقتطف من الفلسفات اليونانيّة ما يمكن أن تنتفع به المسيحيّة كما انتفع اليهود بالأواني الذهبيّة والفضيّة التي أخذوها من المصريين في خدمة الله الحقيقي. كما طالبه بالاهتمام بدراسة الكتاب المقدّس، وأن يقرع الباب ويسأل خلال الصلاة لكي يتفهّم الأسرار الإلهيّة.

٢. الرسالة الثانية وجّهها إلى يوليوس أفريقيانوس التي سبق الإشارة إليها كتبها حوالي عام ٢٤٠م من منزل صديقه إمبروسيوس بنيقوميديا.

٣. كثير من رسائله المفقودة نسمع عنها في يوسابيوس "الكتاب السادس"، منها رسالة إلى الإمبراطور فيلبس العربي، وأخرى إلى زوجته سيفيرا، ورسائل إلى الأسقف فابيناوس.

[1] Euseb 6: 28.

[2] 37- Farrar, vol 1, P 438.

[3] Euseb. H. E. 6: 36: 3

الكتاب المقدّس

كانت فكرة أوريجينوس الرئيسية في الكتاب المقدّس أن اللوغوس حاضر تحت عارض الكتاب المقدّس كطعام مشبع للنفس. رآه سَّر الاتّحاد السرّي مع السيّد المسيح، ينبوع حياته الروحيّة والشخصيّة والأداة التي يجاهد بها لبلوغ الكمال، لهذا كرَّس حياته كلها للكتاب، وللكتاب وحده... حتى يمكننا القول بأنه ليست حياة كرَّست بالكامل للكتاب المقدّس مثل حياته[1]. وكما يخبرنا المؤرّخ الكنسي يوسابيوس أنه كان يقضي الليل معظمه في دراسة الكتاب[2]، بينما يقضي نهاره يشرح ويفسّر كلمة الله... أما صلواته فكانت غايتها أن يفتح الله ذهنه ليتعرّف أسرار الكتاب الخفيّة.

هذا ما دُفعه إلى دراسة اللغة العبريّة ليهيىء نفسه لدراسة النص العبري للكتاب[3]، كما قضى سنوات طويلة في تجميع النصوص الموجودة في عصره الخاصة بالعهد القديم مكونًا كتاب "السداسيّات Hexapla" للوصول إلى أدق معنى...

وصف **القدّيس غريغوريوس الصانع العجائب** إمكانياته في تفسير كلمة الله هكذا: [الروح القدس الذي يوحي للأنبياء... كرمه كصديق، وعيّنه كمفسّر خاص به...، له القدرة أن يصغي لله ويفهم أقواله ويشرحها للبشر لكي يفهموها هم أيضًا][4].

خطورة التفسير الحرفي

أوضح **أوريجينوس** ضرورة الاهتمام بالتعرّف على الطريق السليم في تفسير الكتاب المقدّس، قائلاً: [يليق بنا أن نهتم بالتأكيد من صحة الطريق في قراءته وفهمه، فقد حدثت أخطاء كثيرة إذ فشل كثيرون في وجود الطريق الصحيح في تعاملهم مع الأسفار المقدّسة][5].

عاد فناقش مشكلتين بخصوص العهد القديم واجهتا الكنيسة الأوّلى:

١. أول المخطئين في تفسير العهد القديم هم اليهود الذين تمسّكوا بحرفيّة النبوات. [أنهم لم يروا شيئًا من النبوات قد تحقّق بطريقة واضحة (حرفيّة) خلال مجيء ذلك الذي نؤمن به أنه المسيح، لهذا لم يعرفوه أنه الرب][6]. في رأيهم أن يسوع ليس هو المسّيا لأنه لم يحرر المأسورين بطريقة حرفيّة (إش٦١: ١)، ولا أعاد بناء مدينة الله (زك ٩: ١٠)، ولم يجعل الذئب يرعى مع الغنم (إش٦٥: ٢٥)، ولا الثور مع الأسد (إش١١: ٧)، ولا أقام مملكة أرضية ليحكم العالم كله!

[1] Danièlou: Origen, P 131.

[2] Eus. H. E. 6: 3: 9.

[3] Jerome. De Vir. Illustr. 54.

[4] Greg. Thaum. O. P. 15. PG 10:1093c, 1098a.

[5] De Priucipiis 4: 2: 1.

[6] Ibid.

٢. الفئة الثانية هي جماعة الغنوسيّين. وكلمة غنوسى عند أوريجينوس إنما يعني بها "هرطوقى"، هؤلاء تعثروا في العهد القديم لأنهم فسروا النصوص حرفيًا لا روحيًا[١]، خاصة التي تصف الله أنه غضب أو ندم... كما حسبوا "الخالق" غير صالح، من هؤلاء الغنوسيّين مرقيون الذي قال عنه أوريجينوس: [مرقيون غير مستعد أن يسمح بأي تفسير رمزي على الإطلاق][٢].

يرى **أوريجينوس** أن هاتين المجموعتين قد بالغتا في التفسير الحرفي فتعثرتا في الله وفي كتابه. كما توجد جماعة أخرى هي البسطاء من المسيحيّين الذين وقفوا عند حدود الحرف، فحرّموا أنفسهم من التمتّع بإدراك أسرار كلمة الله العميقة. لهذا وضع أوريجينوس نظريّته قائلاً بوجود ثلاث معان مختلفة في الأسفار المقدّسة: المعنى الحرفي والمعنى الأخلاقي والمعنى الروحي أو الرمزي.

نظريته في التفسير

تطبع كلمات الكتاب المقدّس في النفس بأحد طرق ثلاث[٣]:

١. التفسير الحرفي أو المعنى السطحي الواضح، يأخذ به غير المثقّفين. هؤلاء يظنون أنهم يفهمون الكتاب المقدّس وأن كانوا في الحقيقة لا يتمتّعون بمعناه العميق غير المحدود، مكتفين بما هو على السطح.

لقد رأى أنه ليس كل العبارات تحمل المعنى الحرفي كما جاء في سفر النشيد عن "الثعالب الصغيرة"...

ويرى أحيانًا أن التفسير الحرفي ضروري ليقدّمنا للتفسير الرمزي[٤] دون أن نتوقف عنده. على أنه في مرّات كثيرة حذّر من التفسير الحرفي والتوقف عنده كقاتل للنفس: "الحرف يقتل".

٢. التفسير الأخلاقي أو السلوكي، يهذب أناسًا في درجة أعلى من السابقين. يرى في الكتاب تعاليم أخلاقيّة وسلوكيّة.

٣. التفسير الروحي، يتهذب به الكاملون، وهو يحوي ظلال البركات العتيدة.

اعتمد في نظريته على أن الإنسان يتكوّن من جسد ونفس وروح، هكذا أعَّد الله الكتاب المقدّس بنفس الطريقة لأجل خلاص الإنسان. المعنى الحرفي هو الجسد، والأخلاقي هو النفس، والروحي هو الروح.

سند نظريّته هذه بالرجوع إلى سفر الأمثال (٢٢: ٢٠) الخ... حيث جاء في الترجمة السبعينية: "ألم أكتب إليكم بطرق ثلاث[٥]؟!

وجد أيضًا في فلك نوح مادة لتحقيق نظريته، إذ يتكوّن من ثلاث طوابق:

الطابق الأسفل يشير إلى المعنى الحرفي، الذي فيه حفظت الحيوانات، والطابق الأعلى يشير إلى المعنى الروحي أو السرّي myatical، الذي ضمّ نوح رجل الله وعائلته، أما الطابق المتوسط فيشير إلى المعنى

[1] Ibid.

[2] Comm. on Rom. 2: 13.

[3] De Principfis 4: 2: 4.

[4] Prat. Origene: Le Theologien et L'exegete, Intr. P XVI.

[5] Hom. Levit. 10: 2; Hom. Num. 9: 7, Hom. Jos. 21: 2.

الأخلاقي[1]. يليق بالمؤمن أن يرتفع من الطابق الأسفل إلى الطابق العلوي، أي ينتقل من التفسير الحرفي إلى الروحي، ومن العالم المحسوس إلى غير المحسوس، من ابن الإنسان إلى ابن الله[2].

ويرى أيضًا في قضيب اللوز ما يؤكد نظريته، فاللوزة تتكون من:

١. الغلاف الخارجي، وهو غلاف مرَّ يسقط عند نضوج اللوزة، وذلك كالتفسير الحرفي أو الظاهري، وهو مرَّ وقاتل، عاق اليهود والغنوسيّين عن بلوغ المعرفة الحقيقيّة.

٢. الغلاف الداخلي، هو سميك، نقوم بكسره لكي نأكل ما بداخله، وهو التفسير السلوكي أو الأخلاقي، خلال هذا التفسير يدخل المؤمن إلى حالة كسَّر أو إماتة وذلك بالأصوام والنسكيّات والميتات الكثيرة.

٣. الثمرّة الداخليّة، حلوة ومشبعة، تشير إلى التفسير الروحي، الغذاء الذي يعيش عليه المؤمن لا من الحياة الحاضرة فحسب بل وفي الدهر الآتي.

هكذا يليق بالخادم أن يكون كهرون الذي أفرخت عصاه قضيب لوز. فالخادم كالعصا الجافة التي لا تحمل حياة ذاتها، لكنه يثمر كلمة الله التي قضيت اللوز، مقدّما التفسير الروحي طعامًا للمخدومين.

كذلك يرى الآبار الثلاثة التي حفرها اسحق إشارة إلى التفاسير الثلاثة، فإن البئرين الأوّلين كانا مرَّين، أما الثالثة وتسمى "رحبات" فتخرج ماء حلوًا، إشارة إلى التفسير الروحي.

مرّة أخرى يتحدّث موسى النبي عن كلمة الله بكونها "فرائض وأحكام وشهادات" أي حرف وسلوك وروح!

ومع شرحه لنظرية هذه في أكثر من موضع لكنه كان دائم المقارنة التفسير الحرفي والتفسير الرمزي أو الروحي متجاهلاً التفسير الأخلاقي. وفي رأيه "أن كل الكتاب المقدّس له المعنى الروحي، لكن ليس كلّه المعنى الحرفي"[3]، وأن بعض العبارات تفسر فقط بطريقة روحيّة وأخلاقيّة وليست حرفيّة، فقد رأى في التلميذين الذين أحضرا للسيّد الأتان لدخوله أورشليم إنما يشيران إلى التفسير الروحي والأخلاقي[4]، الذين يدخلا بالسيّد المسيح إلى القلب. واعتقد أن نظريّته هذه قد أشير إليها بالستّة أجران التي يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة (يو٢: ٦)، إذ بعضها يمكن أن تفسّر بالروحي والأخلاقي (مطرين)، والبعض تفسير بالتفاسير الروحيّة والأخلاقيّة والحرفيّة (ثلاثة أمطار).

أخيرًا يعلّق على حديث السيّد المسيح بخصوص الهيكل القديم أنه "لا يترك حجر على حجر لا ينقض" (٢٤: ٢)، إنما يشير إلى هدم التفسير الحرفي لكلمة الله ليقوم الهيكل الروحي الجديد[5]!

[1] Hom. Gen. 2: 6.

[2] H. Chadwiek: Early church, P 108

[3] Peri Archon 4: 3 :5.

[4] In Joan Comm 10: 28.

[5] R. P.C. Hanson: Allegory and Event, 1959, P 133.

التفسير الروحي

فهم الكتاب المقدّس – عند أوريجينوس – هو "فن الفنون"، "علم العلوم"[١]. كلمات الكتاب المقدّس هي جسده، أو العنصر المنظور الذي يخفي روحه، العنصر غير المنظور. هذا الروح الخفي إنما هو الكنز المخفي في الحقل، مخفي وراء كل كلمة[٢]، وراء كل حرف، بل ووراء كل "يونا" مستخدمة في الكتاب المقدّس[٣] أنه يقول: "كل ما في الكتاب هو سرّ"[٤].

في حديث له عن أسرار الكتاب الخفيّة يقول: [إذ أحاول تفسير الكتاب أدرك أن الأسرار بعيدة جدًا عن إمكانياتي. لكن حتى وأن كنا لا نستطيع أن نشرحها كلها، ألا أنّنا نعلم أنها مملوءة سرًا، كلّها هكذا][٥].

التفسير الرمزي كعطيّة إلهيّة

يرى أوريجينوس أن التفسير الروحي إنما هو عطية من قبل الله... في هذا يقول: [كثيرون يطلبون أن يفسّروا الكتب الإلهيّة... لكن ليس الكل ينجحون. يندر أن يوجد من له هذه النعمة من قبل الله][٦].

[ليس شيء صالح يصدر عن آخر غير الله، خاصة فهم الكتب المقدّسة[٧].]

[الله يرشد الذين يسمعونه خلال الكتاب المقدّس كلّه وخلال الذين يعملون. وذلك بواسطة تعمقّه[٨].]

[بالرغم من أن كل الشريعة روحيّة إلا أن المعنى الروحي لا يعرفه الكل بل الذين أُعطيَ لهم نعمة الروح القدس في كلمة الحق والمعرفة[٩].]

[إن كنت محتاجًا إلى عون الله على الدوام... فإنّنا نحتاج دائمًا إلى الروح القدس لكي نفهم الكتب المقدّسة. الآن هو وقت أن يعينني ويظهر لي معاني كلماته[١٠].]

لهذا كانت وسيلة أوريجينوس من أجل إدراك الفهم الروحي لكلمات الله صلاته المستمرّة وصلاة الغير عنه، كما يرى تقديس الإنسان وحياة الشركة مع الله في المسيح يسوع بالروح القدس هو أيضًا طريق التمتّع بأسرار الكتاب في هذا يقول: [إن كنا في بعض الأوقات لا نفهم ما يقال فأنه يليق بنا أن ننتظر نعمة الله التي تقدّم لنا الإجابة على سؤالنا أما باستنارة مباشرة أو خلال وساطة آخرين][١١].

[1] Comm. Joan 13: 46.

[2] Hom levit 4: 8.

[3] In Jerm. Hom. 39.

[4] In Gen. Hom 10: 1.

[5] in Levit. Hom 4: 8.

[6] Note on Ps. 119: 85

[7] Sel Ps. 1: 2.

[8] Cels. 6: 57.

[9] Principiis: Praef. 8.

[10] In Ezek. Hom. 11: 2.

[11] In Isa. 2: 1.

[لنطلب من الله أن يهبنا كما أن "الكلمة" ينمو فينا نتقبل أيضًا غني اتّساع الذهن في المسيح يسوع فنكون قادرين على سماع الكلمات المقدّسة][1].

وفي رسالة له إلى تلميذه غريغوريوس يقول: [جاهد في قراءة الكتب الإلهيّة، نعم كن مثابرًا... اقرع فسيفتح لك الباب... ولا تتوقف عن القرع والسؤال، فإن الصلاة هي أهم عون لازم لمعرفة الحق الروحي. لهذا قال الرب: "اقرعوا يفتح لكم، اطلبوا تجدوا"، كما قال: "اسألوا تعطوا"....

[ليس الأمر سهلاً على أحد أن يكتشف رموز هذه القصة (أبيمالك وسارة)... يليق بنا أن نصلي لكي يرفع البرقع عن قلوبنا، إذ نجاهد متّجهين نحو الرب لكي يرفعه. الرب هو الروح. لنصل إلى الرب ليرفع برقع الحرف نفسه فيضيء بهاء الروح][2].

[من يقدر أن يعرف أفكار الإنسان إلا روح الإنسان الذي في داخله؟! هكذا لا يقدر أحد أن يعرف أفكار الله إلا روح الله (١كو ٢: ١١). بنفس الطريقة لا يعرف أحد ما قاله المسيح في الأمثال إلا روح المسيح... لا يستطيع أحد أن يتأمل الحقائق المخفيّة في هذه العبارة إن لم يشترك في حياة الروح][3].

"يلزمنا أن نذهب إلى القول بأن الأناجيل هي بكور الكتاب ككل، والإنجيل يوحنا هو بكور الأناجيل. لا يقدر أحد أن يفهم هذا الإنجيل ما لم يتكئ على صدر يسوع (يو ١٣ : ٢٣) ويأخذ مريم أما له (يو ١٩: ٢٧)"[4].

لا يقف أوريجينوس عند إدراك المفهوم الروحي للكلمة لكن يهتم أيضًا بفاعليتها في حياة المؤمنين... فإن هذا أيضًا لا نقدر عليه بذواتنا إنما بعمل الله فينا، إذ يقول[5]: [يقول الكتاب المقدّس أن الكلمة المنطوق بها وأن كانت تحمل الحق كلّه ومقنعة في ذاتها، لكنها لا تكتفي إن لم تصل إلى النفس البشريّة، أي ما لم يوهب المتكلّم القوّة من الله وتثمر نعمة فيما يقال، ويهبها الله وحده هذه القوّة لتكون فعالة في الكارزين].

[لنجاهد أن نتجنب أن نكون غير مؤهلين لنوال الفهم العظيم السامي، بل بالأحرى أن تكون نفوسنا أولا "موضعًا مقدّسا" فيه تتقبل الأسرار المقدّسة بواسطة الروح القدس، الذي به يتقبل كل ما هو مقدّس قدسيته][6].

[الأعمال اللائقة بالكاهن لها جانبان: أن يتعلّم عن الله بواسطة قراءة الكتاب المقدّس والتأمل الدائم فيه، وأن يعلّم الشعب، ليته يعلّم ما يتعلّمه من الله لا ما ينبع عن قلبه الذاتي (خر ١٣: ٢) أو ما يأتيه عن فهم بشري، بالأمور التي يعلم بها الروح... وهكذا إذ يتأمل (قصص العهد القديم) ويتذكرها ليل نهار، ويستمرّ على الصلاة الدائمة، سائلاً الله أن يتفضل ويعلن لنا المعرفة الحقيقيّة لما نقرأ، وأن يظهر لنا كيف نحفظ الناموس الروحي في الفهم والعمل. هكذا نتأهل لنوال النعمة الروحيّة، مستنيرين بناموس الروح القدس][7].

[1] In Jerm. Hom. 6: 3.

[2] In Gen. Hom. 6: 1.

[3] Comm. Mat. 14: 6.

[4] Comm Jaan 1: 4.

[5] Celsus 6: 2.

[6] In Levit. Hom. 13: 6.

[7] Ibid 6: 6.

من الناموس إلى الإنجيل

يرى العلامة أوريجينوس أن الناموس هو ظل الإنجيل كما أن الإنجيل هو ظل الملكوت العتيد[١]. بمعنى آخر أنّنا ندخل إلى الإنجيل خلال الفهم الروحي للناموس، فتتحول مرارته إلى عذوبة الإنجيل خلال الصليب، وذلك على مثال موسى النبي الذي أُلقيَ بالخشبة في المياه المرّة فصارت حلوة.

في هذا يقول: [أُلقيَ الرب... شجرة في المياه، فصارت حلوة. عندما جاءت شجرة يسوع ووجدت تعاليم مخلّصي لها مسكنًا فيَّ تحولت شريعة موسى إلى عذوبة، صار طعمها لمن يقرأها ويفهمها بحق عذبًا][٢].

وفي إحدى تعليقاته على سفر نشيد الأناشيد، يشرح العلامة العلاقة بين الناموس والإنجيل قائلاً:

[عندما جاء المسيح، بقي أولاً إلى حين على الجانب الآخر من الحائط. الحائط هو العهد القديم الذي جلس السيّد خلفه حتى يعلن ذاته لشعبه. أخيرًا جاء الوقت وبدأ يعلن عن نفسه خلال النوافذ والشبابيك، أما النوافذ فهي الناموس والأنبياء والنبوات السابقة. بدأ يصير منظورًا من خلالها. معلنًا نفسه للكنيسة التي كانت جالسة في الداخل، مستغرقة في حرفيّة الناموس. لقد سألها أن تخرج وتتحد به. فإنها أن لم تخرج، أي أن لم تترك الحرف إلى الروح لا تقدر على الاتّحاد بالمسيح ولا أن تكون واحدًا مع عريسها. لهذا دعاها وسألها أن تترك المنظورات لأجل الأمور التي لا ترى. هذا هو السبب الذي لأجله سألها أن تترك الناموس من أجل الإنجيل][٣].

يقول أيضًا: [في ناموس موسى كان النور مخفيًا ومغطى بحجاب. وعندما جاء يسوع أضاء النور، لأن الحجاب قد نزع والبركات التي كانت خلال الظلال في الحرف قد أعلنت فجأة][٤].

كما يقول: [كل ما كتب في الناموس يشير إلى المسيح بالأمثال أو خلال الصورةٍ][٥].

وفي عظاته على سفر الخروج يقول: [لقد علم الرسول بولس المعلّم الأمم في الإيمان والحق (١ تي٢: ٧) الكنيسة التي جمعها من الأمم كيفية استخدام الناموس المسلم لها من الآخرين... فإنّنا لم نصير رسلاً لأننا نقرأ كتاب اليهود ذاته ونستخدم ذات الآلة التي يستخدمونها، إنما يريد (الرسول) أن يختلف رسل المسيح عن رسل المجمع في فهم الناموس روحيًا، هذا الذي لما أساء اليهود فهمه رفضوا المسيح. إن فهمنا روحيًا نثبت بذلك أنه قد أعطى لنا لبناء الكنيسة][٦].

مرّة أخرى يرى في ابنه فرعون التي انتشلت الطفل موسى، إنما يرمز لكنيسة الأمم التي كان أبوها ظالمًا ووثنيًا، جاءت لتغتسل في نهر المعموديّة من خطاياها. [يحضورها إلى مياه المعموديّة تأخذ الكنيسة الناموس (موسى) الذي كان مخبئًا في سقط من البردي ومطلي بالحمرّة والقار... كان الناموس نائمًا في مثل هذا المكان المطلي بالحمرة والقار، أسير حواس اليهود الملوثة (الجسديّة) حتى جاءت كنيسة الأمم لتجذبه من وسط

[1] In Joan. 1: 7: 39.

[2] In Jerm. Hom10: 2.

[3] Comm. Cant. 3.

[4] De Principiis 4: 6.

[5] Comm. Joan. 13: 26.

[6] In Exod. Hom 5: 1.

الحمرة وتسكنه في بلاط قصر الحكمة الملوكي. هكذا عبر الناموس من خاصته، لأنهم لا يعرفون كيف يسمعونه روحيًا وهو صغير. أنه طفل ويسقى لبن الأطفال. لكن إذ يؤتى به إلى الكنيسة ويدخل البيت يكبر موسى ويتقوّى فلا نلبسه ثوب الضعة والحقارة بل كل ما هو عظيم وسام وجميل! ما هذه العظمة إلا السموّ في الروحيات، الذي يعطى نموًا ساميًا][1].

ويُعلّق على تحول مياه "مارة" المرّة إلى حلوة على يدي موسى النبي بالشجرة التي كشفها الله له، قائلاً: [اعتقد أن حرفيّة الناموس مرّة وهي تدعى مارة... كأس الناموس مرَّ... لكن أن كنا نرمى في الناموس شجرة حكمة المسيح الذي يكشف لنا كيف يجب أن نفهم الختان والسبوت وكيف نحفظ شريعة البرص ونميّز بين الدنس والطهارة، حينئذ تصير مياه مارة عذبة، وتتحول حرفيّة الناموس إلى عذوبة المعنى الروحي. حينئذ يستطيع شعب الله أن يشرب].

[إن كان أحد يريد أن يشرب من حرفيّة الناموس، بعيدًا عن شجرة الحياة، أي بعيدًا عن أسرار الصليب، بعيدًا عن الإيمان بالمسيح والإدراك الروحي، فإنه يفنى من هول المرارة. لقد أدرك بولس هذه الحقيقة فقال: "الحرف يقتل" بمعنى أن مياه مارة أن شربت كما هي قبل أن تصير عذبة][2].

[إذ يحررنا الإنجيل أي العهد الجديد من يدَّ الحرف القاتل ويهبنا استنارة معرفة نور الروح الجديد، ذاك النور الذي لم تمسه الأجيال، النور الذي وأن كان يليق بالعهد الجديد لكنه يشرق على الكتاب المقدّس بكليته][3].

ويُعلّق على يدي موسى الممتدّة على العينيين المغلقتين (تك٤٦: ٤) قائلاً: [يوسف الحقيقي – ربنا ومخلّصنا – ما أن وضع يده الجسدية على عيني الأعمى حتى عاد إليهما البصر المفقود (مت٢٠: ٣٤)، هكذا أيضًا إذ يضع يديه الروحيتين على عيني الناموس – العينان المظلمتان بسبب التفسير الحرفي الذي استخدمه الكتبة والفرّيسيّون – يعود إليهما بصيرتهما. هكذا يمنح الرب النظرة الروحيّة والفهم للناموس الذين يفتح لهم الكتب المقدّسة][4].

[لقد قصد بالأمور التي كتبت في الناموس والأنبياء أن تكون رمزًا وأشكالاً للأمور العتيدة أما الآن فقد جاء الفنان نفسه، خالق هذه الأمور جميعها فوضع الناموس جانبًا بكونه مجرد حاو لظل الأشياء الصالحة العتيدة (عب١٠: ١) إذ جاء الفنان بالأشياء عينها][5].

[المصابيح نافعة مادام الناس في الظلام، لكنها تصير بلا نفع متى أشرقت الشمس. مجد وجّه موسى مفيد لنا، ويبدو لي أنه هو ذات المجد الذي لوجوه الأنبياء. جميل أن نتطلّع إلى هذه التي تعيننا على التطلّع إلى المسيح الممجد. كنا في حاجة أن نرى مجدهم قبل أن تكون لنا إمكانيّة رؤية مجده. لكن مجدهم هذا صار شاحبًا أمام مجد المسيح الأعظم.]

هكذا بنفس الطريقة كانت هناك معرفة جزئية في البداية، لكن حصلت المعرفة الكاملة...

[1] Ibid 2: 4.

[2] Ibid 7: 1.

[3] Comm. Joan 1: 6.

[4] In Gen. Hom 15: 7 (on Gen. 46: 4).

[5] In Levit. Hom 10: 1.

[في الأمور الروحيّة كل ما بلغ مرحلة الطفولة وصار على الطريق نحو الكمال يحتاج إلى معلّم وحرّاس وأوصياء عليه يتعهدونه حتى يأتي الزمان المعين (غلا ٤). بالرغم من أنه في هذه المرحلة لا تكون له بعد الحريّة أكثر من العبيد لكنه في النهاية يملك كل الميراث. لا يعود يصير تحت وصاية معلّم وحرّاس وأوصياء، بل يكون قادرًا على التمتّع بممتلكات أبيه. هذه الممتلكات أشبه باللؤلؤة الكثيرة الثمن (مت ١٣: ٤٦) التي هي كمال المعرفة. فإذ يحصل الإنسان على المعرفة الكاملة التي هي معرفة المسيح – يزيل معرفته الجزئية][1].

يرى أوريجينوس في موت موسى النبي وقيام يشوع بن نون رمزًا لنهاية الناموس كي يملك يسوع. فقد انتهت الذبائح الدمويّة لكي تظهر ذبيحة المسيح غير الدمويّة، وذهب دم الحيوانات التي تلطخ المذبح لكي يحلّ دم المسيح الثمين...

[تستطيع أن ترى هذا كله، فترى موسى عبد الله ميتًا، ويسوع ابن الله يحمل القوّة][2].

ومع هذا كلّه لم يقلل أوريجينوس من شأن الناموس بل جعله له مجده الذاتي كنوع من المعرفة، تتناسب مع الإنسان في مرحلة الطفولة حتى تدخل به إلى المعرفة الفائقة التي للمسيح يسوع، الناموس لصالح ومفيد وليس كما أدعى الغنوسيون أنه شرّير؛ لكن الخطأ هو التفسير الحرفي له.

خلال الإنجيل نفهم الناموس روحيًا، وبنعمة المسيح ندرك السر الخفي فيه. في هذا يقول: [الكنز المخفي في حقل هو المعاني المتنوّعة التي تستنبط خلال الحكمة المخفيّة في سرّ. هذه المعاني التي حجبت خلال الأمور التي تضرب نظرنا... الأمور الخاصة بالسماء وملكوت السموات قد رسمت في الكتب المقدّسة][3].

"لقد حررنا الإنجيل أي العهد الجديد من النظام القديم، أي الحرف. هكذا في نور المعرفة ظهر سموّ النظام الجديد، نظام الروح (رو ٧: ٦) الذي وأن كان ينتمي بالحق للعهد الجديد لكنه مخفي في الكتب الأخرى أيضًا][4].

[إذ نسمع كتب موسى تقرأ بواسطة نعمة المسيح يرفع الحجاب ونبدأ نفهم أن الناموس روحي.

حسنًا، إن كنا قادرين على فهم الناموس هكذا... مدركين أنه روحي كما يقول بولس: "فالسبب في هذا كما يبدو لي أن الذي يقرأ الناموس لنا هو الرب يسوع نفسه. هو الذي يقرأه لكل البشر حتى يسمعوا، مهيئًا إيانا لا أن نتبع الحرف الذي يقتل بل نفهم الروح الذي يهب حياة" (٢كو ٣: ٦). هكذا يقرأ يسوع المسيح لنا عندما يعلن لنا أسرار الناموس، نحن لا نحتقر ناموس موسى لأننا ننتسب للكنيسة الجامعة، لكنّنا لا نزال نقبله بشرط أن يقرأه لنا يسوع. إن قرأه لنا يسوع نأخذه في معناه السليم. إذ يقرأه لنا نمسك معناه الروحي. التلميذان اللذان قالا: "ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا حين كان يكلّمنا على الطريق وحين كان يفسر لنا الكتب" (لو ٢٤: ٣٢)، قد فهمنا المعنى الروحي للناموس.

أظنّكم تتفقون معي لأن يسوع هو الذي فسّره لهما حين كان يقرأه لهما، موضحًا لهما ما قد كتب عنه في موسى والأنبياء (فهما الناموس روحيًا)][1].

[1] Comm: Matt 10: 9,10.

[2] In Jos, 2:1.

[3] Comm. Matt 10: 5.

[4] Comm. Joan 1: 6.

أخيرًا فإن أوريجينوس يوضّح أن الروح القدس هو الذي يفتح كلمات الناموس والأنبياء المغلقة والمختومة وألا بقيت الحقائق محبوسة لا يمكن فتحها[٢].

رفض اليهود العبور للإنجيل

إن كان الناموس هو القائد للإنجيل خلال التفسير الروحي، لكن تمسك اليهود بالحرف أفقدهم العبور إلى الإنجيل، أما الأمم فنجحوا فيما فشل فيه اليهود، إذ يقول: [رأى اليهود كل الأنبياء مصابيح، لكن إذ قام شمس العدل لم يعرفوه. الشعوب الأممية السالكة في الظلمة قد رأت النور... رأوا النور خلال الأنوار التي رآها إسرائيل (إي خلال الأنبياء)][٣].

الحاجة إلى العبور

[بالتطلّع إلى التاريخ يميز أوريجينوس ثلاث نواميس متتالية كإعلانات لله: الناموس الطبيعي، الناموس الموسوي، الإنجيل (الناموس الروحي). كما يوجد ناموس رابع يأتي فيما بعد هو "الإنجيل الأبدي"[٤].

كأن البشريّة تعيش في حالة عبور مستمر، عبرت من الناموس الطبيعي إلى الناموس المكتوب الموسوي، ومنه إلى الناموس الروحي الإنجيلي، وهي تنتظر الدخول إلى الحياة الأبدية التي يحكمها الإنجيل الأبدي. خلال هذه النظرة يرى أنه يليق باليهود ألا يحزنوا لعبورهم من الناموس الموسوي إلى الإنجيل، إذ هو انطلاق من الرمز إلى الحق ذاته، وخروج من أورشليم الأرضية للدخول إلى السماويّة.

في هذا يقول: [حضور الحق، ينتهي الرمز والظل، فإذ بنى الهيكل في أحشاء العذراء بالروح القدس وقوّة العليّ (لو١: ٣٥)، خرب الهيكل المبنى من الحجارة. فإن ذهب اليهود إلى أورشليم ورأوا المدينة الأرضية يطلبون السماويّة. يليق بهم أن ينظروا إلى فوق ليجدوا أورشليم السماويّة التي هي أمنا جميعًا (غلا٤: ٢٦). فبصلاحه أخذ الله منهم ميراثهم الأرضي لكي يطلبوا السماوي][٥].

البسطاء والكاملون

إذ نتحدث عن منهج أوريجينوس في تفسير الكتاب المقدّس واهتمامه الشديد بالمعرفة الروحيّة. نود أن نوضح أن أوريجينوس قد اتبع مسلك معلّمه القدّيس أكليمنضس في نظرته للجهل كأشر الخطايا، وأن السيّد المسيح جاء ليخلّصنا من خطايانا التي أعظمها الجهل... جاء ليعلن الحق. خلال هذه النظرة رأى البعض في

[1] In Jos. Hom 9: 8.

[2] Comm. 1 Cor:11.

[3] Comm. Matt 16: 3.

[4] C.Bigg, P 250.

[5] In Jos. Hom. 17: 1.

أوريجينوس أنه قد اهتم بمعرفة الله خلال السيّد المسيح معلن الحق أكثر من اهتمامه بالخلاص من الخطية[1]... لكن الحقيقة أنه قد ارتبط الاثنان معًا في ذهنه، فالخلاص من الخطية هو دخول إلى معرفة الله مخلّص البشريّة!

اهتمامه بالمعرفة الحقّة والتفسير الروحي الخفي وراء سطور الكتاب المقدّس جعله يقسم المسيحيّين إلى قسمين: البسطاء عقليًا والكاملين. أساس هذا التقسيم هو أن البسطاء عقليًا من المسيحيّين يكتفون ببساطة الإيمان دون النفاذ إلى السَّر الخفي، فهم وأن كانوا على يقين الخلاص لكنهم لا يبلغون الكمال.

خلال هذه النظرة كتب أوريجينوس في ردّه على صلسس يقول: [إننا نضع الإنجيل أمام كل أحد حسب شخصيّته وميوله لكي يتقبل ما يناسبه][2] ، أي ينعم به البسطاء بطريقة غير التي ينعم بها الكاملون الأوّلون، يقفون عند المعنى السطحي الواضح، أما الكاملون فيعرفون ما وراء الرموز، ويدركون الأسرار الخفيّة.

بمعنى آخر ميّز أوريجينوس بين المسيحيّين الذين لهم الإيمان وحده، والذين مع الإيمان دخلوا إلى المعرفة، وكما يقول Harry Wolfson: [أن أوريجينوس قد قبل وجود اختلاف عظيم بين المعرفة الملاصقة للإيمان، وبين الإيمان وحده][3].

أوضح هذا التمييز بين البسطاء عقليًا والكاملين في تعليقه على "خبزنا اليومي epiousies أعطنا اليومي"[4] قائلاً: [بأن الكلمة يقدّم ذاته كلبن للمسيحيّين الذين هم أطفال، وكخضروات للضعفاء وكغذاء قوي للمصارعين الذين انشغلوا في معركة حية. الخبز الحيّ هو الطعام الروحي العقلي الذي نشترك فيه مع الملائكة ونمنح نوعًا من الحياة الإلهيّة. هكذا تطلّع أوريجينوس إلى جماهير المؤمنين كتلاميذ لظلال الكلمة التي لا تدرك معرفة الكلمة كما هو خلال السماء المفتوحة، أما الكاملون فيدركونه[5]... لهذا يليق بالمسيحي ألا يقف عند الإيمان وحده بل يجاهد في المعرفة ليصير كاملاً.

مرّة أخرى يرى أوريجينوس أن البسطاء في الذهن يفسّرون الكتاب المقدّس تفسيرًا أخلاقيًا سلوكيًا، أما الكاملون فيتمتّعون بتفسيره الروحي مدركين للاهوتيات][6].

في حديثه عن المرأة السامريّة يرى في بئر يعقوب معنى سريًا إلا وهو "الكتاب المقدّس" يشرب منه المتعلّمون مثل يعقوب وأولاده كما يشرب منه البسطاء وغير المتعلّمين مثل قطيع يعقوب[7].

هذا ويعتبر أوريجينوس أول من مَيز بين المؤمنين السالكين بالحياة العاملة والسالكين في الحياة التأمليّة، معطيًا مرثا ومريم في إنجيل معلّمنا لوقا كمثلين لهاتين الحياتين[8].

[1] M. A. Smitt: From Christ to Constantine, 1970, P 112.

[2] Contra Celsus 6: 10.

[3] Welfson: The philosophy of the church Fathers, 1956, vol1 (Faith, Trinity, Incarnation) P 106.

[4] De Oratione 27.

[5] Joseph C. Mc Lelland: cod the Anonymous, 1976, P 112.

[6] In Lev 13: 3. PG 12: 547.

[7] Fragments from Comm. On St. Joan, no 80.

[8] In Joan t 13, c6.

وفي دعوة السيّد المسيح لتلميذي يوحنا "تعاليا وانظرا" (يو ١: ٣٩)، يرى أوريجينوس [ربّما "تعاليا" هي دعوة للعمل، بينما "انظرا" هي دعوة للتأمّل][١]، وكان السيّد يدعو البشريّة للحياتين معًا: الحياة العاملة والحياة التأمّليّة الكاملة.

يقف العاملون في الدار الخارجيّة، أما المتأمّلون فيدخلون هيكل الله[٢].

ويلاحظ أن هذه النظرية – كما يبدو من كلمات أوريجينوس نفسه قد وجدت لها معارضين، إذ جاء في عظاته:

[يقال لي: لا تستعمل إذن المجاز. لا تفسر بالرموز][٣].

[إذ شرعت في فحص كلمات الأقدّمين وأن أطلب المعنى الروحي لها، وإذ بذلت جهدي في إزالة القناع عن الشريعة وأن أظهر أن ما هو مكتوب إنما هو مجاز، أحفر آبارًا. لكن أصدقاء الحرف يرمونني في الحال بالاتّهامات. أنهم ينصبون لي الفخاخ. إنهم يقدّمون لي ضغائن واضطهادات][٤].

الكرازة بالكتاب المقدّس

الله هو الذي يتكلّم معنا حين نقرأ الكتاب المقدّس أو نسمع كلماته عن طريق الوعظ، إذ يقول: [بالنعمة الإلهيّة ينصح الله سامعيه سواء عن طريق الكتاب المقدّس كلّه أو عن طريق المعلّمين][٥].

أوريجينوس والمصادر اليهوديّة

تسلم المسيحيّون عن اليهود ليس فقط الكتاب المقدّس، وإنما أيضًا الكثير من تقاليدهم بعد أن أعطوها فهمًا جديدًا وعمقًا روحيًا وفكّرًا يليق بالإيمان المسيحي. وقد اهتم كثير من الباحثّين بدراسة أثر اليهوديّة على أعمال أوريجينوس نذكر منها:

١. في عام ١٩١٨م تحدّث أدولف فون هارناك عن أثر اليهوديّات والكتابات السامريّة على كتابات أوريجينوس[٦].

٢. وفي عام ١٩٢٥ جمع ج. باردي في مقاله "التقاليد اليهوديّة في أعمال أوريجينوس" سبعين عبارة لأوريجينوس يرى أنها مقتبسة على التقاليد اليهوديّة[٧].

[1] In Joan. T 2, c. 29.

[2] In P3. 133. PG 12: 165.

[3] In Levit. Hom 6: 8.

[4] In Gen. Hom 13: 4 (cf. Num. Hom. 12: 2; P sal. Hom. 5: 1; Luc. Hom 23.)

[5] In Levit. Hom 6: 8.

[6] Adolf von Harnack: Der Kirchengeshich tliche Ertragi der exegetischen Arbeiten des Origenes.

[7] Revue Biblique: "Les traditions Ju.ves dans l'ceuvre d' Origens.

٣. وفي عام ١٩٥٦م قارن بايير بين بعض كتابات أوريجينوس وملاحظات حاخامية عن الاضطهادات والاستشهاد وعن العلاقات مع الوثنيّين، جاءت هذه المقارنة بالعبريّة وترجمت عام ١٩٦١م إلى الإنجليزيّة[١].

٤. اهتم نيقولاوس دي لانج بهذه العلاقة في بحثه عن أوريجين واليهود[٢].

لقد قرأه الكثير من التفاسير اليهوديّة وكتابات الهراطقة والسامريّين وعلّق عليها بقوله: [حاول الكثيرون أن يفسّروا الكتب المقدّسة من أعضاء الكنيسة ومن الذين هم في الخارج – هراطقة (غنوسيّون) ويهود وسامريّون– لكنهم لم يعبروا عن جميعها حسنًا][٣].

لقد اهتم على وجّه الخصوص بدراسة الأفكار الحاخامية وتفاسيرهم للكتاب المقدّس، حتى يرى البعض أن كتاباته تعتبر مصدرًا مفيدًا في التعرّف على بعض هذه الأفكار في عصره[٤].

وفي تفسيره للأسماء العبريّة الواردة في الكتاب المقدّس، يخبرنا أنه تعلّم الكثير من تفاسير بعض العبرانيّين، وأن الحاخامات وضعوا ملاحظات هامة في عظاتّهم على تفسير الأسماء[٥]...

وفي ردّه على الغنوسي Apelles الذي أنكر واقعيّة فلك نوح قائلا: [أن المقاييس المذكورة عنه لا تكفي لإيواء الكثير من الحيوانات وما يلزمها من الطعام، أجاب: [أخبره شيئًا تعلّمته عن معلّمي وعن رجال آخرين عقلاء لهم دراية كبيرة بالتقاليد العبريّة][٦].

وفي حديثه عن الحرف T قال: [استشرت بعض اليهود لأرى إن كانوا قد تعلّموا شيئًا عن حرف T وقد عرفت منهم الآتي: أشار واحد منهم أن حرف T هو آخر الاثنين وعشرين حرفًا الأبجدية العبريّة. وأن الحرف الأخير هو رمز لكمال من تقودهم فضيلتهم إلى النوح والبكاء عن خطايا الشعب، والترفّق بالخطاة. وقال آخر أن حرف T كان رمزًا الذين يحفظون الناموس، لأن العبرانيين يسمّون الناموس "توراه" أول حرف لها T. والثالث إنسان آمن بالسيّد المسيح، قال لي أن حرف T وضع في الأبجدية أصلا كرمز للصليب ونبوة، علامة أن المسيحيّين سيحملونه على جباههم ويرشمونه قبل البدء في أعمالهم، خاصة قبل الصلاة وقراءة الكتاب المقدّس][٧].

وفي تعليقه على العبارة الواردة في حزقيال (١٤: ١٤) أن نوح ودانيال وأيوب يخلصون، يتساءل ما السبب في تجاور هؤلاء الثلاثة معًا، ويجيب قائلا: [مرّة سمعت رجل يهودي يفسّر هذه العبارة قائلاً بأن هؤلاء الثلاثة قد أشير إليهم لأن كل منهم مرَّ بمراحل ثلاث: مرحلة سعادة ثم مرحلة اضطرّاب فسعادة مرّة أخرى. فكّر في نوح قبل الفيضان حيث لم يكن العالم بعد قد مسّه مياه الطوفان، وفي نوح وقد عانى العالم من الهلاك وصار

[1] Y. Baer: Israel, the Christian Church and the Roman Empire.

[2] Nicolas De Lange: Origen and the Jews, Cambridge, 1976.

[3] Origen: Sel Pss. J. Danielou: Origen. P174.

[4] Nicholas De Lauge, P 8.

[5] Ibid, P7.

[6] In Gen. Hom 2: 2.

[7] Sel Ezk 8. PG 13: 800d.

منعزلاً مع أولاده والحيوانات في الفلك في أمان، ثم فكّر فيه أيضًا بعد الطوفان حيث ترك الفلك وزرع الكرمة وصار في طريقه إلى إعادة العالم من جديد][1].

لقد عرف أوريجينوس من التقليد اليهودي أن يوسف تزوّج أسينات في مصر[2]، وأن اسميّ الساحرين اللذين قاوما موسى هما يمنيس ومامبريس[3].

وبجانب معرفته للتقاليد اليهوديّة أشار إلى بعض الكتابات اليهوديّة الأبوكريفا مثل سفر أخنوخ[4]،وعهد الأثنى عشر بطريركًا[5]، وموت موسى[6].

تأثّره بفيلون الإسكندري

عرف أوريجينوس فيلون اليهودي الإسكندري، الذي استخدم الرمزية في التفسير وقد امتدّحه هكذا: [كسب فيلون احترام المتعلّمين بمجلّداته الكثيرة عن ناموس موسى][7] ، [رجل عاش قبلنا، كتَّب كتبًا دعيت: الرموز في الكتب المقدّسة][8].

أخذ عن فيلون أن الكتاب المقدّس، إذ هو موحى به من الله لا يمكن أن يكون فيه شيء غير نافع... لذا يلزمنا أن ندخل إلى المعاني العميقة المختفية وراء المعنى الظاهري الذي يبدو أحيانا كأنه غير نافع[9].

أعطى أوريجينوس أمثلة كثيرة لذلك، منها:

أ. [هل يقدر الإنسان صائب الحكم أن يفترض أن أيام الخليقة الثلاثة الأوّلى لها مساء وصباح حيث لم يوجد شمس ولا قمر ولا نجوم؟

هل يقدر أحد أن يكون ليس بعاقل حتى يظن أن الله صنع (بنفسه) فردوسًا في منطقة على الأرض، وغرس أشجارًا كفلاح، أو وضع في ذلك الفردوس شجرة حياة، يمكن أن تراها العين أو تدركها الحواس، نأخذ منها الحياة خلال أكل ثمرها بأسناننا؟!

عندما يقول الكتاب أن الله اعتاد أن يتمشى في الجنة مساءًا أو أن آدم اختفي وراء شجرة، ليس من أحد أن يسأل – على ما أظن – إن هذه الأمور مجرد قصص... فإنها وضعت بطريقة رمزية لتشير إلى أسرار معيّنة][10].

[1] In Ezk. Hom. 4: 8.

[2] Sel. Gen. PG 12: 136 a.

[3] Comm. Gen 3, Comm. Joan 2: 31.

[4] Comm. Joan 6: 42; Hom. Num. 28: 2.

[5] In Jos. Hom 15: 6.

[6] Ibid 2: 1.

[7] Comm Matt 15: 3.

[8] Ibid 17: 17..

[9] De Principiis 4: 2: 9.

[10] De Princ. 4: 3: 1.

ب. [إن نظرنا إلى أمور مشابهة في العهد الجديد، فإنه من المضحك أن نمتّنع عن تحيّة من نلتقي بهم في الطريق (لو١٠: ٤). فإن من يظن أن الرب قصد من الرسل أن يفعل ذلك يكون غير عاقل.

بنفس الطريقة، لا يستساغ تقديم الإنسان خذه الأيمن لمن يعامله بقسوة (لو٦: ٩). لأنه عندما يريد الإنسان أن يصفع أحدًا على وجّهه يضرب بيده اليمنى الخد الأيسر، إلا إذ كان أشولاً.

كذلك يستحيل أن تفقأ عينك متى تعرضت لخطية (مت٥: ٢٩، ١٨: ٩)][1].

وقد رأى أوريجينوس – مثل فيلون – أن كل ما في الكتاب يحمل معنى عميقًا.

تأثر أوريجينوس بفيلون في رمزيّة الأرقام، وإن كان القدّيس إكليمنضس الإسكندري له نظام متكامل في رمزيّة الأرقام.

كذلك تأثّر بفيلون في تطبيق الجانب الرمزي على الحياة السلوكيّة. ففي عظاته على سفر التكوين يرى في الخليقة رمزًا للنفس البشريّة. فالرجل والمرأة يمثّلان جانبين من النفس إن صار في اتفاق أنجبا أطفالاً أي الدوافع الصالحة. ويرى الأسماك والطيور والحيوانات التي يسيطر عليها الإنسان هي الأعمال التي تصدر عن القلب والنفس (الطيور) ورغبات الجسد وحركاته (السمك والحيوانات)[2].

[1] Ibid 4: 3: 3.

[2] Origen: in Gen 1: 17. Philo: Leg. Ael 2: 4: 11.

الأرقام

رأينا أن أوريجينوس إهتم بكل ما ورد في الكتاب المقدس من أرقام وألوان وأسماء بلاد وأسماء أشخاص ونباتات وحيوانات... وقد ظهر ذلك بوضوح في تفسيره لسفر نشيد الأناشيد، وقد إقتبست الكثير من كلماته في عرضي لتفسير هذا السفر[١].كما أرجو أن أعرض بعضًا من أقواله عند تفسيري للأسفار الأخرى.

١. رقم ٣

يقول موسى النبي لفرعون: "نذهب ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا" (خر ٥: ٣).

[ما هو هذا الطريق الذي يقطعه في ثلاثة أيام للخروج من مصر والذهاب إلى الموضع الذي ينبغي أن يذبح فيه للرب؟ إنه الرب نفسه القائل: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦). ينبغي أن تسير ثلاثة أيام في الطريق، لأنك "إن إعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات (في اليوم الثالث) خلصت" (رو ١٠: ٩)][٢].

هذه الأيام الثلاثة – عند أوريجينوس – تعني أيضًا كمال النقاوة: نقاوة الأعمال ونقاوة الكلمات ونقاوة الأفكار[٣]... لهذا يرجو فرعون موسى قائلاً: "لا تذهبوا بعيدًا"، وكأنه وهو يمثل إبليس يريدنا ألا نبتعد عنه مسيرة ثلاثة أيام كاملة، أي لا يكون لإبليس موضعًا في أعمالنا أو كلماتنا أو فكرنا إن كنا لا نخطئ بالعمل، يطالبنا أن نخطئ بالكلام أو حتى بمجرد الفكر[٤]...

لقد عبر بنو إسرائيل ثلاث مراحل: تركوا رعمسيس ثم سكوت وأخيرًا إيثما... وعندئذ ظهر لهم الله بإعلاناته، يظللهم كسحاب نهارًا وينير لهم الطريق كعمود نور ليلاً. كان لابد أن يدخلوا المرحلة الثالثة كي يستنيروا بالرب ويروا إعلانته ويعرفوا أسراره... إذ يدخلوا مجد قيامته، كقول النبي[٥]: "الرب يحينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا معه" (هو ٦: ٢).

اليوم الأول يمثل آلام المخلص، والثاني يمثل نزوله إلى الجحيم، والثالث يمثل قيامته. لهذا إن كان الرب قد ظهر لهم بعد ذلك في عمود سحاب، وبحسب قول الرسول: "دخلوا المعمودية" (١كو ٦: ٢)، فإن ذلك يشير إلى قيامتهم مع السيد المسيح في اليوم الثالث. "**إذن عندما تقتني سر اليوم الثالث يقودك الرب ويريك بداية طريق الخلاص**"[٦].

[١] راجع طبعة ١٩٨٠، الناشر: كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج.

[2] In Exod. Hom. 3: 3.

[3] Ibid.

[4] Ibid.

[5] Ibid 5: 2.

[6] Ibid.

وفى عظته السادسة على سفر الخروج رأى في رقم ٣ مدلول طريق الفضيلة، فالثمار الصالحة تنتج ١٠٠، ٦٠، ٣٠ إي ثلاث درجات، وطريق الفضيلة يكون بالعمل والفكر والكلام... ويتحدث الرسول بولس عن الأعمال الصالحة: ذهبًا وفضة وحجارة كريمة.

وبالعكس فإن طرق عدو الخير أيضًا ثلاثة، فهو يهاجم العمل والفكر والكلام، والأماكن غير المثمرة ثلاثة: الطريق الذي يدوسه الناس والأماكن المحجرة والأماكن التي بها شوك. كما يتحدث الرسول عن الأعمال الشريرة: خشبًا وعشبًا وقشًا.

إبراهيم أب الآباء سار مسيرة ثلاثة أيام ليقدم اسحق ابنه ذبيحة، فرأى العلامة... التي هي قيامة السيد المسيح، فقدم اسحق مؤمنًا أن الله قادرًا أن يقيمه من الأموات (عب ١١). لهذا يقول السيد: "إبراهيم أبوكم رأى يومي فتهلل" أنه رأى قيامته.

لعله لذات السبب صامت أستير ثلاثة أيام وثلاث ليال لتختبر قوة القيامة لشعبها الذي وضع تحت الموت. وهكذا صام أهل نينوى... وبقى يونان في الحوت ثلاثة أيام بلياليها...

٢. [ثم عماد السيد المسيح في اليوم الخامس من الشهر الرابع كرمز لإتحاد عناصر الجسد الأربعة مع حواس النفس الخمسة][1].

٣. أقيم الهيكل في ٤٦ سنة (يو ٢: ٢٠)، لأن رقم ٤ يشير إلى العالم أو المسكونة بعناصره الأربعة (أو جهات الأربعة)، ورقم ٦ يشير إلى اليوم الذي خلق فيه الإنسان. بهذا يكون الهيكل هو العالم الجديد الذي فيه يتجدد خلقة الإنسان[2].

٤. رقم ٧ يشير إلى الراحة[3]، اليوم الذي استراح فيه الرب. لذلك فإن المرأة السامرية كانت قد تزوجت بخمس أزواج والسادس ليس بزوجها، وعند البئر قبلت الزوج السابع "السيد المسيح نفسه" كعريس لنفسها، تجد فيه راحتها الأبدية، لقد تركت جرتها، أي إهتماماتها الجسدية، وصارت لها الطهارة التي بها تتحقق الزيجة الروحية[4].

وشهادات يوحنا المعمدان كانت ٦ شهادات بعدها تدخل السيد نفسه سائلاً: "ماذا تطلبان؟" (يو ١: ٣٨)، أي في المرة السابعة نلتقي بالرب نفسه سَّر راحتنا خلال سؤاله شخصيًا.

كذلك إبن خادم الملك الذي كان مشرفًا على الموت شفى في وقت الساعة السابعة (يو ١: ٥٢)، رمز للراحة[5].

٥. "أما تقولون أنه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد. ها أنا أقول لك ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد إبيضت للحصاد" (يو ٤: ٣٥). يرى اليهود أن الحصاد أي الثمار نقتنيها بعد أربعة شهور أي بعد إنحلال الجسد، لأن رقم ٤ يشير إلى العناصر الأربعة للعالم... هذا في رأي الرب خطأ، لأن الحصاد قد أبيض

[1] In Ezek. Hom 1 4.

[2] In Joan t 10. c 22.

[3] In Joan t 17, c 56.

[4] Ibid t 13, c. 29.

[5] Ibid t 17, c. 56.

الآن والثمار تظهر ونحن بعد في الجسد، فنحصد في حقول الكتاب المقدس. نكون مثل بطرس ويعقوب ويوحنا الحصادين الذين تمتعوا بالتجلي وقد التقوا بموسى وإيليا الذين بذرا الزرع[1]...

[1] Ibid t 15, c 39-49.

الفلسفة

أوريجينوس – على خلاف معلّمة أكليمنضس – لم يكن بالفيلسوف الذي تحوَّل إلى المسيحيّة، لهذا لم يكن متعاطفًا مع الفلسفة، ولا شاركه حماسه الشديد للحكمة اليونانيّة، ولو أننا نستطيع بغير مشقة أن نجد في كتاباته ما تركته المذاهب الفلسفيّة والحكمة اليونانيّة من أثر في نفسه من ناحيّة الأدبية.

وبقدر ما كان أكليمنضس ميالاً للثقة في الفلسفة كان تلميذه أوريجينوس يلح على بطلانها وعدم كفايتها متى قورنت بالوحي الإلهي بل ويدينها؛ ربما لأنه كان خائفًا من جمال الأشكال والتعبيرات الفلسفيّة كفخاخ يمكن أن تقتنصه، وربما كان يشعر أنه ليس لديه الوقت لمثل هذه التفاهات[1].

لقد درس أوريجينوس الفلسفة، لكن ليس حبًا في الفلسفة في ذاتها، إنما من واقع رسالته كمبشر حقيقي في بيئة تعشق الفلسفة، فدرسها لكي يقدر أن يشرح المسيحيّة لقادة الفكّر في عصره ويجيب على الأمور الصعبة بالوسيلة التي تناسبهم، مبرزًا الجوانب التي يحتاج إليها هؤلاء القادة من المسيحيّة[2].

وجد أوريجينوس أنه في حاجة إلى الاستماع لمحاضرات أمونيوس السقاس، الفيلسوف الإسكندري المشهور (١٧٤-٢٤٢م)، الذي نادى بالأفلاطونيّة، وعنه علم بلاتينيوس (٢٠٥-٢٧٠م) بالأفلاطونيّة الحديثة. هذا الفيلسوف جذبته مدرسة الإسكندرية اللاهوتيّة وتحوَّل إلى الإيمان المسيحي وله عدة كتب فيها.

لقد ربح أوريجينوس عددًا ليس بقليل من تلاميذ المدرسة الفلسفيّة الوثنيّة خلال معرفته للفلسفة. لذلك عندما هوجم لدراسة في الفلسفة كتب هكذا: [عندما كرّست نفسي تمامًا للكتب المقدّسة، وذاعت شهرتي في الخارج بسبب كفاءتي، وعندما جاءني هراطقة وأناس درسوا اليونانيّة خاصة الفلسفة، بدا لي أنه من الضروري أن أفحص تعاليم الهراطقة وأقف على ما يقوله الفلاسفة من الحق. في هذا أمتثل بينتنوس الذي قبلي قد ألمَّ بقدر ليس بقليل من المعرفة وأفاد كثيرين بواسطتها[3].

أما نظرته للفلسفة فيمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

١. في رأيه أن [كل حكمة من الله][4] ، [سواء كانت معرفة خاصة بالفلسفة أو الرياضيّات أو الطب أو الموسيقى][5]. لهذا لا نعجب أن كان يمتدح الفلسفة أحيانًا. فيقول على سبيل المثال في رسالة بعث بها إلى القدّيس غريغوريوس صانع العجائب أن الفلسفة اليونانيّة أشبه بالجواهر التي حملها بني إسرائيل من مصر لكنهم بدلاً من أن يستخدموها في تزيين الهيكل صنعوا بها العجل الذهبي. وفي موضع آخر يرى أن موسى النبي قد قبل مشورة حمية يثرون الكاهن الغريب، هكذا: [إن وجدنا كلمة حكمة على شفتيّ وثني لا نزدري بها في الحال

[1] H. Chadwick: The Early Church, 1969, P.

[2] J. Danielou. Origen, 1955, P 73.

[3] Eus. H. E 6: 19: 12, 13.

[4] In Num. Hom 18: 3.

[5] In Gen. Hom 11: 2.

من أجل الناطق بها، فإنه ليس من الصواب أن نبتلع بالكبرياء محتقرين كلمات الحكماء بحجّة وجود الشريعة التي أعطيت لنا من قبل الله. وإنما بالأحرى يليق بنا أن نختبر ونقبل ما هو صالح كقول الرسول][1].

لكنه في نفس الوقت يحذّرنا من الفلسفة لأن الوثنيّين قد أفسدوها بإدخال أخطائهم إلى الحق الذي فيها فلم تعد تعلّم شيئًا عن إرادة الله[2].

يقول أيضًا: [قليلون هم الذين حملوا غنائم مصر وصنعوا منها أثاث لخيمة الاجتماع].

أشار أوريجينوس إلى الأخطاء التي في الأنظمة الفلسفيّة وسعى أن يحفظ تلاميذه منها، وفوق هذا كله كان حذرًا لئلا ينحرفوا وراء تعليم فاسد أو معلّم غريب يقودهم إلى نسيان السيّد المسيح، أو على الأقل يقلّل من إخلاصهم الشديد له. كان الرسول بولس هو مثله في ذلك، وكأنه كان يردّد كلماته: "من يفصلنا عن محبة المسيح؟!"، مضيفًا إلى ذلك: [أستطيع القول بكل ثقة أنه لا محبة الحروف الدنيويّة ولا سفسطة الفلاسفة ولا أخطاء المنجّمين الخاصة بدورات الكواكب، ولا تأليه الشيّاطين الكاذبة ولا أي علم آخر خاص بالمستقبل، مستخدمًا خداعات شريرة تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا][3].

أما تحذيراته فجاءت هكذا:

[لا تقتات بطعام الفلسفة المخادع. فإنه قد يبعدك عن الحق][4].

[إذا امتنعنا عن أن نطلب لمرضانا عونًا من فلسفة أبيقور والأطباء الأبيقوريّين الذين خلبوا عقولهم، ألا نكون محقين في ذلك؟! إننا بهذا ننقذهم من المرض القاتل الذي سببه أطباء صلسس بإنكارهم العناية الإلهيّة واعتبارهم اللذّة هي الخير الأعظم. كذلك أود أن أمنع الذين جذبناهم إلى معتقداتنا من العودة إلى استخدام أدوية الفلاسفة الآخرين..."[5].

أما العامل الثاني الذي أحجم أوريجينوس عن الثقة في الفلسفة فهو عجزهم عن إصلاح حياة من يتبعها. فأفضل الوثنيّين وأحكمهم يقدّمون تعاليم صالحة ويكتبون عن الخير الأعظم بطريقة سامية لكنهم في حياتهم العمليّة يسقطون تحت الملذات المنحطة ويشاهدوا الاحتفالات المملوءة جهالة[6].

٢. انشغل أوريجينوس بالمشاكل الخاصة بالفلاسفة، نذكر على وجه الخصوص موضوع العناية الإلهيّة أو علاقة الله بالإنسان، مشكلة الحرية الإنسانية الخ...

٣. كما نراه من خلال القدّيس غريغوريوس صانع العجائب كان يؤمن بمبدأ الإختيار، يختار من كل فلسفة ما يراه حقًا فيه، ولا يرتبط بفلسفة معيّنة. لكنه بكل تأكيد كان يميل بالأكثر إلى الأفلاطونيّة، خاصة في وجود النفس قبل الجسد، وقوّة التأمّل في جعل النفس متشبهة بالله... لكنه مع هذا عالج هذه الأمور كرجل لاهوتي كنسي وليس كفيلسوف.

[1] Henri De Lubac: Origen, on First Prineiples, N.Y. 1966. P XVI.

[2] In Ps. Hom. 36: 3, 6.

[3] In Judic Hom 3: 3, cf. Ibid 5: 5. Lebreton P 805, 806.

[4] In Levit. Hom. 10: 2.

[5] Contra Celsus 3: 75.

[6] Ibid 6: 3.

قرأ أفلاطون في نصوصه الأصليّة، بل "كان بالتأكيد يقرأ أفلاطون دائمًا"[١].

لقد وبخ أتباع أرسطو لإنكارهم فاعلية الصلاة[٢] وعدم إيمانهم بالرؤى والمعجزات[٣].

٤. اعتاد أوريجينوس أن يبدأ تعليمه بالخطابة، بعد ذلك يقدّم المعرفة العلميّة مثل : الطبيعات والرياضيّات والفلك[٤].

[1] Eus. H. E. 6: 19: 5.

[2] Cont Cels. 2: 13.

[3] Cels 1: 43; 7: 3; 8: 15.

[4] On Paneg 6, 8.

الإيمان والمعرفة

الإيمان

جاء في إنجيل معلّمنا متّى عن إيمان قائد المئة "فلما سمع يسوع تعجب، وقال للذين يتبعون: "الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيمانًا بمقدار هذا" (٨: ١٠).

ويعلق **العلامة أوريجينوس** على ذلك قائلاً:

[انظر أي أمر عظيم هو هذا الذي يعجب به يسوع ابن الله الوحيد! فإن الذهب والغنى والممالك والسلاطين في عينيه كظلال أو كزهرة عشب تذبل. ليس أمر من هذا يحسب عجيبًا في عينيّ الله أو عظيمًا أو ثمينًا إلا الإيمان وحده! إنه يعجب بالإيمان ويكرمه، ويحسبه مقبولا لديه].

وعلى العكس فإن عدم الإيمان يقف عائقًا أمام الله في حياتنا إذ يقول:

[لم يصنع هناك قوات كثيرة لعد إيمانهم (مت١٣: ٨٥). هذا يعلمنا أن القوات تعطى للذين لهم الإيمان، لأن "من له سيعطى ويزداد" (مت١٣: ١٢). أما بالنسبة لغير المؤمنين ليس فقط لا تعطى لهم قوات وإنما كما كتب مرقس: "لم يقدروا أن يعملوا شيئًا". اسمع أيضًا الكلمات التالية: "لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوّة واحدة..." (مر٧: ٥). لم يقل إنه "لم يرد أن يصنع"، بل "لم يقدر أن يصنع"، وكأن صنع المعجزات يتطلّب تعاون من له الإيمان بالذي يصنع القوات. لكن هذا العمل يتعطّل بسبب عدم الإيمان.

أنظر إذن إذ قيل له: "لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه (الروح الشرير)؟" أجاب: "لعدم إيمانكم" (مت١٧: ١٩-٢٠). وأيضًا إذ بدأ بطرس يغرق قال له: "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟" (مت١٤: ٣١). والمرأة التي بنزيف دم لن تسأل الشفاء لكنها فكّرت في نفسها أنها لو لمست هدب ثوبه تشفى في الحال. وإذ عرف المخلّص وسيلتها في العلاج قال: "من الذي لمسني... لأني علمت أن قوّة قد خرجت منّي" (لو٨: ٤٥-٤٦)[1].

الإيمان العامل

الإيمان ليس مجرّد فكّر نظري في ذهن الإنسان ولا مجرّد كلمات ينطق بها، إنما هو قبول عملي لعمل الله فينا، وتجاوبنا معه. فالإيمان الحيّ إيمان عامل.

[من الواضح أن من يموت وهو في خطيته لا يؤمن بالمسيح حتى وإن قال أنه مؤمن به! لأن من يؤمن بعدل المسيح لا يصنع ظلمًا، ومن يؤمن بحكمته لا يتصرّف أو يتكلم بغباوة، وهكذا بالنسبة للأمور الأخرى الخاصة بالسيّد المسيح، فإنك تجد أن من لا يؤمن بالمسيح يموت في خطاياه مادام يسلك بطريقة تضاد ما يراه في المسيح][2].

[1] Comm. Matt 10: 19.

[2] In Joan t 19.

الإيمان والمعرفة

مع ما للإيمان من عظمة حتى يعجب بها السيّد المسيح، وقوّة حتى تنقل الجبال، وفي غيابه يتعطّل عمل الله فينا، لكن هذا الإيمان ينقلنا إلى المعرفة التي تهب للنفس كمالاً. غاية الإيمان الوحيدة هي الدخول إلى الآب خلال "الكلمة" الذي هو واحد مع الآب، أي الدخول إلى معرفة الآب خلال الاتحاد بالابن الذي وحده يعرف الآب[1].

بهذا فإنه بالتجسّد صار لنا – خلال الإيمان – أن نتعرّف على الإلهيّات، غير أن اتحادنا مع الكلمة المتجسّد للدخول بنا إلى حضن الآب والتعرف عليه لا يلغى شخصيّة المؤمن وإرادته.

غاية المعرفة

إن كان طريق المعرفة الإيمان بالكلمة المتجسّد والاتحاد معه لهذا فإن المعرفة عند العلامة أوريجينوس كما عند معلمه القدّيس أكليمنضس غايتها دخول النفس إلى "الكمال"، أي عودتها إلى حالتها الأصليّة. فالنفس تسمى "بسيكي" مشتقة عن "بسيكوس" أي "برد"، إذ صارت النفس باردة، فقدت حرارتها الأصليّة بسبب تغربها عن الله. لكن بالاتحاد مع الابن الوحيد تدخل إلى معرفة الآب ورؤيته فتصير "روحًا" مرة أخرى.

يرى أوريجينوس أن النفس تدخل إلى الكمال، بتنقيتها من كل ما هو مادي وارتفاعها فوقه، إن دخلت بالتأمّل في الله أو بالمعرفة إلى الكمال اللائق، إذ تتألّه بما تتأمّل فيه[2].

درجات المعرفة

يليق بالمؤمن الحقيقي ألا يستكين إلى حدود معيّنة في المعرفة، إنما يطلب من يوم إلى يوم أن يدخل إلى كمال المعرفة...

هيكل سليمان بأقسامه يوضح درجات الكمال التي يدخل فيها المؤمن، فالأبواب التي تفصل الهيكل عن الدار الخارجية هي أبواب المعرفة، حيث يدخل الإنسان أولاً إلى التأمّل في الجسديّات والروحيات، أما الدخول إلى قدس الأقداس فهو يمثل معرفة الله نفسه[3].

ويرى أسفار سليمان الحكيم تمثل طريق المعرفة، فسفر الأمثال يحوي وصايا أخلاقية تمثل المرحلة الأولى من المعرفة خلال الجهاد السلوكي الأخلاقي؛ وسفر الجامعة يعلن بطلان العالم ممثلاً المرحلة الثانية من المعرفة، أي التعرف على أسرار الخليقة؛ أما سفر نشيد الأناشيد فيمثل زيجة النفس مع الوغوس الإلهي الذي يدخل بالنفس إلى كمال المعرفة. هذه هي المرحلة الثالثة، فيها تتعرّف النفس على الآب في اللوغوس، ومن خلال هذه المعرفة يبلغ الإنسان الكمال المسيح، في هذه المرحلة يصير الله هو الكل في الكل، أي يكون الله هو الكل في كل شيء فينا، فيتنقى الذهن العاقل تمامًا من كل دنس الرذيلة، ويغتسل من كل وصمة خبث، ويصير

[1] In Joan 1: 16. PG 14: 59-62.

[2] Ibid 32: 17. PG 4: 817A.

[3] In Ps. 117. PG 12: 1581.

له الإدراك والفهم والتفكير على شبه الله. عندئذ لا يرى ألا الله وحده، مقتنيًا إياه، وممتثلا به كنموذج ومقياس لكل حركاته. بهذا يكون الله هو الكل في الكل[1]. يدخل الإنسان إلى حالة اتحاد مع الله فيصير معه "فكّرًا واحدًا" كقول الرسول بولس.

وفى العظة ٢٧ على سفر العدد يفسرّ أوريجينوس محطات الشعب في البرّيّة كمراحل تدريجيّة لبلوغ معرفة الله والتمتّع برؤيته. يرى في خروج الشعب صورة رمزيّة لخروج النفس التي تخلص تدريجيًا من المتعلقات الأرضيّة. ففي البداية خلال التجارب تندمج مع الخبرات الأوّليّة في الإلهيّات ويهبها اللوغوس راحة خلال الرؤى أو الزيارات الإلهيّة؛ لكن في مرحلة أسمى وعلى مستوى أعلى تبطل الرؤى ويترك المجال للمعرفة لاستنارة التدبير العقلي لها، فتستعد النفس للتاوريا (للتأمّل)... وأخيرًا تدخل مرحلة الاتحاد مع اللوغوس، وتتم الزيجة الروحيّة معه. فتتحرر من الجسديّات وترتفع فوق الإدراكات العقليّة وتدخل السمويّات[2]. بهذا تصبح النفس أيقونة حيّة لله نفسه، تتشبّه به، ونتعرّف عليه وتراه.

المعرفة والحب

طبيعي إذ يربط أوريجينوس بين المعرفة والاتحاد مع اللوغوس كل منهما يسند الآخر ويؤدي إليه، لذا لا يفصل المعرفة عن الحب الذي هو سَّر اتحادنا مع الله في الوغوس. إنه يؤكد أن المعرفة تزيد الحب وتلهبه أكثر فأكثر[3].

المعرفة والنقاوة

المعرفة هي طريق كمال النفس ونقاوتها حتى تتشبّه بابن الله خلال اتحادها به، ومن ناحيّة أخرى فإن كمال المعرفة نبلغه حين تكون قامتنا كما يقول الرسول: "لا أحيا أنا بل المسيح يحيا فيَّ". لذا فإننا مادمنا نسلك في الخطيّة وغير كاملين لن تكون معرفتنا كاملة بل جزئية...

هكذا حملت المعرفة جانبًا عمليًا... فهي ليست أفكار في الذهن أو الفلسفة يعتنقها الإنسان بل حياة اتحاد مع الله في ابنه وسلوك بنقاوة كاملة في اللوغوس.

المعرفة والحواس الروحيّة

توسع في عرض فكرة الحواس الروحيّة أو الحواس المتجلّية وذلك عند حديثه عن إدراك الحقائق الإلهيّة. في كتاباته تظهر لأول مرة في كتابات الآباء فكرة الشرارة النورانيّة (الإشراق) في النفس[4].

[1] De Principiis 3: 6: 1. PG 11: 333.

[2] Contra Celsus 4: 20. PG 11: 1320-1.

[3] De. Principiis 3: 6: 3. PG 11: 356.

[4] Ibid 1: 1: 5. PG 11: 124.

الشهادة الحق

المعرفة المسيحيّة معرفة حكيمة تعلن الحق نقيًا من كل شائبة وتشهد له بحكمة في الوقت المناسب.

في هذا يقول: [أنتم ترون أنه من الخطورة ليس فقط أن ننطق بشيء غير الحق بالنسبة لله، لكن أيضًا أن نعلن عن الحق في وقت غير مناسب][1].

[1] In Ezek. Hom 1:11.

النعمة الإلهيّة

تعريفها

أوريجينوس كغيره من الآباء الشرقيين لا يعطون تعاريف للنعمة الإلهيّة أو غيرها من المصطلحات اللاهوتيّة، إنما يهتمّون بالتمتّع بها والحديث عن اقتنائها وفاعليّتها في حياة المؤمن.

وقد حاول Benjanin Brewery في كتابه "أوريجين وتعليم النعمة" أن يستنبط تعريفًا للنعمة الإلهيّة من خلال كتابات أوريجينوس الكثيرة فجاء هكذا[١]:

[النعمة هي قوّة الله المودعة في يدَّي الإنسان مجّانًا،
لكنها لا تعطي بدون شرط،
وهى تهيىّء الإنسان بالروح القدس لتتقدّمه الخلاص للتمتّع بالحياة الأبديّة الجديدة النهائيّة،
المعلنة والمدبرة في الكتاب المقدّس،
بواسطة يسوع المسيح،
والمقدّمة للعالم كله].

هي نعمة الله المقدّمة للإنسان، إذ يقول: [تأتي النعمة إلينا من قبل الله، ونحن نمتلئ بعطاياه][٢]. وهي عطيّة مجّانيّة إذ "ليس شيء من عطايا الله للبشريّة يعطى كوفاء لدين، بل كلها تعطى من قبيل نعمته (المجّانيّة)"[٣]. هذه العطيّة لا تقدم بدون فإن "نعم الله تعطى الذين تهيّأوا لنوالها بالإيمان والفضيلة"[٤].

[1] Origen and the Doctrine of Grace, London 1960, P 48.

[2] In Ezek. Hom 6: 6.

[3] Comm Rom 22 on 4: 4.

[4] Comm Joan., frag 44 on 3: 27.

نعمة الآب

حدّثنا العلامة أوريجينوس عن نعمة الله حديثًا عمليًا تخلّل كتاباته، فحدّثنا عن محبة الآب التي تتجلّى فيّ:

١. خلقنا خلال كلمته "اللوغوس".
٢. يهتم بنا ويرعانا.... مهتما بالخليقة كلها:

أولاً: خلقنا خلال كلمته "اللوغوس"

[حقيقة وجودنا لا يمكن أن تكون ثمرة أعمالنا، إنما هي من عمل نعمة خالقنا][1].

["في البدء خلق الله السموات والأرض" (تك١: ١). ما هو البدء لكل شيء إلا ربّنا ومخلّص الجميع، يسوع المسيح، بكر كل الخليقة (كو ١: ١٥).

هذا هو البدء، أي كلمته، الذي به خلقت السموات والأرض (يو١: ١).

كلمة "البدء" هنا لا تعنى "زمانًا" معينًا، إنما تعني "في المخلّص"، لأنه لم يكن في ذلك يوجد زمان قبل أن يوجد العالم، لكن الزمن ابتدأ بوجود الأيام التي لاحقت الخليقة][2].

ثانيًا: العناية الإلهيّة

يطول الحديث بنا إن تعرضنا لأقوال العلامة أوريجينوس عن رعاية الله الآب بنا والتي تظهر في اهتمامه وعنايته بالعالم كله من أجلنا، حتى بالحيوانات غير العاقلة، كما يهتم بخلاصنا وأبديتنا. من أجل ذلك قدم لنا الكتاب المقدّس الموحى به، ودبر التجسّد الإلهي وآلام السيّد وموته وقيامته وصعوده ومجيئه الأخير، كما يهتم بالكرازة بين الأمم ويرعى كنيسته. تظهر أيضًا عنايته بالإنسان فيما وهبه من حرية إرادة ليشاركه أعماله، مقدمًا له حياة التطهير والتقديس، وأعده لكي يتعرف عليه... الأمور التي نعود إليها حين نتحدّث عن نعمة الابن والروح القدس.

فيما يلي مقتطفات من كلماته عن العناية الإلهيّة:

[أنه بعنايته بنا يوميًا، بصفة عامة وعلى وجه الخصوص، علنًا وخفية، حتى وإن كنا لا ندرك ذلك][3].

[إننا نعترف بعقيدة أكيدة ثابتة، أن الله يعتني بالأشياء القابلة للموت وليس شيء مما في السماء أو على الأرض ليس تحت عنايته][4].

[1] Comm. Rom. 4: 5.

[2] In Gen. Hom 1: 1.

[3] Sel Ps. 144: 1.

[4] In Gen. Hom 3: 2.

[العناية الإلهيّة تضم الخليقة العاقلة أولاً، ولكن نتيجة لذلك فهي تضم الحيوانات غير العاقلة لأجل نفع الإنسان][1].

[ما يحدّث في حياة البشر... لا يتم بمحض الصدفة ولا بطريقة عشوائيّة وإنما بهدف سام محسوب، يضم حتى شعر الرأس (مت ١٠: ٣). هذا الأمر لا يحص القدّيسين فحسب كما يظن البعض وإنما يشمل كل البشر. فإن العناية الإلهيّة تمتد لتشمل العصفورين اللذين يباعا بفلس (مت ١٠: ٢٩)، سواء فهمنا العصفورين بطريقة روحيّة أو رمزيّة][2].

[تحتضن العناية الإلهيّة كل شيء حتى أن شعور رؤوسنا محصاة لدى الله][3].

[1] Contra Celsus 4: 74.

[2] Princ 2: 11: 5.

[3] Contra Celsus 8: 70.

نعمة الابن الوحيد

أولاً: علاقة شخصيّة مع الابن الوحيد

كثيرًا ما يتحدّث العلامة أوريجينوس عن الابن وحيد الجنس المتجسّد قائلاً: "يسوعي" و"ربّي" و"مخلّصي"... هذا التلامس الشخصي صار عادة في حياته حتى أنه كثيرًا ما يدخل هذه الكلمات خلال مقتطفاته من الكتاب المقدّس. حقًا كان العلامة ترتليان أيضًا يستخدم كلمة "مسيحي"، لكن أوريجينوس يستخدم هذه الكلمات إنما يؤكد وجود علاقة شخصيّة حيّة يعيشها مع يسوعه وربّه ومخلّصه، أما ترتليان فقد أراد أن يميّز بين "مسيحه" الذي هو السيّد المسيح كما تعرفه الكنيسة، و"مسيح الهراطقة" كما أرادوا تصويره[1].

لقد أحب أوريجينوس يسوعه، بكونه مشبع لكل احتياجات نفسه، يقدّم ذاته لها خبزًا وشرابًا ولباسًا وقداسة وسلامًا وحكمة وحقًا وخلاصًا وبابًا وطريقًا وراعيًا وعصا وحمل الله ورئيس الكهنة... الخ، بمعنى آخر لا يدع القلب معتازًا إلى شيء، لذا فهو وحده دون غيره يستحق أن يدخل القلب ويملك فيه... لأن في غيابه عقم للبر وفقدان للسلام وخسارة لكل شيء!

يرى أن المؤمن يلتقي بالسيّد المسيح خلال الوحدة وصمت القلب، يلزمه البحث عن يسوعه بغيرة ومثابرة، وإن أحتاج الأمر يحتمل آلام مبرحة وأحزان ليحيا معه إلى الأبد. إذ يقول[2]: [لنبحث عنه بتعب كثير، وبعذاب الروح، عندئذ نستطيع أن نجد ذاك الذي نبحث عنه. فإنه ليس باطلاً كتب "هوذا أبوك وأنا كنّا نطلبك معذّبين" (لو ٢: ٤٨). من يبحث عن يسوع لا يبحث عنه بتراخ أو عجلة ولا فترة عابرة، كما يفعل كثيرون فلا يجدونه. إنما لنقل له: "إننا نطلبك معذّبين"، عندئذ يجيب نفوسنا المجاهدة والمحتملة الآلام في البحث عنه، قائلاً: "ألا تعلمي أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي" (لو ٢: ٤٩).

اسم يسوع

تكشف لنا كتابات **أوريجينوس** عن اعتزاز الكنيسة الأولى باسم يسوع كسرّ قوّة يتمسّك به المؤمن ليعيش غالبًا ومنتصرًا على الخطيّة والشيطان وكل قوات الظلمة.

> يقول: [باسمه كثيرًا ما تطرد الشيّاطين من البشر، خاصة إن ردّد بطريقة سليمة وبكل ثقة.
> عظيم هو اسم يسوع، الذي له فاعليّته حتى أن استخدمه الأشرار أحيانًا.
> اسم يسوع يشفي المتألمين ذهنيًا، ويطرد أرواح الظلمة، ويهب شفاءً للمرضى[3].]

ثانيًا: ألقابه تعلن عن نعمه

[1] Henri De Lubac: Origen, On Frist Principles, N.Y., 1966, P XII, XIII.

[2] In Lue. Hom 18.

[3] Contra Celsus 1.

لقد رأى **القدّيس إكليمنضس الإسكندري** – معلّم أوريجينوس – أن الألقاب الإلهيّة جميعها تعجز عن أن تعبّر عن الله كما هو، فهو فوق كل الألقاب والأسماء. إنما قدم لنا أسماء له لأجل ضعفنا البشري حتى نقدر أن نتعرّف عليه وندرك عمله فينا وعلاقته بنا. أما أوريجينوس فقد أوضح في تعليقاته على إنجيل القدّيس يوحنا أن المخلّص أظهر ذاته بألقاب كثيرة تعلن عن أعماله التي يقدّمها لنا لإشباع احتياجاتنا، فقد صار كل شيء لنا. فما كان يعلن نفسه أنه "النور" لولا أننا دخلنا إلى الظلمة وصرنا في حاجة إلى النور. وما كان يدعى "البكر من الأموات" (كو ١: ١٨). لو لم ندخل إلى تراب الموت. وما دعي "الراعي" إلا لأننا صرنا كغنم في حاجة إلى رعايته... وقد ختم حديثه بالقول: [حقًا طوبى للذين وهم في حاجة إلى ابن الله صاروا كأنهم يحتاجون إليه كطبيب يشفي المرضى أو راعي، إنما يطلبونه بكونه الحكمة والكلمة والبرّ وغير ذلك من الألقاب الأخرى التي لقّب بها من أجل الناضجين حتى يتمتّعوا بنعمة السامية].

يقول أيضًا: [بالرغم من أن المسيح واحد في جوهره لكن له ألقاب كثيرة تشير إلى سلطانه وأعماله، يفهم أنه النعمة والبرّ والسلام والحياة والحق والكلمة][1]...

[من يطلب يسوع يطلب كلمة الله وحكمته وبرّه وحقه وقوّته، لأن المسيح هو كل هذه][2].

[أننا نطلب "فهم الله" ففي المسيح يسوع وحده... لأنه هو المعلن عن الله. أنه حكمة الله وقوّته وبرّه وتقديسه وخلاصه][3].

[مادام المخلّص هو البرّ والحق والقداسة... فهو أيضًا الاحتمال، لهذا يستحيل أن يصير أحدًا بارًا أو قدّيسًا بدونه، ولا يقدر أحد أن يحتمل الأتعاب بغير المسيح][4].

وفيما يلي بعض الألقاب التي دعي بها السيّد المسيح من أجلنا:

١. يسوع هو الإنجيل

الإنجيل ليس حروفًا وكتابة، ليس بالمادة المحسوسة إنما "علينا أن نحوّل ما هو محسوس إلى ما هو روحي"[5]... الإنجيل هو يسوع المسيح نفسه الذي وحده يقودنا لمعرفة الآب ويهبنا قوّة القيامة من الأموات؛ أي يحقق لنا الأخبار السارة التي وعدنا بها وأعلنت لنا.

يقول: [الآن نتطلّع إلى ما تقوله الإنجيل خلال المواعيد السارة.. هذه الأخبار السارة التي نطق بها الرسل ببساطة هي يسوع. لقد أعلنوا أمرًا صالحًا واحدًا هو القيامة، وما هي القيامة إلا يسوع القائل: "أنا هو القيامة"[6].

٢. يسوع هو النور

[1] Comm. Rom. 5: 6.

[2] Comm 32.

[3] In Jerm Hom 8: 2.

[4] Ibid 17: 4.

[5] ANF, vol 9, P 302.

[6] Ibid.

السيّد المسيح هو النور الحقيقي الذي يشرق على النفس التي جلست في الظلمة زمانًا طويلاً، يشرق كشمس البرّ فيجعل منها نهارًا، لتعمل عمل الرب مادام الوقت نهار... يضيء عليها فيغيّر طبيعتها ويجعل منها نورًا للعالم.

[في افتتاحيّة الإنجيل الذي أمامنا "القدّيس يوحنا" يتحدّث عن يسوع نور الناس، إذ يقول: "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لن تدركه" (يو ١: ٤-٥). كما يقول في نفس الموضع: "كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم" (يو ١: ٩) وفي إشعياء جاء عنه أنه نور الأمم: "جعلتك نورًا للأمم لتكون خلاصًا إلى أقصى الأرض" (إش ٤٩: ٦).

الشمس هي نور العالم المحسوس... وجدت في اليوم الرابع كما جاء في موسى حيث أضاءت الأرض، لكنها بالنور الحقيقي. أما المخلّص فهو الذي ينير الخليقة العاقلة، لترى بأذهانها الأمور بنظرة لائقة. هو نور العالم العاقل، أو قل هو نور عالم النفوس العاقلة الموجودة في العالم الملموس، ونور الكائنات الأخرى الموجودة وراء هذا العالم، والتي يعلن لها أنه مخلّصنا...

يمكننا القول بأنه الشمس التي توجد النهار العظيم... إذ يتحدّث عن هذا النهار بالنسبة للذين يتمتّعون بنوره، قائلاً لهم أن يعملوا "ما دام نهار، لئلا يأتي ليل لا يستطيع أحد أن يعمل. ما دمت في العالم فأنا نور العالم" (يو ٩: ٤-٥).

عندئذ يقول لتلاميذه: "أنتم نور العالم"، "فليضئ نوركم قدام الناس" (مت ٥: ١٤، ١٦). بهذا نرى الكنيسة العروس وقد شبّهها بالقمر والنجوم، إذ صار التلاميذ نورًا مستمدًا من الشمس الحقيقيّة، قادرين على إنارة الآخرين][1].

[ربّنا يسوع، كلمة الله، الذي جاء إلى العالم وأضاء بنوره لخلاصنا نحن الذين كنا قبلا ظلمة، هو بعينه الذي أنار الأنبياء قديمًا بالحكمة الإلهيّة، إذ يقول: "يليق بنا أن نضيف أيضًا أن الكلمة ينير الأنبياء بالحكمة الإلهيّة، إذ جاء إليهم وهو كائن مع الله على الدوام، لأنه هو الله][2].

هذا النور فعَّال في حياتنا البشريّة إذ "كلمة الله هو حياة الناس ونورهم لا يكف عن أن يضيء طبيعتنا التي في ذاتها ظلمة وبلا شكل"[3].

[يليق بنا إذ نتقبّل نوره يكون لنا أعمال النور، فإن "من له النور يشترك في أعمال النور، ويكون له الفهم الحقيقي، وعلى العكس فإن تعبير "الظلمة" ينطبق على الأعمال الشريرة والمعرفة التي تبدو كأنها معرفة وهي ليست كذلك][4].

بالمسيح يسوع أيضًا النور الحقيقي نتقبل الحق ونرفض الظلمة ونطردها... [أننا نطرد ظلمة التعاليم الشريرة بواسطة نور الكلمة... فإنه يفتح أعيننا لنعرف النور من الظلمة ونختار الوقوف في النور بكل الوسيلة][5].

[1] ANF, vol 9, P 310 f.

[2] In Joan 2, Im Princ.

[3] Ctena aurea, St. John, ch 1 (hom 2, in div. 10c).

[4] In Joan t 2, ch 20.

[5] Contra Celsus 6: 67.

لقد أكّد العلامة أوريجينوس أن النفس المؤمنة وهي تتقبّل السيّد المسيح تصير "نورًا"، لكن ليس هو في طبيعتها الذاتية، إذ يقول:

[يشرق النور على ظلام النفوس المؤمنة مبتدئًا بالإيمان ومقتربًا إلى الرجاء. أما القلوب العالميّة (المحبة للعالم) فلا تقدر أن تدرك النور مشرقًا على أجسادها وذلك بسبب الخداع والجهل...

ما كان يمكن للطبيعة البشريّة أن تضيء بطاقاتها البشريّة حتى ولو لم تكن قد أخطأت، لأنها ليست بطبيعتها نورًا، لكنها تشترك في النور. هي قادرة أن تكون حكيمة لكنها ليست الحكمة ذاتها، وذلك كما أن الهواء لا يعطي من ذاته نورًا... لكنه يتقبّل النور من أشعة الشمس. هكذا الجانب العقلي في طبيعتنا إذ يحصل على حضرة كلمة الله يعرف الأمور العاقلة ويعرف الله، لكن ليس من ذاته، بل من النور الإلهي الذي يغرس فيه.

قيل "النور يضيء في الظلمة" لأن كلمة الله، الحياة، ونور الناس، لا يكف عن أن يشرق في طبيعتنا التي في ذاتها تحمل نوعًا من الظلمة وبلا شكل. ولما كان هذا النور غير مدرك لكل الخليقة، لهذا قيل "والظلمة لم تدركه"][1].

٣. يسوع هو الطريق

يسوع المسيح هو الطريق الآمن الذي به ندخل إلى معرفة الآب ونسكن في حضنه دون أن يصيبنا ضرر أو نعتاز إلى شيء.

[النمو في الحكمة يجده الساعون نحو خلاصهم، فتتحقّق رغبتهم خلال فهمهم للحق الذي في الكلمة الإلهي وسلوكهم في البرّ الحقيقي... هذا يقودنا إلى إدراك كيف يكون المسيح هو الطريق.

في هذا الطريق (السيّد المسيح) لا نأخذ معنا زادًا ولا مزودًا ولا ثوبًا، ولا نحمل عصا، ولا تكون لنا أحذية في أرجلنا (مت ١٠:١٠). فإن الطريق نفسه مشبع لكل احتياجات رحلتنا، ومن يسير فيه لا يعتاز إلى شيء.

من يسير فيه يلتحف بثوب يليق بدعوة العرس.

وفى هذا الطريق لا يجد الإنسان ما يزعجه، إذ يقول سليمان الحكيم أنه لا يجد "طريق حيّة على صخر" (أم ٣٠: ١٩)، وأنا أضيف أنه لا يجد طريقًا لأي حيوان مفترس عليه. لهذا فلا حاجة إلى عصا مادامت لا توجد آثار خليقة معادية.

وبسبب صلابته دعي الطريق صخرة، حتى لا يمكن لأي كائن ضار أن يلحق به][2].

مرة أخرى يقول العلامة أوريجينوس: [لنقف على الطريق كنصيحة (إر ٦: ١٦) وننظر ونسأل عن سبل الرب القديمة، وننظر أين هو الطريق الصالح ونسير فيه. هكذا فعل الرسل إذ وقفوا وسألوا عن سبل الله القديمة. سألوا الآباء البطاركة والأنبياء وبحثوا في كتاباتهم، وإذ فهموها رأوا الطريق الصالح، أقصد رأوا يسوع المسيح القائل: "أنا هو الطريق"، وساروا فيه.

[1] Hom 2 in div locis.

[2] ANF, vol 9, P 360.

إنه الطريق الصالح الذي يقود الإنسان الصالح إلى الآب الصالح. يقود الإنسان الذي من كنز قلبه الصالح يخرج الصالحات، يقود العبد الأمين الصالح.

حقًا إن هذا الطريق ضيق، إذ لا يقدر كثيرون أن يحتملوا السير فيه، لأنهم محبّون لأجسادهم.

إنه طريق كرب للذين يستخدمون العنف أثناء السير فيه...

يليق بمن يسير فيه ألا يحمل شيئًا، لأن الطريق نفسه يقدّم الخبز وكل ضروريّات الحياة.

في هذا الطريق لا حول للأعداء ولا قوّة، لذا فلا حاجة إلى عصا يحملها الإنسان معه، كما أنه لا يحتاج إلى أحذية لأن الطريق مقدّس][1].

٤. يسوع هو القيامة

إذ قدم السيّد المسيح نفسه "القيامة"، وهبنا "الحياة الجديدة" التي صارت لنا فيه، لا لننعم بها في اليوم الأخير فحسب، بل نمارسها كحياة حاضرة... أنه يدخل بنا كل يوم إلى شركة آلامه لكي نختبر أيضًا قوّة قيامته، أو كما يقول: [إننا على الدوام نحمل في جسدنا إماتة الرب يسوع"، وهكذا نحصد الفائدة السريعة: "لكي تظهر حياة يسوع أيضًا في جسدنا المائت" (٢ كو ٤: ١١)][2].

بقيامته من الأموات أعطى لتلاميذه برهانًا عمليًا عن القيامة، فانجذبت أنظارهم إلى الأبديّة والقيامة مستهينين بالآلام الحاضرة: [قام مرة من الأموات، وهكذا نطق بحديث اقنع تلاميذه بحقيقة القيامة، حتى أنهم أعلنوها للبشريّة محتملين الآلام. لقد كانت أنظار التلاميذ مركزة على الحياة الأبديّة والقيامة التي امتثلت خلال الكلام والعمل. وبهذا كانوا يسخرون بكل آلام الحياة الحاضرة][3].

٥. يسوع هو الحياة

يميّز أوريجينوس بين الحياة العامة التي يشترك فيها الإنسان مع الحيوانات، والحياة الحقيقيّة التي لنا في المسيح يسوع ربنا. ففي تعليقه على كلمات الإنجيلي "والحياة كانت نور الناس" يقول:

[الحياة التي يتحدّث عنها هنا ليست الحياة التي تشترك فيها الخليقة العاقلة مع الخليقة الغير عاقلة، بل المرتبطة باللوغوس الذي فينا، ننعم بها خلال الشركة معه، هذا الذي هو من البدء. لهذا يليق بنا أن نميّز بين الحياة الخارجية الباطلة والحياة الحقيقيّة المشتهاة][4].

[الذين لهم شركة مع المسيح يعيشون الحياة التي هي بحق حقيقيّة، أما الذين يفكّرون أن يعيشوا بعيدًا عنه، فكما أنه ليس لهم النور الحقيقي هكذا لا تكون لهم الحياة الحقيقيّة][5].

يقول: [أنا هو الحياة... إذن الذين هم خارج الإيمان بالمسيح ليسوا أحياء، أنهم أموات لا يعيشون لله، بل حياتهم هي حياة الخطيّة][1].

[1] ANF, vol 9, P 360.

[2] Anf, vol 9, P 312.

[3] Contra Celsus 2: 77.

[4] In Joan, t 2, ch 19.

[5] ANF, vol 9, P 313.

٦. يسوع هو الباب

[وصف المخلّص في الكتاب المقدّس بالباب، حيث لا يقدر أحد أن يكون في الآب ومع الآب ما لم يصعد أولا خلال لاهوت الابن، الذي يقودنا بيده الطوباويّة إلى الآب نفسه][٢].

يسوع المسيح هو المدخل إلى الآب فإنه "مادام الآب غير منفصل عن الابن، فإن الآب يأتي إلى الذين يتقبّلون الابن][٣].

٧. يسوع هو المعلّم

إن كان السيّد المسيح قد دعي بالطبيب فهو – وإن كان قد شفى مرضى كثيرين– لكنه كان بالأكثر يهتم بشفاء النفس والقلب. جاء لا ليعلم الناس بالكلام والوصايا فحسب، بل أنار البصيرة الداخليّة لإدراك الحق، وقدم ذاته لنا لنتحد به فيحمينا إلى تنفيذ الوصية، خلال إمكانياته الإلهيّة، وأعطانا قوّة النصرة على الشر.

لقد أفاض بحق العلامة أوريجينوس – كمعلّم وكدارس للكتاب المقدّس وناسك ومبشر – في الحديث عن السيّد المسيح كمعلّم، ولا يسعنا المجال إلا نقتطف بعض عبارات قليلة مما وردت خلال أعماله.

[أرسل الكلمة الإلهي كطبيب للخطاة، وكمعلّم للأسرار الإلهيّة الذين هم أنقياء بلا خطيّة][٤].

[لاهوت الكلمة فيه قوّة لا لتعين المرضى وتشفيهم فحسب... وإنما لتظهر إعلان السَّر للأنقياء في الجسد والذهن (رو ١٦: ٢٥)... هذا الإعلان يضيء لكل إنسان كامل وينير ذهنه لمعرفة الحق المعصوم][٥].

[إنه هو الذي فتح الكتب المقدّسة (لو٢٤: ٣٢) وأشعل قلوب لتلاميذه][٦].

[ما كان مخفيًا عن الأجيال القديمة، بل وما كان مخفيًا حتى عن موسى والأنبياء أعلن للرسل القدّيسين أثناء إقامة المسيح (على الأرض) إذ سكب عليهم نور معرفة الكتاب المقدّس كله][٧].

[يسوع... هو الذي يبدد الشرور التي في داخلنا، ويحطم ملكوت الخطيّة الأكثر شرًا...][٨].

[لقد أسرّ ربّنا يسوع... كل الأرض (يش ١١: ٢٣)، بمعنى أنه التقى به جمهور المؤمنين من كل الأرض وجميع الأمم...

واستراحت الأرض من الحروب (يش ١١: ٢٣)... إن تطلّعت إلى نفسك كيف أتيت إلى يسوع وتقبلت منه مغفرة خطاياك خلال نعمة المعمودية، وكيف لا توجد في داخلك حروب للجسد ضد الروح ولا للروح ضد الجسد (غلا ٥: ١٧) عندئذ تكون بحق قد استراحت الأرض من الحروب. وذلك إن حملت في جسدك موت

[1] Ibid, P 333.

[2] In Joan. t 1, ch 19, 27.

[3] Comm Matt 13: 19.

[4] Contra Celsus 6: 67.

[5] Contra Celsus 3: 61.

[6] In Exod. Hom 12: 14.

[7] Comm Joan. 13: 48.

[8] In Joan. Hom 15: 14.

يسوع المسيح (٢كو ٤: ١٠) بطريقة بها توقف الصراعات التي في داخلك، مقتنيًا اسم "صانع السلام" و"ابن الله" (مت ٥: ٩). لكن هذا لا يتم إلا إذا حاربت معركك وغلبت أعداءك، عندئذ تعطى لك الراحة][1].

[المزروعات الصالحة التي تنمو في النفس البشريّة هي من زرع "كلمة الله" الذي كان في البدء مع الله، وهي ثمار ملكوت الله... أما الشيطان فيزرع الزوان، تعاليم العمل الشرير... بهذا يكون الحقل ليس كنيسة الله فحسب بل العالم كله (مت ١٣: ٣٨) لأن ابن الله زرع بذوره الصالحة في العالم كله، وأيضًا زرع الشرير زوانه...[2]]

[بدون معرفة يسوع لا يكون أحد طاهرًا قدام الله، حتى وإن بدى أنه قد طهر نفسه بتداريب أو أخرى][3].

وفى تعليقه على كلماته سمعان الشيخ عن الطفل يسوع "ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين" (لو ٢: ٣٤)، أوضح نوعًا من التعليم يقوم به السيّد المسيح إذ يقول: [تأمّل إن كان المخلّص قد جاء لسقوط البعض وقيام الآخرين، فإنه من المفيد لي عندما أكون في الخطيّة أن أسقط أولا وأموت عنها... إن هذا الأمر هو منحة يقدّمها لك المخلّص، أنك تسقط على الأرض. فإنك متى كنت خاطئًا ليهلك فيك ما هو خاطئ لتقوم أنت، معلنًا هكذا: إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضًا معه (٢ تي٢: ١١)].

ثالثًا: تجسّده

خلال التجسّد الإلهي صار الكلمة الإلهي مشابهًا للناس، حتى يصير الناس مشابهين له... إنه يطلب أن يكون عبيده أبناء الله يتشبّهون به ويدخلون به إلى حضن الآب. بالتجسّد أيضًا دخل إلى طريق الصليب لغفران خطايانا، كما قدم لنا الحياة الصالحة الفاضلة كحياة ممكنة بالنسبة خلال اتحادنا معه، وأخيرًا جعل لنفسه مسكنًا في داخلنا.

فيما يلي بعض المقتطفات عن كلماته عن فاعلية التجسّد الإلهي في حياتنا:

[ما كنا نستطيع أن نتمتّع بمثل هذه المزايا التي نلناها من اللوغوس لو بقي كما هو عند الآب منذ البدء ولم يتأنس... لكنه إذ صار إنسانًا استطعنا أن نقبله، نقبل هذا العظيم الذي له مثل هذه الطبيعة إن أعددنا له موضعًا مناسبًا في نفوسنا[4].]

[جاء ابن الإنسان لكن ليس في مجده... جاء هكذا ليحمل خطايانا ويتألم من أجلنا. فأنه لا يليق بالمسيح أن يأتي في المجد ويحمل خطايانا ويتألم عنا؛ لكنه سيأتي مرة أخرى في المجد بعد تهيئة تلاميذه وأعدادهم خلال ظهوره بلا شكل ولا جمال.

صار مثلهم ليصيروا هم مثله، "مشابهين صورة مجده" (رو ٨: ٢٩). في مجيئه الأول صار مشابهًا لجسد إتضاعنا (فى ٣: ٢١) إذ أخلى نفسه وأخذ شكل العبد، حتى يصبح البشر إلى شكل الله ويجعلهم على شبهه[5].]

[الآب نور، وليس فيه ظلمة البتة (١يو ١: ٥)، وهكذا أيضًا المخلّص.

[1] In Josh. Hom. 15: 7.

[2] Comm. Matt. 10: 2.

[3] Comm Joan 32: 7.

[4] ANF, vol 9, P 384.

[5] Comm. Matt 12: 29.

لقد أخذ المخلّص شبه جسد الخطيّة (رو ٨: ٣)، لكن من الخطأ أن نقول بأنه حمل نوعًا من الظلمة، لقد أخذ ظلمتنا ليبددها. لذا صار هذا النور نورًا للناس، يضيء في ظلمة نفوسنا، ويدخل إلى حيث رئيس هذه الظلمة يحارب البشريّة (أف ٦: ١٢).

الظلمة تحارب هذا النور، كما يظهر مما يحدث مع المخلّص وأولاده. إنها تهاجم أولاد النور... لكنها لن تقوى على ذلك![١]

[إقامة المخلّص بيننا جعلت كل الصالحات في أيدينا[٢].]

[في مجيئه الأول لم يكن هدفه دينونة البشريّة قبل أن يعلمهم ويظهر لهم ما ينبغي عليهم أن يفعلوه، ولا جاء ليعاقب الأشرار وينقذ الصالحين، إنما ليبذر في طريقه العجيب بذار كلمته بقوّة إلهيّة معيّنة بين كل البشر[٣].]

[لقد عمل الأنبياء لإصلاح إسرائيل، أما المسيح فجاء ليصلح العالم كله[٤].]

[قديمًا كان اسم الله عظيمًا في إسرائيل وحده، لكن بمجيء المسيح صار اسمه عظيمًا في العالم كله[٥].]

[يعطينا الكلمة أن نشاركه نعمته، ويهبنا بسخائه كرامته، إذ يطلب منا أن ندعو الله "أبانا"[٦].]

[المخلّص هو الرب... الذي يطلب أن يجعل عبيده مثله... يعمل في عبيده ليجعلهم ممتثلين بربّهم، فلا يعود لهم روح العبوديّة للخوف بل يتقبّلون روح التبني الذي به يصرخون: أيها الآب أبانا (رو٨: ١٥)[٧].]

[عندما يتقبّل الإنسان "الابن" (في المعموديّة) ينال في هذه اللحظة روح البنوة. بهذا فإن التبن الذي لنا هو من خلال المسيح[٨].]

[يصير المسيح حاضرًا في كل إنسان حسب استحقاقه[٩].]

رابعًا: صلبه

أعلنت نعم الابن الوحيد خلال الصلب والقيامة، فقد غلب السيّد المسيح إبليس وكل جنوده معطيًا مؤمنيه إمكانيّة جديدة ألا وهي النصرة اليوميّة في الحرب الروحيّة ضد الشيطان والخطيّة والموت. هكذا حرّرنا بموته من موت الخطيّة وعبوديّتها وأطلقنا إلى حرية أولاد الله.

فيما يلي مقتطفات من أقواله عن صليب السيّد المسيح وفاعليّته في حياتنا:

[1] In John, t 2.

[2] In Luc Hom 4.

[3] Contra Cels. 2: 38.

[4] Ibid 4: 9.

[5] Sel. Ps. 47: 2.

[6] In Luc. Hom, frag 42.

[7] Comm Joan 32: 10.

[8] Comm. Eph. 3.

[9] De princ. 4: 4: 2.

[ماذا انتفع إن عرفت أن ملك عايْ قد عُلّق على شجرتين؟! لكنني أنتفع إن عرفت أن ذلك يحمل معنيين في الصليب الذي عُلّق عليه المسيح حسب الجسد، هازمًا الشيطان وكل جيشه. بهذا تبنى نفسي خلال فهمي للمعنى السرّي (لقصة ملك عايْ)...[١]]

[إننا جميعًا خليقة الله، لكن باع الكل نفسه لخطاياه التي أبعدته عن خالقه إذن نحن ملك الله الذي خلقنا وإن كنا قد صرنا عبيدًا للشيطان، مبيعين بسبب خطايانا (إش ٥٠: ١)؛ لهذا جاء المسيح واشترانا ثانية (غلا ٣: ١٣). كنا عبيدًا لذاك السيّد الذي بعنا أنفسنا له عندما أخطأنا، فعاد المسيح وردنا إليه ثانية، لنكون خاصته...

يقول قائل: حقًا لقد اشترانا المسيح ثانية إذ دفع الثمن بدمه، ولكن أي ثمن دفعه الشيطان ليشترينا؟... إن نقود إبليس (التي دفعها) هي الكذب، لأنه كذاب وأبو الكذاب (يو ٨: ٤٤). فهل تكذب؟ إنك تتعامل بعملة إبليس.

نقود إبليس هي الزنا إذ مختوم عليه صورته وكتابته (مت ٢٢: ٢٠)، فهل سقطت في الزنا؟ فأنت إذن تتقبل نقود إبليس!

السرقة والشهادة الباطلة والسطو والعنف هذه كل أموال إبليس الصادرة عن دار سكه. فإنه يشترى ضحاياه بمثل هذه الأموال ويجعلهم عبيدًا له، يتقبّلون أصغر عملة من مثل هذا الكنز![٢]]

[كان موته ضروريًا لأنه مات مرة عن الخطيّة ليردّد الإنسان البار إنه "يتشبّه بموته"، وإنه "يموت معه ليحيا معه" (رو ٦: ١١، في ٣: ١٠) (٢تي ٢: ١١). أيضًا بالنسبة لدفنه يتشبّه به الذين يتشبّهون بموته، فيصلبون معه ويحملون الموت معه كقول بولس: "مدفونين معه بالمعمودية" ونقوم معه (رو ٦: ٤)[٣].]

[بهذا الطريق (الموت) أسلم المسيح نفسه للعبوديّة حتى لا يصير أحد ممن يسلم نفسه للتلميذة له عبدًا للموت[٤].]

[ذبح المسيح العداوة في جسده، حينما خضع للموت معطيًا للبشريّة مثالاً للحرب ضد الخطيّة حتى الموت. وفي النهاية إذ حل العداوة في جسده صالح البشريّة مع الله بدمه[٥].]

[المسيح هو الكاهن الحقيقي الأعظم الذي صالحك مع الله (الآب) بدمه][٦].

[لا يقدر أحد أن يموت الموت الذي ماته يسوع عنا كلنا لكي نحيا، لأن الجميع وجدوا في الخطيّة، وهم في حاجة إلى آخر يموت عنهم، لا أن يموتوا هم عن غيرهم[٧].]

[عرف إبراهيم أنه رمز لصورة الحق القادمة. لقد عرف أن المسيح يولد من زرعه، ويقدّم فدية ذبيحة حقيقيّة من أجل العالم كله وأنه يقوم من الأموات[٨].]

[1] In Josh. Hom 8: 6.

[٢] خروج: عظة ٩:٦ (ترجمة مدام عايدة حنا بسطا).

[3] Celsus 2: 69.

[4] Comm. Rom 30.

[5] Comm. Rom 9: 10.

[6] Hom. Rev. 9: 10.

[7] Com. Ser. Matt. 88.

[8] In Gen. Hom. 8: 1.

[حمل أسحق خشب المحرقة كان رمزًا لحمل المسيح صليبه (يو ١٩: ١٧)؛ غير أن حمل خشب المحرقة هي من عمل الكاهن، لذلك فإن المسيح هو الذبيحة والكاهن معًا[١].]

[موته عن البشر كان لنفع العالم كله][٢].

خامسًا: قيامة المسيح

أمتزجت كتابات أوريجانوس الخاصة بتفسير العهدين القديم والجديد وكتاباته الدفاعية والعقيدية والعملية بالحديث عن قيامة السيد المسيح، معلنًا نظرة الكنيسة الأولى إلى هذا الحديث بكونه "سر قيامتها المستمرة" وسر حياتها الجديدة. خلال قيامة السيد تقدم الكنيسة كل عبادتها وذبيحة حبها الآب كعبادة مرضية ومقبولة، كما يتراءى المؤمنون كأبرار في المسيح يسوع القائم من الأموات. خلالها ننعم في المعمودية بخلع الإنسان القديم ونلبس الإنسان الجديد الذي على صورة خالقنا. بها نحمل قوة الغلبة والنصرة اليومية على إبليس وجنوده وأعمال الظلمة والجهل والموت، وننتقبل قوة المسيح المبهجة وأعمال النور والمعرفة والحياة الجديدة غير المائتة!

القيامة – عند أوريجانوس – هي السيد المسيح نفسه، الذي رآه رجال العهد القديم خلال الظلال والرموز، والذي يسكن فينا بغير انقطاع!

١- سر الأيام الثلاثة

إذ دخل موسى وهرون عند فرعون قالا له: "إله العبرانيين قد إلتقانا، فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا" (خر ٥: ٣). ولما طلب فرعون أن يذبحوا في أرض مصر (خر ٨: ٢٥) رفض موسى قائلا: "نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا كما يقول لنا" (خر ٨: ٢٧). وكان فرعون يتوسل إليهما: "لا تذهبوا بعيدًا" (خر ٨: ٢٨).

يرى أوريجانوس أنه يستحيل أن تكون هذه الأيام بلا معنى، وإنما تحمل سرًا... فإنه لا يمكن تقديم ذبيحة مقبولة لدى الرب إلا بعد سفر ثلاثة أيام...

في العظة الخامسة على سفر الخروج أوضح أوريجانوس أن شعب بنى إسرائيل خرجوا إلى البرية خلال ثلاث مراحل أو محطات: رحلوا من رعمسيس إلى سكوت ثم إلى إيثام وعندئذ في هذه المرحلة الثالثة يقول الكتاب: "كان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارًا وليلاً. "لم يبرح عمود السحاب نهارًا وعمود النور ليلاً من أمام الشعب" (خر ١٣: ٢١، ٢٢).

لقد رأى أوريجينوس أن الشعب قد التقى في اليوم الثالث بقيامة المسيح خلال رمز الأيام الثلاثة، فصارت لهم قوة إعلانات الله، واستنارتهم به، وصار لهم حق التقدم بالذبيحة المقبولة!

يقول: [عندما نقتنى سرّ اليوم الثالث يقودك الرب ويريك بداية طريق الخلاص][٣]. ويشرح ذلك، قائلاً:

[1] Ibid 8: 6.

[2] Contra Celsus 2: 16.

[3] In Exod. Hom. 5:2. ترجمة الأخت المباركة عايدة حنا بسطا.

[ترك بنو إسرائيل رعمسيس وأتوا إلى سكوت..." (خر ١٢: ٣٧). إن كان أحد يستعد لترك مصر (إشارة للعبودية)، فليترك أعمال ظلمة هذا العالم... يلزمه أن يترك أولاً رعمسيس التي تعني "بلد الفساد". إن أردت أن يكون الرب قائدك، يتقدم أمامك في عمود سحاب، وتتقدمك الصخرة (خر ١٣: ٢١)، وتأكل المن الروحي (١كو ١٠: ٣-٤) وتتمتع بالشراب الروحي، فلترحل عن رعمسيس: "لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون" (مت ٦: ٢٩). ويتحدث الرب بأكثر وضوح قائلاً: "إن أردت أن تكون كاملاً فأذهب وبع كل مالك وأعط الفقراء وتعال اتبعني" (مت ١٩: ٢١). هذا هو معنى الرحيل عن رعمسيس وأتباع المسيح...

"وأتوا إلى سكوت"...

يقول رجال اللغة أن سكوت عند العبرانيين تعنى "خيمة"، فبعد الرحيل عن مصر، وبعد نفض صدأ الفساد والابتعاد عن مجال الرذيلة نسكن في خيام... فإننا نسكن في الخيام التي لا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها (٢كو ٥: ٤). يسكن في الخيام من يركض نحو الله حرًا بلا قيود تثقله!

لكن يلزمنا ألا نتوقف هنا بل نكمل الطريق؛ يليق بنا أن نرفع الخيمة من سكوت ونسرع إلى إيثام، التي يمكننا ترجمتها "علامة". لقد أُحسن اختيار الاسم، إذ تسمع بعد ذلك أن الله يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب يهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نور يضيء لهم. هذه العلامة لا نجدها في رعمسيس ولا في سكوت، وهما المرحلتان الأولى والثانية، إنما نجدها في المرحلة الثالثة حيث تبدأ إعلانات الله. تذكر ما قد كتب قبلا أن موسى كان يقول لفرعون: "نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا" (خر ٥: ٣)...

إذن لم يكن فرعون يريد أن يسمح لبنى إسرائيل أن يذهبوا إلى مواضع إعلانات الله. لم يسمح لهم بالتقدم للتمتع بأسرار اليوم الثالث. إسمعوا ما يقوله النبي: "الرب يحينا بعد يومين، في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" (هو ٦: ٢).

اليوم الأول يمثل آلام المخلص.
والثاني نزوله إلى الجحيم،
والثالث قيامته.

وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. فإن أخذنا بقول الرسول أنه قصد بذلك المعمودية (١ كو ٦: ٢)، يليق بكل من اعتمد بيسوع المسيح أن يعتمد لموته ويدفن معه بالمعمودية للموت (رو ٦: ٣)، ويقوم معه في اليوم الثالث، فينطبق عليهم قول الرسول أن الرب يقيمهم معه، ويجلسهم معه في السمويات (أف ٢: ٦)[1].

مرة أخرى يربط العلامة أوريجانوس ذبح اسحق بقيامة السيد المسيح[2]، إذ يقول الكتاب عن إبراهيم "في اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموقع من بعيد" (تك ٢٢: ٤).

[الرسول بولس الذي تعلم بالروح – كما أعتقد – أظهر فكر إبراهيم وخطته يقوله: "بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرب. قدم الذي قبل المواعيد وحيده... إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات" (عب ١١:

[1] Ibid.

[2] In Gen. Hom 8: 1

١٧). لقد قدم لنا الرسول فكر رجل الإيمان هذا، لأن الإيمان بالقيامة أنها بدأت فعلاً في إسحق. إذن إبراهيم ترجى أن يقوم إسحق، وآمن أن ما لم يحدث حتى الآن سيحدث... وفى أكثر وضوح عرف إبراهيم أنه صورة لحقيقة ستتم في المستقبل، عرف أن المسيح يقوم من نسله، ويُقدم ذبيحة حقيقية عن العالم كله، وأنه يقوم من الأموات][1].

[حين أُمر بذبح ابنه الوحيد آمن أن الله قادر أن يقيمه من الأموات: آمن أيضًا أن ما يجرى أمامه لا ينطبق على إسحق وحده، بل يحمل جانبًا سرائريًا، ومملوء بالمعاني المحفوظة عند نزول المسيح... لهذا قدم ابنه الوحيد بفرح، إذ لم يرى في ذلك موتًا لمن هو من زرعه (إسحق) بل رأى إصلاحًا للعالم وتجديدًا لكل الخليقة واعادة لخلقتها، وذلك بقيامة الرب. لهذا قال الرب نفسه: "أبوكم إبراهيم رأى يومي فتهلل" (يو ٨: ٥٦)...][2].

٢- عضويتنا في كنيسة الأبكار

إذ أراد **توماس كولنز** أن يقدم عنوانًا لنظرة العلامة أوريجانوس نحو قيامة السيد المسيح وفاعليتها في حياتنا أختار: "التحول بعد الاتحاد"[3]. فبقيامته أعطانا ليس فقط حق القيامة في اليوم الأخير، إنما صنع تحولاً جذريًا في طبيعتنا وفى حياتنا الحاضرة. وهبنا "الحياة الجديدة المقامة"، إذ صرنا أعضاء جسده الحي القائم من الأموات... وكما أنه هو "البكر من الأموات" صرنا نحن أبكار الله، إذ نحن أعضاء جسد البكر...

ففي حديث له يؤكد أولاً إمكانية قيامتنا من الأموات خلال قيامته إذ يقول: [لو لم يوجد الصليب لما تجردت الرئاسات والسلاطين، وانهزمت إلى الأبد" (كو ٢: ١٥).

ولو لم يمت المسيح لما حدثت قيامته، ولا قام المسيح بكرًا بين الراقدين (١ كو ١: ١٨).

ولو لم يحدث هذا لما صار لنا رجاء في القيامة من الأموات][4].

كما تحدث عن تمتعنا بالباكورية خلال اتحادنا به "البكر بين الأموات، قائلا: [أما عن نوالنا بركات البكورية، فقد صار هو البكر من الأموات حتى تكون له الأولوية في كل شيء، ويرفعنا نحن الذين نؤمن بقيامته لنكون أبكارًا له... ذلك إن تمسكنا حقًا بنعمة هذه البركات حتى النهاية وأعانتنا مراحم ربنا يسوع المسيح نفسه][5].

٣- الدخول إلى السمويات

في شرحنا سفر نشيد الأناشيد[6] رأينا أوريجانوس يتطلع إلى كنيسة العهد القديم وقد تمتعت بشبه الذهب مع مرصعات من فضة، أي شبه السمويات وظلالها. لكن ما أن اتكأ الملك على مائدته، أي ربض على صليبه ورقد عليه وقام حتى وهب الكنيسة الذهب الخالص، إذ عبر بها من الظلال إلى السمويات عينها، فلم تعد تطلب الأرضيات والجسديات بل السمويات والروحيات.

[1] In Gen. Hom 8: 1.

[2] Comm. Rom. 4: 7.

[3] T. P. Collins: The Risen Christ in the Fathers of the Church, Paulist Press, N. Y. 1967, ch 6.

[4] In Num. Hom 14.

[5] Ibid 3: 4.

[6] طبعة ١٩٧٩ تفسير، نش ١:٧-١٢.

في هذا يقول: [قام من الأموات، وبقيامته لم يعد اللذين يتشبهون بقيامته شبه الذهب، أي يطلبون الجسديات، إنما يتقبلون منه الذهب الخالص][1].

لهذا لا عجب إن كان العريس القائم من الأموات يوصى كنيسته أن "تقوم"، أي يدعوها للدخول إلى قوة القيامة وبهائها وسموها، منطلقة فوق كل الأحاسيس الجسدية ومرتفعة فوق كل شهوات الجسد...، إذ يقول:

"قومي يا قريبتي يا جميلتي يا حمامتي وتعالى.
لأن الشتاء قد مضى والمطر مر وزال..." (نش ٢: ١٠).

"يمكنا القول بأن هذا نوع من النبوة أعطى الكنيسة، إذ يدعوها للتمتع بالبركات العتيدة الموعود بها...

لقد طلب منها أن تقوم، لأن الزمان قد كمل فعلاً، وحل وقت القيامة...

ولما كانت هذه الوصية (قومي) تختم عمل القيامة، فإنه يدعوها إلى الملكوت بكونه حاضرًا، لنصير بفضل القيامة في بهاء وسمو أعظم...

إنه ينحني نحوها ويدعوها أن تقوم وتخرج عن الأحاسيس الجسدية وتكف عن بقائها في الجسد، لكي تستحق سماع الصوت القائل: "أنتم لستم في الجسد بل في الروح" (رو ٨: ٩)][2].

ظهرت فاعلية هذه القيامة في حياة المؤمنين حتى في عبادتهم، فبعد أن كان نظرهم مركزًا نحو الأرض (أورشليم السفلي) ارتفع إلى أورشليم العليا، إذ يقول: ["لو أن المسيح لم يقم من الأموات، بكر الراقدين (١ كو ١٥: ٢٠)، والذين يتشبهون بموته وقيامته لم يقوموا معه لطلبت مدينة الله التي على الأرض (السفلي) وطلب الهيكل والتطهيرات وما إلى ذلك. لكن لما تمت هذه الأمور (قيامة المسيح وتشبه المؤمنين بقيامته) لم تعد تُطلب الأمور الأرضية بل العليا. ولكي يتم ذلك كان لابد أن يذهب المسيح إلى أورشليم الأرضية ويتألم هناك كثيرًا من الشيوخ ورئيس الكهنة وكتبة الشعب، حتى يمجده الشيوخ السمائيون الذين يقدرون أن يتقبلوا نعمة، وأيضًا رؤساء الكهنة الإلهيون الذين سامهم رئيس الكهنة الأوحد، وكتبة الشعب الذين يكتبون الحروف بروح الإله الحي وليس بحبر. كان لابد أن يُقتل في أورشليم الأرضية ويقوم من بين الأموات ليملك في جبل صهيون مدينة الله الحي، أورشليم السماوية][3].

٤- قيامة حاضرة

يرى أوريجانوس أن قيامة السيد المسيح في اليوم الثالث وإن كانت قد تمت فعلاً في اليوم الثالث لكنها أيضًا تحمل معنى آخر ألا وهى أنها تتم تدريجيًا لتبلغ كمالها في اليوم الثالث أو في المرحلة الثالثة. ففي المرحلة الأولى قام الرأس يسوع المسيح... وفى قيامته هذه إذ يدخل بستان (فردوس) الله يقول "لا تلمسني فأني لم أصعد بعد إلى أبى..." (يو ٢٠: ١٧)...، أما المرحلة الثانية ربما قصد بها دخولنا إلى "القيامة" والتمتع بقوتها خلال اتحادنا به ونحن بعد في العالم، حيث نقول مع الرسول "أقامنا معه وأجلسنا معه في السمويات"، وأخيرًا "فإن كمال القيامة يتم حين يصعد بكل جسده (الكنيسة كلها) إلى الآب"[4].

[1] Comm. Cant. 2: 8.

[2] Ibid 3: 4.

[3] Comm. Matt. 20.

[4] Comm. Joan 21.

هكذا يرى في المسيح الذي هو القيامة "حياة ديناميكية" أي عاملة على الدوام... قام أولاً بسلطانه، ويبقى يهب هذه القيامة لكنيسته في العالم حتى يدخل بها إلى أحضان أبيه... فيستريح الرب القائم من الأموات في كنيسته.

وقد تحدث كثيرًا عن قيامة الكنيسة الآن حتى تدخل إلى كمال قيامتها في يوم الرب، نذكر من ذلك قوله:

[يبدو لي أن الهيكل وجسد يسوع يحملان تفسيرًا واحدًا، فهما يشيران إلى الكنيسة المبنية بحجارة حية، بيت روحي، كهنوت مقدس، تقوم على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح هو حجر الزاوية الرئيسي، لهذا دعيت الكنيسة هيكلاً. وهكذا فإن قيامة المخلص من آلام الصليب تحمل سر قيامة جسد المسيح الكلى.

لما كان جسد يسوع المحسوس قد قدم ذبيحة... ودفن ثم قام، هكذا جسد قديسي الكنيسة، المسيح الكلى، يصلب معه... إذ يمتثل كل واحد منهم ببولس فلا يفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي من خلاله يصلب للعالم ويصلب العالم له... بل ويدفن مع المسيح كقول الرسول (رو ٦: ٤)، وعندئذ يتمتع بنوع هام من القيامة، قائلا: "قمنا معه"، ويسلك في نوع من جدة الحياة، ولو أنه يقم بعد في القيامة الطوباوية الكاملة التي يترجاها][1].

٥- قيامة المسيح والحياة الجديدة

بقيامه السيد المسيح دخلنا إلى "الحياة الجديدة" التي لنا فيه، إذ صرنا خليقة جديدة على صورة خالقنا... حتى أن الرسول بولس حين يصف الآب يهتم بالقول عنه أنه "أقام يسوع ربنا من الأموات" (رو ٤: ٢٣-٢٥)، أكثر من اهتمامه بالقول أنه خلق السماء والأرض...لماذا؟

[لأن الوصف الأخير إنما يعنى خلقة ما هو ليس بموجود، أما الأول ففيه خلاص الذين هلكوا... تحقق الأخير بمجرد أمر (قال فكان)" أما الأول فتحقق خلال الآلام...][2].

هكذا دخلنا بالقيامة إلى "الحياة الجديدة"، خلالها صار المسيح هو رأسنا ومثلنا بعد أن كان آدم هو رأسنا ومثلنا. فخرجنا من الحياة الساقطة التي لآدم إلى حياة البر في المسيح يسوع.

في هذا يقول: [لما كان آدم هو المثل الأول والرأس لميلادنا الطبيعي صرنا جسدًا واحدًا من هذه الناحية، لكن إذ صار المسيح هو رأسنا خلال التجديد الإلهي وقيامته صار هو نموذجنا][3].

شرح كيف يكون السيد المسيح نموذجًا لنا" قائلا:

[أن كنتم تؤمنون أن المسيح قام من الأموات يلزمكم أن تؤمنوا أنكم أنتم أيضًا تقومون معه.

وأن كنتم تؤمنون أنه جلس عن يمين الآب في السموات، يليق بكم أن تؤمنوا أنه لم يعد مكانكم في الأرضيات بل في المنظر السماوي.

[1] Ibid 20.

[2] Com. Rom. 4:7.

[3] Comm. John. frag 144.

إن كنتم تؤمنون أنكم قد متم مع المسيح فيليق بكم أن تؤمنون أنكم تحيون معه؛ وإن كنتم تؤمنون أن المسيح يموت عن الخطية ويعيش لله (الآب) هكذا يليق بكم أن تموتوا عن الخطية وتعيشون لله...

فمن (يفكر في السمويات) يظهر إيمانه بالذي أقام يسوع من الأموات... مثل هذا الإنسان يحسب له إيمانه بحق برًا... أما الذين يؤمنون بالمسيح ولا يخلعون "الإنسان العتيق بأعماله الشريرة" (كو ٣: ٩)، فلا يحسب لهم إيمانهم برًا...

لنظهر أننا نمقت الخطايا التي من أجلها أسلم المسيح، وننتزعها... أما أن احتفظنا بأي علاقة معها... فإننا نظهر موت المسيح كأنه بلا قيمة، إذ نقبل ما قد أخضعه وغلبه...

يجمع الرسول هذه الأمور جميعها ويدعوها "خلع الإنسان القديم"... فيبحث الذين يؤمنون بالذي أقام يسوع من بين الأموات أن يخلعوا الإنسان العتيق؛ وبخلعهم للشر يلبسون ربنا يسوع المسيح، الذي هو بحق لباس البر، بهذا تظهر حياتهم لائقة بإيمانهم، بحسب إيمانهم برًا...

إن كنا نقوم مع المسيح الذي هو البر "ونسير في جدة الحياة، ونحيا حسب البر، فإننا نتبرر بالمسيح الذي يقوم من أجلنا... والذي يتعهدنا بالحياة الجديدة **على مثال قيامته**][1].

تحدث العلامة أوريجانوس عن علامات هذه الحياة الجديدة التي لنا خلال قيامة المسيح عند حديثه عن سر الأيام الثلاثة ينبغي أن نسيرها من مصر (العبودية) لتقدم ذبيحة للرب، إذ قال:

[أننا نترك مصر مسيرة ثلاث أيام نفصل عقلنا وطبيعتنا واحساسات النفس عن أمور هذه الحياة لتلتصق بوصايا الله.

نترك مصر حين ننقي كلماتنا، وأفعالنا وأفكارنا، لأن هذه هي مجالات الخطية الثلاثة...][2].

إن فرعون كممثل لإبليس سألهم ألا يبتعدوا كثيرًا (خر ٨: ٢٨) لكي لا يسيروا ثلاثة أيام بأكملها...

[أنه يريد أن يضمن أنهم إن لم يخطئوا بالفعل فليخطئوا بالقول، وإن لم يكن بالقول فلا أقل من أن يخطئوا بالفكر. أنه لا يريدهم أن يبتعدوا عنه ثلاث أيام كاملة، بل يريد أن يجد لنفسه فينا على الأقل يومًا واحدًا، وأن يكون له لدى البعض يومين ولدى آخرين ثلاثة أيام كاملة.

طوبى لمن ينفصل عنه الأيام الثلاثة كاملة، ولا يكون له فيه يوم واحد][3].

أما السمة الثانية للحياة الجديدة التي لنا بقيامتنا مع المسيح وخروجنا ثلاثة أيام، منفصلين عن إبليس فهو خروجنا من ظلمة الجهل والاستنارة بنور قيامته (نور المعرفة الروحية)، إذ يقول:

[يفرض عليك فرعون ذلك، إذ لا يريد أن يتركك، أنه رئيس ظلمة هذا العالم (أف ٦: ١٢)

لا يريدك تبتعد عن الظلمة وتذهب إلى نور المعرفة. سمع ماذا يقول: "لا أعرف الرب" (خر ٥: ٢)... أتسمع إجابة رئيس هذا العالم أنه يقول أنه لا يعرف الله...][4].

[1] Comm. Rom. 4: 7.

[2] In Exod. Hom. 3: 3.

[3] Ibid.

[4] Ibid.

مرة أخرى يتحدث عن استنارتنا بنور القيامة ودخولنا إلى الحياة الجديدة قائلاً:

[أنه يدعى نور الناس، والنور الحقيقي ونور العالم، إذ يضيء على كل الكائنات العاقلة. بواسطة الطاقات التي يبعث بها يلقى بالموت القديم خارجًا، ويهبنا حياة سامية نلبسها، حتى أن من يتقبله يقوم من الأموات، لهذا دعي "القيامة". وهو لا يقوم بهذا فقط عندما يقول الإنسان: "قد دفنا مع المسيح بالمعمودية وقمنا معه" (رو ٦: ٤) بل وأيضًا عندما يخلع الإنسان عنه كل ما يخص الموت، ويسلك في جدة الحياة التي للابن وهو ها هنا (أي قبل صعوده).

إننا على الدوام "نحمل في جسدنا إماتة الرب يسوع" وهكذا نحصد الفائدة السريعة: "لكي تظهر حياة يسوع أيضًا في جسدنا المائت" (٢ كو ٤: ١٠)[1].

إن سمة الحياة الجديدة هي غلبتنا أيضًا على الآم الحياة الحاضرة، إذ يقول: [قام مرة من بين الأموات، وهكذا نطق بحديث أقنع تلاميذه بحقيقة القيامة، حتى أنهم أعلنوها للبشرية باحتمالهم الآلام. لقد كان نظر التلاميذ مركزًا على الحياة الأبدية والقيامة التي امتثلت خلال الكلام والعمل بهذا كانوا يسخرون لكل آلام الحياة الحاضرة][2].

[1] AnF., vol 9, P. 312.

[2] In Joan. t 2, c.19.

نعمة الروح القدس

يتحدث أوريجانوس في الكتاب الأول من المبادئ عن أهمية الروح القدس في خلاصنا قائلاً: [يبدو أنه يليق بنا أن نتساءل: لماذا يحتاج المولود ثانية من الله (١بط ١: ٣) الآب والإبن والروح القدس ولا يتمتع بالخلاص بدون الثالوث القدوس ككل؟ أنه يستحيل التمتع بالشركة مع الآب والإبن بدون الروح القدس. لهذا يليق بنا في حديثنا هذا أن نتحدث عن عمل الروح القدس الخاص به كما نتحدث عن عمل الآب والإبن...][1].

الروح القدس هو واهب الشركة مع الله، يعمل داخلنا عقليًا إذ يفتح أذهاننا لمعرفة الكتاب المقدس ويعلن لنا الأسرار الإلهية ويهبنا الحكمة، كما يعمل في حياتنا السلوكية واهبًا لنا ثمر الروح في القلب ومنطبعًا على تصرفاتنا. يقدس أعماقنا ويمنحنا سلوك أولاد الله.

معلن الحق

[عندما يشير المخلص في الإنجيل إلى التعاليم الإلهية العميقة التي لم يستطيع التلاميذ أن يقبلوها (يو ١٦: ١٢ الخ، ١٤: ٢٦)... يليق بنا أن نفهم كما أن الإبن وحده يعرف الآب ويعلنه لمن يريد فإن الروح القدس وحده هو الذي يبحث أمور الله العميقة ويعلنها لمن يريد][2].

واهب الحكمة والمعرفة

[الروح القدس، الذي فيه كل أنواع المواهب، يهب للبعض كلمة حكمة والآخرين كلمة المعرفة، ولغيرهم الإيمان (١كو ١٢: ٨ الخ)][3].

[خلال قيادة الروح يأتي الإنسان إلى معرفة طبيعة كل الأشياء][4].

[(حتى المسيحي غير المتعلم) يرتفع في صلواته فوق العالم كله... وينطلق فكرة إلى السموات العليا. إذ يقوده الروح الإلهي][5].

[أرسل نورك (مز ٤٣: ٣) هذا النور المرسل من الآب إلى ذهن المدعوين للخلاص هو الفهم خلال الروح، الذي يقود الذين استناروا بالله][6].

واهب الصلوات

[صلوات القديسين أمام المسيح موصى بها بالروح القدس][1].

[1] De Prin. 1: 3: 5

[2] Ibid 1: 3: 4.

[3] De Prin 2: 7: 3.

[4] Ibid 2: 7: 4.

[5] Contra Cels. 7: 44.

[6] Sel Ps. 43: 3.

[لا نستطيع أن نقيم صلاة ما لم يلقى الآب عليها ضوءًا ويعلمها الإبن، ويعمل الروح القدس في داخلنا][2].

التقديس

[إذ تحصل (الكائنات العاقلة) أولاً: على وجودها من الله الآب، وثانيًا: تنال طبيعتها العاقلة من الكلمة، وثالثًا: تتمتع بقداستها من الروح القدس، عندئذ تصبح قادرة على قبول المسيح في إمكانية بره][3]...

[الروح القدس هو قوة التقديس][4].

[الروح القدس قدوس هكذا حتى أنه يفوق التقديس ذاته، لأن قداسته لا تأتيه من خارجه ليصير قدوسًا، بل هو ذاته قدوس على الدوام. أما الخليقة فتدخل إلى التقديس خلال الروح القدس...][5].

[دعي روح القداسة، لأنه يقدم القداسة للكل][6].

[كل صلاح بشرى... يوهب خلال الروح القدس][7].

[تسلم منه الوزنة (لو ١٩: ١١)...أي موهبة الروح القدس، لأن من يملكها لا يمكن أن يعاقب][8].

[كان يسوع "جائعًا"، يطلب ثمر الروح القدس في حياة الأبرار. طعامه – إن أراد أحد أن يقول – هو التين الذي يأكله وهو جائع، هذا التين هو الحب المثمر في حياة من يقتنيه. هذا الحب هو أول ثمار الروح (غلا ٥: ٢٢) مع الفرح والسلام وطول الأناة الخ...][9].

عمل الروح القدس وحياة الجهاد

مواهب الروح القدس وعطاياه مجانية، تقدم لنا خلال إيماننا بالمسيح يسوع ربنا، لكنها لا تعطى للمتراخين المتوانين، إنما للذين يجاهدون في جدية من أجل الحياة المقدسة في الرب.

وللعلامة أوريجانوس أحاديث كثيرة مطولة مع الموعوظين الراغبين في نوال سَّر المعمودية، إذ يطالبهم بالجهاد في الحياة الفاضلة ما استطاعوا، هاربين من الشر، حتى يتمتعوا بنعمة الروح القدس وعطاياه.

[1] On Prayer 2: 4.

[2] De Prin 2: 6.

[3] Contra Celsus 1: 3: 8.

[4] De Prin 1: 1: 3.

[5] In Num. Hom 11: 8.

[6] Comm. Rom. 1: 5.

[7] Ibid 9: 24.

[8] In Luc. Hom. 39.

[9] Comm. Matt. 16: 27.

[يا من تريد أن تتقبل العماد المقدس وتستحق نعمة الروح يليق بك أولاً أن تخضع لتطهير الناموس إي تتعلم كلمة الله، وتقطع جذور رذائلك الوحشية، وتصلح حياتك الشريرة البربرية وتمارس الوداعة والإتضاع، عندئذ تتهيأ لنوال نعمة الروح القدس][1].

[أن تعتمد يعنى أن تعتمد في موت المسيح، وخلال المعمودية تدفن في موته...
يلزمك أن تموت أولاً عن الخطية إن أردت أن تدفن مع المسيح!][2].

[أسمعوا أيها الموعوظين وأعدوا نفوسكم وأنتم بعد موعوظين وغير معمدين... فإن من يغتسل ليس للخلاص يتقبل المياه دون الروح القدس، أما الذي يغتسل للخلاص فيتقبل الاثنين][3].

[أذهبوا وتوبوا أيها الموعوظين إن أردتم أن تقبلوا المعمودية لغفران الخطايا... ليس أحد يأتي وهو في الخطية (متمسك بها) يأتي إلى المعمودية يقدر أن ينال غفران خطاياه. لهذا أتوسل إليكم أن تظهروا اهتمامًا أعظم وحذرًا قبل مجيئكم لنوال العماد. اظهروا ثمر التوبة المقبول (متى ٣: ٨). عيشوا الحياة النقية إلى حين... وعندئذ تنالوا غفران الخطايا][4].

[من يقتنى الطهارة فعلاً على مستوى بشرى ويذهب ليغتسل في معمودية الله... يقدر الروح القدس أن يجعل منه مسكنًا له وتكون له قوته العلوية كثوب][5].

[يأتي الروح القدس للفضلاء ويهرب من الأشرار][6].

يبقى الإنسان مجاهدًا على الدوام حتى بعد نواله سَّر المعمودية، حتى ينمو في الروح، ولا يفقد عمله فيه:

[لأن النار الإلهية يمكن أن تنطفئ من وقت لآخر، حتى في القديسين والمؤمنين. أنظر كيف ينصح الرسول بولس الذين تأهلوا لنوال مواهب الروح وعطاياه قائلاً: لا تطفئوا الروح (١ تس ٥: ١٩)][7].

[واستقر الروح عليهم وتنبأ الكل (عد ١١: ٢٥). إننا نقرأ أن الروح يستقر ليس على كل البشر أيا كانوا بل على القديسين الطوباويين، لأن روح الله يستقر على أنقياء القلب (مت ٥: ٨)، الذين يتنقون من الخطية، إذ لا يسكن في جسد مستسلم للخطايا، حتى وأن كان قد سبق وسكن فيه. لأن الروح لا يقدر أن يسمح بوجود شركة وصحبة مع الروح الشرير. إننا بلا شك عندما نخطئ يأتي روح شرير ويجد له في قلبنا موضعًا، أيا كنا نحن... لهذا فإن خطايانا "تحزن الروح القدس" (أف ٤: ٣٠). أما برنا وأعمالنا الصالحة فتهيئنا ليجد الروح القدس له فينا موضع راحة][8]...

[1] In Lev. Hom 6: 2.

[2] Comm. Rom 5: 8.

[3] Comm John 32: 7.

[4] In Luc. Hom 22.

[5] Comm. John 32: 7.

[6] Comm. John 32, Frag 37.

[7] In Gen. Hom 15: 3.

[8] In Num. Hom 6: 3.

[فتحت فمي واجتذبت لي روحًا إذا اشتقت إلى وصاياك (مز ١١٩: ١٣١). من يفتح فمه بالأعمال يجتذب الروح القدس الذي يعلن له أسرار الله. فم النفس هو الفهم. من يغلقه أمام الأفكار الشريرة ويفتحه للأفكار الصالحة يجتذب روح الفهم والنعمة والحكمة].

الملائكة

الأرواح العاقلة جميعها، الملائكة والنفوس البشرية والشياطين، خلقت جميعها حرة ومتساوية في رأى أوريجانوس، وأن الاختلافات التي تفصل بينهم لا تقوم على إرادة الخالق، إنما جاءت ثمرة تصرفهم، أي نابعة عن إرادتهم الذاتية. "البعض قادتهم الحرية إلى الامتثال بالله، والبعض الآخر إلى خلاف ذلك، بهذا أما تقدموا إلى الأمام أو سقطوا"[1].

حتى بين الملائكة أنفسهم كل منهم عهد إليه بعمل حسب استحقاقه، إذ يقول: [في رأيي، يليق بنا ألا نعتبر أنه بمحض الصدفة عهد لملاك أن يقوم بعمل، وبآخر بعمل آخر. بمعنى أن روفائيل يهتم بالمرضى ويشفيهم، وجبرائيل يهتم بالخليقة القابلة للموت. إنما يلزم أن نفترض أن وظائفهم هي ثمرة استحقاقهم، وإن استحقاقاتهم إنما جاءت خلال غيرتهم وفضيلتهم التي مارسوها قبل إنشاء العالم لذلك عهدت وظائف معينة بعد خلقة العالم لجميع الذين ينتمون لطغمة رؤساء الملائكة. وهناك أرواح أخرى استحقت أن تضم إلى طغمة الملائكة لتعمل تحت رئيس ملائكة أو أكثر، أو تحت الرؤساء...][2].

ملائكة الأمم

يرى أوريجانوس أن الله في رعايته لخليقته يوكل ملائكته للخدمة. [لكل شيء ملائكة تتعهده، ملائكة تتعهد الأرض وأخرى تتعهد الماء، والهواء، والنار، وكل العناصر المشابهة، يستخدمهم اللوغوس كأداة لتنظيم حركات الحيوانات والنباتات والكواكب، بل حتى السموات][3].

ويرى أن الرب قد عهد كل أمة في يد رئيس ملائكة، وقد أخذ هذا التعليم عن التقليد اليهودي الذي يتطلع إلى رئيس الملائكة ميخائيل كحامي لهذا الشعب من قبل الله.

ولا تقف خدمة الملائكة على الشعوب المؤمنة وإنما على كل البشرية، حتى يدخل الكل إلى إنجيل الخلاص. في هذا يقول: [لم يعهد للملائكة مجرد خدمة واحدة بسيطة لحساب الإنجيل... إنما الملاك الطائر في الهواء (رؤ ١٤: ٦) يقوم بعمل، إذ معه إنجيل لكي يصبغ كل الأمم بصبغة إنجيلية، لأن الآب الصالح لا يهمل هؤلاء الذين سقطوا بعيدًا عنه][4].

الملائكة والبشر

[1] De Princip. 2: 9: 6.

[2] Ibid 1: 8: 1.

[3] In Jerm. 10: 6.

[4] Comm. Joan 1: 14.

كثيرًا ما تحدث أوريجانوس عن عمل الملائكة في كنيسة السيد المسيح وخدامه المؤمنين، كجزء من عناية الله ورعايته بالبشرية واهتمامه بخلاصهم. هؤلاء الملائكة يرافقون المؤمنين ويرشدوهم ويحفظوهم من الملائكة الأشرار كما يشتركون معهم في الصلاة والعبادة.

يمكننا أن نلخص نظرته في علاقة الملائكة بالبشر في النقاط التالية:

١- لكل مؤمن ملاك خاص به:

[خلاف فترة عدم الإيمان يكون الإنسان تحت سيطرة ملائكة الشياطين، أما بعد التجديد (في الجرن) فيعين ذاك الذي يخلصنا بدمه لنا ملاكًا مقدسًا ينظر وجه الله بطهارته][1].

[مادمنا لم نبلغ الكمال، نحتاج إلى من يعيننا لينقذنا من الشرور. إننا في حاجة إلى ملاك، الذي يقول عنه يعقوب: "الملاك الذي خلصني من كل شر" (تك ٤٨: ١٦)][2].

[كل مؤمن – كما أخبرنا – مهما يكن صغيرًا في الكنيسة يعينه ملاك، إذ يشهد المسيح نفسه أن ملائكة (هؤلاء الصغار) ترى وجه الآب على الدوام][3].

[أن كنت منتميًا للكنيسة، فإن ملاكي ينظر وجه الآب بحرية، مهما أكن صغيرًا. أما لو كنت خارج الكنيسة فلا أجسر على ذلك][4].

[لكل نفس بشرية ملاك يقودها كأخ][5].

٢- الملاك الصالح يحثنا على الصلاح:

[لكل إنسان ملاكان على جانبيه، أحدهما صالح، والآخر شرير. حينما تملأ الأفكار الصالحة القلب إنما يكون الملاك متحدثًا، هذا أمر لا يشك فيه! وعندما تثور الأفكار الشريرة يكون الملاك الشرير متحدثًا][6].

٣- الملاك الصالح يسندنا ضد الملاك الشرير:

[يرسل الله ملائكته الأخصاء ليكونوا دومًا مع خدامه الأنقياء الذين استودعوا أنفسهم له، حتى لا تؤذهم الملائكة الأشرار، ولا حتى المدعو رئيس هذا العالم][7].

[أننا نعلم أن كل الذين ينعمون برضى الله، ليس فقط تكون الملائكة على استعداد لمساندتهم، إنما تشترك معهم في جهادهم حسب مسرة الله، وتتميم كل نعم الله عليهم. يشتركون معهم في الصلوات والتضرعات بصلواتهم وتضرعاتهم من أجلهم.

[1] Comm Matt. 28.

[2] Ibid, 26.

[3] De Principiis 2: 10: 7.

[4] In Luc. Hom. 35.

[5] In Ezek. Hom. 1: 7.

[6] In Luc. Hom. 12.

[7] ANF, vol 4, P653.

فإن كل الذين وضعوا رجاءهم في الأمور الصالحة، حينما يصلون إلى الله، يجدون عشرات الألوف من القوات المقدسة بجوارهم؛ حتى بدون أن يطلبوا منهم نجدهم يصلون معهم وكأنهم دروع لهم، إذ يكونون في اتفاق تام مع جنسنا المائت، وذلك لأنهم يبصرون الشياطين وهى تتناحر في حربها ضد خلاص الذين كرّسوا حياتهم لله، ويكتشفون بالأكثر بشاعة وحشية الحقد والكراهية التي للشياطين نحو الإنسان][1].

٤- يخدمون الإنجيل والكرازة:

[للرسل ملائكة تساعدهم في خدمة الكلمة ونشر الإنجيل[2].]

[إن كان يوجد بين البشر من نالوا كرامة الخدمة كإنجيليين، وإن كان يسوع نفسه قد قدم الأخبار السارة وبشر الفقراء بالإنجيل، بالتأكيد هؤلاء المرسلون الذين صنعهم الله أرواحًا وهم نار ملتهبة (مز ١٠٤: ٤)، وخدام لأب الجميع، لا يستثنيهم الله من أن يكونوا إنجيليين أيضًا (إي يقومون بعمل إنجيلي). لهذا نجد ملاكًا يقف بالرعاة حيث يضيء حولهم نور بهي، ويبشرهم: "لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" (لو ٢: ١٠-١١). وإذ قبل الرعاة ذلك تركهم الملائكة إلى السماء. تركونا لكي ندرك مقدار الفرح الذي بشرونا به بميلاد يسوع المسيح...

لقد تنازلوا إلى الأرض ثم عادوا إلى مواضعهم للراحة ليمجدوا الله في الأعالي بيسوع المسيح[3].]

٥- يشتركون معنا في العبادة:

[تصلى الملائكة معنا، وتعمل معنا، قدر ما تستطيع، حتى نتمتع بالأمور التي نبغيها][4].

[من جهتي أظن أننا نجد في كل كنيسة يشترك الملاك والإنسان معًا في أعمال مشتركة...][5].

خلال هذه الشركة تجتمع الملائكة معًا حين نجتمع نحن أيضًا فتكون هناك كنيسة من المؤمنين وأخرى من الملائكة.

في هذا يقول

[يلزم القول عن الملائكة هكذا: إن كان ملاك الرب يعسكر حول خائفي الرب وينجيهم (مز ٣٣: ٨)... يبدو أنه عندما يجتمع عدد من الشعب لمجد المسيح، يكون لكل واحد منهم ملاكه معسكرًا حوله، إذ الكل خائفوا الرب. كل ملاك يرافق الإنسان الذي يتعهد بحمايته وتوجيهه. هكذا إذ يجتمع المؤمنون، توجد كنيستان: واحدة من البشر والأخرى من الملائكة (المعسكرين حولهم)][6].

[لست أتردد في القول بأن الملائكة حاضرون في اجتماعاتنا أيضًا...

[1] Ibid, P 664.

[2] In Num. Hom. 11: 4.

[3] Comm. Matt. 13.

[4] De Orat 11: 5.

[5] In Luc Hom. 13

[6] De Orat. 31: 4.

تحدث الرب عن هؤلاء الملائكة عندما قال: إن ملائكة (الصغار)... ينظرون وجه أبى السماوي على الدوام (مت ٨: ١٠).

توجد كنيستان: كنيسة من البشر وكنيسة من الملائكة.

عندما نتكلم بشيء يتفق مع الاتجاه الحقيقي للكتاب المقدس ومعناه الحقيقي تفرح الملائكة وتصلى معنا. لأن الملائكة حاضرة في الكنيسة.

على أي الأحوال، يأمر القديس بولس أنه في أي كنيسة تستحق أن تدعى كنيسة المسيح يلزم أن يغطى النساء رؤوسهن عند الصلاة، وذلك من أجل الملائكة (١ كو ١١: ١٠). من الواضح أنهم الملائكة الذين يرافقون القديسين ويفرحون بهم في الكنيسة. هؤلاء لا نقدر أن نراهم لأن أعيننا قد أظلمت بدنس الخطية، لكن التلاميذ رأوهم...] [١].

الملائكة الأشرار

١- يتساءل أوريجانوس عن مصدر الشر، من أين هو؟ ويجيب أنه ليس من عند الله وألا ما كان هو الله، ولا من المادة لأنها من صنع "الكلمة" الذي به كان كل شيء (يو ١: ٣)، والذي يضم كل شيء حافظًا الكل[٢]، إنما هو من صنع المخلوق نفسه.

إن كان "كل شيء بالكلمة كان" (يو ١: ٣)، فالشر عنده ليس شيئًا موجودًا إنما هو "عدم وجود" للخير... هو ليس من صنع الكلمة فهو "عدم".

في هذا يقول: [إذ كل شيء بالكلمة كان (يو ١: ٣)، فمن الخطأ أن نفهم "كل شيء" هنا أنها تضم وجود الشر وفيض الخطية كأنهما من صنع الكلمة... فإن الرسول يبدو أنه يدعو الأشياء الشريرة كأنها غير موجودة، إذ يقول: "الله يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" (رو ٤: ١٧). فالشر إذن هو "عدم وجود"، لأنه وجد بغير الكلمة][٣].

أما الشيطان وملائكته فقد خلقوا صالحين وهم اخطئوا بإرادتهم... [الذين يقولون أن الشيطان ليس خليقة الله مخطئون. فبقدر ما هو شيطان ليس خليقة الله، أما الشخص نفسه (كمخلوق) فهو خليقة الله. وذلك كالقول بأن القاتل ليس خليقة الله، لكنه كإنسان هو خليقة الله][٤].

٢- أجاب أيضًا أوريجانوس على التساؤل: لماذا سمح الله بوجود الشيطان؟ وكانت الإجابة هكذا:

أولاً: به يجرب المؤمنون ويمتحنون[٥]، بهذا يتكللون. كما يقول: [لم ينزع الله عن الشيطان سلطانه على الأرض... لأجل تكميل الذين عينوا لنوال الإكليل][٦].

[1] In Luc. Hom. 23.

[2] Hom. 3 in div loc.

[3] In Job tome 2, c.7.

[4] Ibid.

[5] De Principiis 2: 3: 2.

[6] In Num. Hom. 13: 17.

ثانيًا: يستخدمه كأداة للتأديب.

[إننا لسنا تحت سلطان الشيطان، بل تحت سلطان إله المسكونة بيسوع المسيح الذي يحضرنا إليه. حسب قوانيين الله لم يرث الشياطين سلطانًا على الأمور التي على الأرض. لكنه يمكننا أن نفترض أنه خلال جسارتهم على قانون الله قسموا فيما بينهم المواضع التي ليس فيها معرفة الله ولا يوجد السالكون حسب إرادته، إي صار لهم سلطان حيث وجد أعداء كثيرون للاهوت. وهناك إفتراض آخر أن الله قد تركهم يحكموا المسكونة حيث يوجد الأشرار، وذلك لمعاقبتهم إذ أخضعوا أنفسهم للخطية لا لله...[1]]

أيهما أعظم المؤمنون أم الملائكة؟

[إننا لا نجهل أن الذين يخلصون في المسيح سيفوقون بعض الملائكة... ولكن ليس جميعهم][2].

[1] Contra Cels. 5: 33.

[2] Comm. Matt. 13.

النفس البشرية

عاش العلامة أوريجانوس في عصر كان الصراع على أشده من جهة حرية الإرادة الشربة والجبر، إذ يرى البعض أن إنسانًا يولد في حضن الكنيسة وآخر في بيئة وثنية، إنسان يعطى الحكمة وآخر يحمل غباءًا، إنسان يولد ليرث الغنى وآخر يتمرر في الفقر، إنسان يولد في بيئة متحضرة وآخر في جو همجي. بمعنى آخر في كل المواضع يعقوب المختار وعيسو مرفوض. حتى بين الملائكة أنفسهم توجد درجات: عروش وسيادات وسلاطين وقوات، بل وبين الملائكة الساقطين توجد درجات... هذا دفع الغنوسيين للمناداة بالجبر والمصير، محطمين كل حرية للإرادة البشرية. هذا ما دفع القديس أكليمنضس أن يتحدث عن "الإيمان" مؤكدًا أنه "من الإرادة الحرة"، لها أن تقبله أو ترفضه، بالرغم من أن الإيمان هو هبة إلهية، بل والإرادة الحرة هي عطية الله للإنسان[١]!

لكن بقى السؤال مطروحًا: إن كان هناك حرية الإرادة البشرية، فماذا لم تعطى العناية الإلهية لكل النفوس البشرية فرصًا متساوية؟!

لقد تجنب القديس أكليمنضس الإجابة على ذلك[٢].

أجاب أفلاطون على ذلك بأسطورة إر Er الأرمني وأنتهى إلى النتيجة التالية: الله ليس بمسئول عن ذلك، فإن النفس هي التي تختار نصيبها قبل ميلادها. تبنى باسيليدس ذات النظرية، أما القديس أكليمنضس فقد وضعها جانبًا[٣].

أما أوريجانوس الذي يرفض أن يكون الإنسان مجبرًا على شيء فقد قبل الفكرة قائلاً بأن الخليقة العاقلة جميعها موجودة منذ البدء، خلقها الله متساوية ومتشابهة، إذ لا يوجد سبب أن يخلقها متمايزة عن بعضها البعض ومختلفة. وأن هذه الخليقة العاقلة أعطيت حرية الإرادة، فالبعض منها تقدم خلال امتثاله بالله والأخرى سقط بسبب إهماله[٤]. وأن النفوس الساقطة قد لبست الجسد وجاءت إلى هذا العالم لأجل تنقيها... وكأن العالم هنا هو مجال للتأديب والتنقية. بمعنى آخر كل البشر نفوسهم لها وجود سابق... وأن الظروف التي خلقت عليها الأجساد جاءت نتيجة لتصرف النفوس بكمال حريتها.

بحسب أوريجانوس لا تقدر خليقة أن تعيش دون أن تتحد بجسد ما، بل الله وحده، الثالوث القدوس، هو غير الجسدي بطريقة مطلقة. لكن الأمر يختلف حسب الأرواح التي قدر لها أن تتحدد بأجساد حسب استحقاقاتها. إذ يقول: [إذ تعطى (الأجساد) لأرواح أقل في الدرجة تكون صلدة وثقيلة بطريقة تكوَّن الأنواع

[١] راجع "الإيمان" في حديثنا عن القديس أكليمنضس.

[2] Lebereton, vol 4, P 783.

[٣] Eclogae Prophetic، ١:١٧ "أننا لم نوجد قبل أن يخلقنا الله. لو أننا قبلنا وجودًا سابقًا لنا، كان يليق بنا أن نعرف أين كنا، وكيف كنا، ولماذا جئنا إلى هذا العالم؟".

[4] De Princ. 2: 9: 6.

المختلفة من مادة هذا العالم المنظور، وأما إذا وضعت لخدمة خليقة عاقلة أكثر سموا وسعادة فإنها تضيء ببهاء الأجساد السماوية وتعمل كلباس لملائكة الله وأبناء القيامة][1].

هذه إحدى الأخطاء التي أدانت أوريجانوس، اعتقاده بخلقة النفوس قبل الأجساد، وأن ارتباطها بالجسد هو نوع من العقوبة بسبب خطايا ارتكبتها سابقًا[2]. إذ يرى أن كلمة تأسيس العالم (Ktabal) في (أف ١: ٤)، إنما تعنى النزول أو الهبوط وكأن النفس تنزل إلى العالم المحسوس كمكان للتطهير. لذلك ففي النهاية تعود كل الخليقة إلى أصلها في الله، إذ تخلص كل البشرية. ويكون للعقوبة الأبدية نهاية، حتى الشيطان أيضًا – في نظره – سيخلص... إذ تكون النصرة في النهاية للخير.

في رأيه أن كل الأرواح – الملائكة والشياطين ونفوس البشر – خلقت متساوية وستنتهي أيضًا هكذا، إذ يقول: [النهايات مثل البدايات. ستكون لكل الخلائق ذات النهاية، ويلزم أن يخلص الجميع كما كان لكل نفس البداية][3].

سيكون الله هو "الكل في الكل" حتى يعود كل شيء لله خلال إصلاح الجميع وتطهيرهم، حتى الأرواح الشريرة[4].

رأى في الوجود في العالم تأديبًا للنفس وعلاجًا لها، وأن هذا التأديب له نهاية حتى في الحياة المقبلة. فالموت يكون له نهاية،

في حديثه عن سدوم وعمورة يقول:

[الله هو شاف وأب، هو سيد طيب غير قاسى...

لا تظن أنهم بعد سقوطهم تحت الموت والعذابات تبقى العذابات تلاحقهم، فقد عوقبوا هنا في هذه الحياة حتى لا تكون بعد حاجة للعقاب فيما بعد][5].

ويلاحظ أنه رفض قول الفيثاغوريين بأن النفوس البشرية تتقمص أجساد الحيوانات[6]، كما رفض قول أفلاطون بأن نفسًا بشرية تنتقل من جسد إنسان إلى جسد آخر[7].

هناك ملحوظة أخرى أن أوريجانوس نفسه قد قال أن القول بخلاص الشيطان أمر لا يمكن قبوله[8]، مما يدعو للقول بأن ما جاء في كتاباته بهذا الشأن مدسوس عليه.

[1] Ibid 2: 2: 2 cf. 1: 5: 3.

[2] Ibid 1: 8: 2: 1: 1.

[3] Ibid 1: 6: 2.

[4] Baus: P 239. De Princi 1: 6: 1; 3: 6: 6; Contra Celsus 8: 72.

[5] In Ezek. Hom. 12.

[6] Contra Cels. 5: 49; 8: 30.

[7] Ibid 4: 17.

[8] مقتطف عن رسالة لصديق له، اقتبسها روفينوس.

مركز النفس بالنسبة للخليقة

نختم حديثنا عن النفس البشرية بتأكيد أن عالم الخليقة العاقلة كله – بما فيه من نفوس البشر – في نظر أوريجانوس، ومن بعده القديس غريغوريوس أسقف نيصص، يمثل حركة سريعة من البداية إلى النهاية، تحتضن هذه الخليقة كلها، وتدخل بها إلى اتحاد مع الله، ليصير هو الكل في الكل[1]. بهذا فإن الإنسان عند أوريجانوس ليس إلا عنصرًا في عالم الأرواح وليس هو مركز الخليقة كما في غريغوريوس.

[1] J. H. Strawley: The Catechtical Oration of Gregory of Nyssa, P XII.

الحياة الروحية

١- أعرف نفسك

الحياة الروحية غايتها اللانهائية هي عودة الإنسان إلى طبيعته الأولى، أي يسكون على صورة الله. لهذا يليق بالإنسان أن يتعرف على نفسه، يعرف ما هو عليه الآن، ويدرك حقيقة طبيعته الأصلية، فيتقبل في داخله السيد المسيح الذي يحطم قوة الحياة الفاسدة ويقيمنا على مثاله.

في هذا يقول العلامة أوريجانوس: [الخطية جعلت الإنسان مثل الشيطان، حيث ذهب إلى خلاف طبيعته الأصلية، وصار يتطلع إلى صورة الشيطان. وإذ رأى مخلصنا أن الإنسان الذي جلبه على صورته قد أهتز فيه شبهه وأراد أن يتمثل بالشيطان، ترأف المخلص وأخذ شكل الإنسان ونزل إليه...

حقًا أن الذين جاءوا إلى (المخلص) وجاهدوا للامتثال به يتجددون داخليًا يومًا فيوم، ويتقدمون حتى يبلغوا إلى حمل صورة خالقهم][1].

مرة أخرى يقول: [قبل مجيء ربنا ومخلصنا ملكت الشياطين في أذهان البشر وأجسادهم، وصارت لهم ملكية لأرواحهم بغير منازع. لكن ظهرت نعمة الله مخلصنا ورحمته على الأرض ليعلمنا كيف تستعيد كل روح بشرية الحرية وتصير على صورة الله التي خلقت عليها...][2]

هكذا تبدأ الحياة الروحية باكتشاف النفس أصلها وتحققها لكرامتها كصورة الله، مدركة أن العالم الحقيقي هو في داخلها، حيث يقيم الله في النفس ويعمل فيها ويصارع معها ضد الشياطين التي ملكت عليها حتى تصير على صورته من جديد.

٢- اتجاهات الطريق

الحياة الروحية، أو طريق النفس في انطلاقها من روح العبودية إلى مجد الحرية، وعودتها إلى صورة الله تسلك اتجاهين متكاملين ومتلازمين هما: الاتجاه التأملي "رؤية الله ومعرفته" واتجاه نسكي. في هذا يقول: [يكون طريق الرب مستقيمًا بطريقين: التأمل theoretikon وبالسلوك praktlkon][3].

فبخصوص التأمل تحدث عن الكلمة الإلهية، بأن اللاهوت محاط بسر خفي لا يمكن إدراكه والتعرف عليه، وأن موضع الله محاط بسحابة عدم المعرفة[4]. هذا وأن النفس لكي تنعم بالرؤيا الكاملة والتأمل في الإلهيات غير المدركة يلزمها أن تتخلى عن رغبات الطبيعية الفاسدة (اتجاه نسكي)...

[1] In Gen. Hom 1: 15.

[2] In Josh Hom. 14: 1.

[3] In Joan. Hom. 6: 2.

[4] Ibid 2: 23.

هذا الاتجاه النسكي وجد له مكانه في عظاته المشهورة عن "محطات البرية" في تفسيره لسفري الخروج والعدد، إذ وجد في رحلة الشعب من مصر إلى أورشليم صورة رمزية لرحلة المسيحي نحو الكمال. واستطاع أن يميز ٤٢ محطة للنفس في رحلتها من أرض العبودية وانطلاقها إلى أرض الحرية[١].

في هذه الرحلة تمر النفس بمراحل ثلاث: التطهير من الخطايا، الاستنارة (المعرفة الإلهية) والاتحاد مع الله حيث تلتقي به في أحضان عروسًا مقدسة له.

في هذا شابه فيلون اليهودي والقديس أكليمنضس الأسكندري، لكنه تحدث بأكثر تفصيل بطريقة منهجية حتى أعتبر أوريجانوس مؤسس اللاهوت النسكي السري في المسيحية[٢].

٣- العمل الإلهي

سَّر القوة هو سكنى المخلص في داخل حياتنا، هذا الذي يثير الحرب ضد الشر الذي فينا ويغلبه ليملك هو في قلبنا.

[إلى يومنا هذا يثير ربنا يسوع المسيح حربًا ضد القوات المعادية ويطردها خارج المدن التي تقطنها، أي يطردها خارج نفوسنا. إنه يقتل الملوك الذين يملكون في نفوسنا، فلا تعود تملك الخطية فينا (رو ٦: ١٢)، وتصير نفوسنا مدينة الله، ويملك هو علينا، فيقال لنا "هوذا ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧: ٢١)][٣].

[مع أن المسيح داخلنا هو الذي يغلب، فان النصرة التي يقتنيها خلالنا يحسبها أعظم من تلك التي أقتناها بنفسه][٤].

يحارب الرب داخلنا حتى يعيد إلينا صورته فينا بالكامل، إذ يقول: [المخلص هو الرب. وهو وحده الذي يسعى ليجعل خادمه مثله][٥].

بهذا يصير الرب هو إلهنا...أي ينسب لنا، وننسب نحن له، إذ يقول: [إنه ليس إله كل البشر (لأن ليس الكل يقبلونه) بل إله الذين بالنعمة يهبهم ذاته، وذلك كما فعل مع الآباء البطاركة (إبراهيم وإسحق ويعقوب)، قائلاً لهم: "أنا هو إلهكم" (تك ١٧: ١)][٦].

في رد أوريجانوس على صلسس الذي يعتز بأقوال الفلاسفة اليونان أوضح أن الفارق بين كلمات السيد المسيح والفلسفات اليونانية أن الأولى تحمل سلطانًا إلهيًا تغير حياة البسطاء والمتعلمين أيضًا، الأمر الذي ينقص الثانية[٧].

[1] In Num. Hom. 27.

[2] M.C. Me Lelland, P 126.

[3] In Josh. Hom. 13: 1.

[4] In Num. Hom. 7: 6.

[5] Com. Joan 32: 10.

[6] In Jerm. Hom. 9: 3.

[7] Contra Cels 7: 54.

٤- عمل النعمة في حياتك

سكنى المخلص فينا إنما هم عمل النعمة الله المجانية في حياتنا التي تعطينا الاتحاد به، لتكون لنا شركة آلامه حتى نتمتع بقوة قيامته ويستريح قلبنا به أثناء جهادنا.

يقول: [بنعمة الله ندفن مع المسيح ونقوم معه. إن كنا حقًا نتشكل في شبه قيامته، ونسير معه في جدة الحياة][1].

بهذا لا نحمل أسم المسيح فقط إنما نحمل نعمته عاملة فينا، التي تهب القلب راحة حقيقية من أعمال الشر ودخل به إلى "السبت" أي الراحة في الرب. إذ يقول: [من يحيا في المسيح يحيا في السبت على الدوام، يستريح في سلام من الأعمال الشريرة ويعمل أعمال البر بلا انقطاع. لكن كثيرون لهم أسم المسيح وليس لهم نعمته هؤلاء لهم راحة من الأعمال الصالحة (أي يتوقفون عنها) ويمارسون الأعمال الشريرة][2].

بالنعمة ينفتح القلب للتسبيح الحقيقي: [إن لم يكن الذهن مملوء نعمة الله، لا يقدر أن يشير إلى تسبيحات مجده][3].

٥- الجهاد الروحي

تحدث أوريجانوس عن ضرورة التحام الأعمال الصالحة بالإيمان، وارتباط الجهاد الروحي بالنعمة الإلهية. لقد ربط بين الصعود السري أو الروحي والجهاد النسكي الجاد من أصوام وأسهار مع قراءة مستمرة في الكتاب المقدس وممارسة للأتضاع[4].

فيما يلي بعض مقتطفات من أقواله في هذا الشأن:

[حين نترك مصر يلزمنا أن تكون لنا بعض المعرفة بالناموس والإيمان وأن يكون لنا ثمر في شكل أعمال مرضية لله (كو ١: ١٠)][5].

[نعمةة الله لا توهب للذينت تنقصهم الغيرة في عمل الصلاح، كما لا تقدر الطبيعة البشرية أن تنعم بالفضيلة دون عون من فوق][6].

[توهب نعم الله للذين بالإيمان والفضيلة يتهيأون لقبولها][7].

[يكون المسيح حاضرًا في كل إنسان قدر ما يستحق][8].

[1] Comm. Joan. 20: 25.

[2] Comm. Mat. 45.

[3] Note on Ps. 71: 8.

[4] In Jerm. Hom. 8: 4; in Exod. Hom. 13: 5.

[5] In Num :Hom. 27: 6.

[6] Comm. Inèd des Psaimes 118: 32b.

[7] Comm. Joan, Frag 41 (on 3: 27).

[8] Princ. 4: 4: 2.

حقًا أن الله لا يبخل أن يعطى نعمته وأن يتجلى في حياة كل الناس، لكنه إنما يهب قدر ما يعلن الإنسان عن احتياجه لعطية الله خلال جهاده، إذ يقول: [مع أن الله واحد في جوهره لكنه يأخذ أشكالاً كثيرة في حياة الناس الذين يعمل فيهم حسب احتياجهم][1].

مرة أخرى إذ يتحدث عن التجلي يقول: [يظهر الكلمة بأشكال متنوعة حسب قدرة الإنسان. فيظهر للبعض بلا شكل أو جمال ولآخرين باهر الجمال][2].

وهو يرى أن الذين يتبعون مثال السيد المسيح فيختارون بحريتهم الحياة البتولية ينالون هدفهم بأكثر سهولة[3].

الجهاد والحرية الإنسانية

ركز العلامة أوريجانوس – مثل معلمه القديس أكليمنضس – على حرية الإرادة الإنسانية في عمل النعمة الإلهية، وذلك لمواجهة الغنوسيين الذين نادوا بالجبر وأفقدوا الإنسان كل حرية لإرادته.

[أن نزع عنصر حرية الإرادة على الفضيلة تدمر كيانها][4].

[1] In Num. Hom. 9: 9.

[2] Hom. Luke 15.

[3] In Num. Hom. 24: 2; Com Cont. 2: 155.

[4] Contra Celsus. 4: 3.

الكنسيّات

اعتزازه بالكنيسة

مشاعره نحو الكنيسة عميقة عمق أحاسيسه نحو السيّد المسيح نفسه، فهو يراها كنيسة المسيح نفسه، والمسيح إنما هو مسيح الكنيسة، هي أم والمسيحيّون أبناء لها.

نشأ منذ الطفولة في أحضان الكنيسة، نبوغه لم يزده إلا تمسكًا بالعضويّة الكنسيّة، لهذا عندما حرمه البابا ديمتريوس الكرام لم يأخذ موقفًا مضادًا من الكنيسة مع أنه كان له من المعجبين به بين الرهبان وبين الشعب الإسكندرية!

يظهر اعتزازه بالكنيسة من قوله:

[نحن من الكنيسة،
أنا رجل الكنيسة،
أعيش في إيمان المسيح،
وأقيم وسط الكنيسة...][1].

وكما يقول **هنري دي ليوباك:** [لقد عرف أن المعرفة التي تغير حياة البشر وتقودهم إلى الحياة المقدّسة تأتى فقط... من المسيح، وأن المسيح يوجد فقط في الكنيسة المملوءة من بهائه. الكنيسة هي عمود الحق وهي المعين الأكيد له، حيث يسكن فيها ابن الإنسان بكماله][2].

في إحدى عظاته على إنجيل القدّيس لوقا يقول: [أما عن نفسي، فأرغب أن أكون رجل الكنيسة الحقيقي، أن أدعى باسم المسيح وليس باسم أي قائد هرطوقي. أن يكون لي الاسم المطوّب فوق كل الأرض. أشتاق أن أكون مسيحيًا وأن ألقب هكذا في أعمالي وفي أفكاري][3].

الكنيسة بيت الخلاص

الكنيسة لا تهدف فقط نحو الحفاظ على الكتاب المقدس، بل هي المفسر الأصيل له، لأنها وحدها قد تقبّلت من السيّد المسيح النور الذي يضيء على الجالسين في الظلمة[4]. هي الفلك الحقيقي الذي فيه وحده يجد الناس الخلاص، والبيت الحامل علامة دم المسيح، خارجة لا يوجد خلاص[5]. تشبه مدينة محصّنة من يبقى خارج حصونها يؤسر ويقتل بواسطة العدوّ[6]. يدخل الناس بيت يسوع وذلك بحياتهم بروح الكنيسة[1].

[1] Henri De Lubac: Origen, On First Principles, N.Y. 1966, P X.

[2] Ibid XI.

[3] Ibid XIII.

[4] In Gen. Hom 1: 5.

[5] In Gen. Hom. 2: 3.

[6] In Jerem. Hom. 5: 16.

لهذا هاجم أوريجينوس الهراطقة والمنشقّين على الكنيسة بشدّة، وهو القائل: [لا خلاص لإنسان خارج الكنيسة][٢]. التعبير الذي استعاره القدّيس كبريانوس من بعد.

في عظاته على إنجيل لوقا[٣]: [تعلّم أين وجده الباحثين عن يسوع، لتبحث أنت أيضًا مع مريم ويوسف فتجده، إذ يقول الإنجيلي: "وجداه في الهيكل جالسًا في وسط المعلّمين يسمعهم ويسألهم" (لو٢: ٤٦)... ابحث عنه في الهيكل الله.... ابحث عنه بين المعلّمين الذين هم في الهيكل لا يفارقونه. بهذا تجده!].

كنيسة واحدة

"كل إنسان يصلّي ويرتل الله بتسابيح قدر ما يستطيع، وباللغة التي يعرفها. والرب الذي هو إله كل لسان على الأرض يسمع الذين يصلّون إليه بألسنتهم الخاصة، وكأن للجميع صوت واحد وصلاة واحدة، إنما بلهجات هذا عددها"[٤].

هذه الكنيسة ذات الصوت الواحد أمام الله، يختلف أعمال أعضائها حسب مواهبهم، ليكمل أحدهم الآخر:

[الذين يدعون عيون لهم بلا شك نور الفهم والمعرفة، آخرون يدعون آذانًا يسمعون كلمة التعليم، وآخرون أيادي يصنعوا أعمالاً صالحة ويتمّموا عمل الدين][٥].

التقليد الكنسي والفلسفة[٦]

حب أوريجينوس الشديد للكنيسة جعله يتمسّك بالتقليد الكنسي، لكنه لم يقتصر على ترديد ما تسلمته الكنيسة، إنما كان يدخل إلى أعماقه ويفسره، وهو في هذا يستخدم الفلسفة اليونانيّة متى استطاعت أن تفيده. كان منهجه البحث الحر، يميّز بين نوعين من الحقائق الكنسيّة. الحقائق الإيمانيّة التي تسلمتها الكنيسة بالتقليد والحقائق التي يمكن أن تناقش في حرّيّة بين المؤمنين. الأولى يتمسّك بها أشد تمسّك، لكنه جريئًا كل الجراءة في فرض الفروض الكثيرة فيما يختص بالنوع الثاني من الحقائق.

سمات رجل الكهنوت الكنسي

١. فقرهم الاختياري

[1] Disput. Com Heracl 15.

[2] In Josuam Hom. 3: 5.

[3] In Luc. Hom. 18.

[4] AN Frs, vol 4, P 653.

[5] Comm. on Song og Songs 2: 8.

[٦] الأنبا غريغوريوس: أوريجينوس (١) المقدّمة، فلسفة أوريجينوس.

عرف أوريجينوس بشدّته في التوبيخ، حتى قال عن نفسه [قد يبدو (حديثي) قاسيًا جدًا، لكنّني هل أغطى حائطًا ينهار بطبقة من الخارج (Plaster)؟!][1]. هذا العنف لم يكن نحو الشعب وحده، بل ونحو الأساقفة والكهنة، بل حتى نحو نفسه ككاهن كارز بالكلمة، ففي حديث له يتحدّث فيه عن كهنة فرعون يقول: [أتريد أن تعرف الفارق بين كهنة الرب كهنة فرعون؟ فرعون أعطى أراضي لكهنته والرب يقول لكهنته: "أنا نصيبكم"...]

لنسمع ماذا يأمر المسيح ربنا كهنته: "إن لم يترك كل منكم ماله لا يقدر أن يكون لي تلميذًا".

إني ارتعب حين أقول هذه الكلمات، فإنني قبل الكل أتّهم نفسي وأدينها. [المسيح يرفض أن يحسب من يمتلك شيئًا تلميذًا له... فماذا نحن فاعلون؟! كيف نقدر أن نقرأ هذه ونشرحها للشعب نحن الذين ليس فقط لم نترك ما لدينا بل نشتهي أن ننال ما لم يكن لدينا قبل أن نجيء للمسيح؟ هل لأن ضمائرنا تتهمّنا نقدر أن نلغي ما هو مكتوب؟ إنّي لا أريد أن تكون جريمتي مضاعفة! إنّي اعترف أمام كل الشعب الذي يسمعني – أن هذا مكتوب – بالرغم من معرفتي إنّي لم أنفذه. لكنّني على الأقل اليوم – بعد هذا الإنذار، لنسرع وننفذ المكتوب لنسرع ونعبر من كهنة فرعون الذين لهم ممتلكات أرضيّة إلى كهنة الرب، الذين ليس لهم نصيب هنا أسفل، بل نصيبهم الرب][2].

٢. القدرة على إدراك الحق والتعليم

[يستطيع أي (كاهن) أن يمارس الأعمال الليتورجيّة المقدّسة أمام الناس، لكن ليس كثيرون يسلكون الحياة المقدّسة، ولهم معرفة عظيمة بالتعليم المسيحي، أناس مملوءون حكمة ولهم قدرة غير مشكوك فيها في تعليم الآخرين الحق][3].

[الكاهن هو إنسان له الأواني المقدّسة، أي لديه أسرار الحكمة المخفيّة المعهودة إليه.

ينبغي أن نأخذ درسًا منها (الأواني المقدّسة المخفيّة)، وأن يتحقّق إنها محفوظة خلف حجاب ضميره، غير مستعد لإعلانها للعامة. وأن اقتضت الظروف أن يقدّمها لغير المتعلّمين فيلزم ألا يقدّمها بدون أن تكون مغلقة وألا يكون قد أرتكب جريمة قتل إذ يهلك العامة][4].

[ينزع الكاهن الجلد عن الذبيحة المقدّسة كتقدّمة... هكذا ينزع الإنسان حجاب الحرف عن الكلمة الله ويكشف الأعضاء أي المعنى الروحي المختفي خلفه][5].

٣. لا يطلبون العمل الكهنوتي لأجل الكرامة

[حتى في كنيسة المسيح يوجد رجال يطلبون الولائم... يحبون أن يتّكئوا في الأماكن الأولى، فالبعض يطعمون أن يصيروا شمامسة. بعد ذلك يرتفعون إلى وظيفة كاهن... والبعض لا يقتنعون بذلك لكنهم يطعمون في نوال درجة الأسقفيّة][6].

[1] In Gen Hom 10: 1.

[2] In Gen Hom 16: 5.

[3] In Lev. Hom 6: 6.

[4] Ibid 12: 7.

[5] Ibid 1: 4.

[6] Comm. Ser. Matt. 12 PG 13: 1616 B.

٤. مسئوليّة رجال الكهنوت

وفي عظة له على حزقيال يتحدّث عن مسئوليّة العاملون في كرم الرب قائلاً: [كل الخطاة في الكنيسة يستحقّون العقاب، لكن العقاب يختلف حسب الرتبة التي للإنسان...

[فالموعوظ يستحق عقابًا أكثر رحمة من المؤمن...

والشمّاس يمكن أن يكون له سبب للعفو عن الكاهن. أما ما يسقط تحته الكاهن فلا حاجة لي أن أخبر عنه... إنّي ارتعب من حكم الله حين أضع أمام مخيلتي ما سيحدث...].

أضع قدام ذهني هذا القول: [إن كان الحمل ثقيل عليك فلا ترفعه!]. أي صلاح لي أن يجلسوننى على كرسي في موضع للكرامة... إن كنت أعجز عن القيام بالواجبات التي يلتزم بها هذا المركز؟! ستكون العقوبات أشد، لأن الكل يعاملني باحترام كما لو كنت إنسانًا صالحًا مع أنني في الحقيقة أنا خاطئ!][1].

مرّة أخرى يقول: [يوجد دين يستحق على الشمّاس وآخر على الكاهن، وأما المستحق على الأسقف فهو أثقلهم حيث يطالبه مخلّصي الكنيسة كلها به[2]...].

تحدث أوريجينوس عن مسئولية رجال الكهنوت من جهة التعليم وحث المؤمنين على العطاء للفقراء[3]... الخ.

الحاجة إلى الحل الكهنوتي

[لا يخلص العلماني من خطاياه بنفسه... يلزم أن يكون له كاهن أو حتى شخص أعلى منه في الدرجة، أي يحتاج إلى رئيس كهنة][4].

[إن لم يكن الإنسان مهتمًا أن يكون مقدسًا لن يفكر في تقديم التوبة عن خطاياه التي يرتكبها، ولا يقدر أن يطلب العلاج. أما القدّيسون فيقدّمون التوبة عن خطاياهم. إنهم يشعرون بجراحاتهم ويطلبون كاهنًا ويسألون العلاج...][5].

حدود الحل الكهنوتي

[يوجد كهنة، هم بالحق كهنة الكاهن الأعظم، هؤلاء يتقبّلون معرفة الشفاء المنحدر من قبل الله، وتعلّموا من الروح القدس ما يخص الخطايا التي يرفعوا عنها ذبيحة، ومتى يكون ذلك وبأي كيفيّة. كما تعلّموا أي الخطايا

[1] In Ezek. Hom 5: 4. PG 13: 707 a.

[2] On Prayer, ch 28.

[3] Comm. Matt 15: 15.

[4] In Num. Hom 10: 1.

[5] Ibid.

التي لا ينبغي أن يصنعوا عنها هكذا (التي لا يقدّم عنها مرتكبيها توبة). لكن يوجد آخرون لا أعلم كيف **إدعوا لأنفسهم بغير وجه حق القدرة شخصيّة على الحل أكثر ممّا لسلطانهم الكنسي حسب الطقس**. ربّما لعدم تمكّنهم من معرفة حدود اختصاص الكهنوت الذي لهم، فافتخروا أنهم قادرون أن يغفروا خطايا مثل عبادة الأوثان والزنا والنجاسة (دون تأديب) على أساس أنه بصلاتهم يحلونها، حتى لو كانت خطاياهم للموت (١يو٥: ١٦، ٢بط ٢٠: ٢٢)].

[الذين ينالون درجة الأسقفيّة بالتأكيد ما يربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء... وما يحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. هذا وما يقولونه يكون صحيحًا بشرط أن يتمّموا عمل المسيح الذي كان في ذهنه حين قال لبطرس: "أنت هو بطرس..." (مت ١٦: ١٨). فإن أبواب الجحيم لا تقوى على الأسقف حين يربط أو يحل. أما إذا سقط هو نفسه في الشرّ (أم ٥: ٢٢) فإن ما يربطه ويحلّه (بطريقة شرّيرة) يكون باطلاً][1].

الكاهن حامل للسيّد المسيح

في تعليقه على كلمات قائد المئة للسيّد المسيح أنه غير مستحق أن يدخل تحت سقف بيته (مت ٨: ١-١٣)، يقول: [فإنه حتى الآن حينما يدخل قادة الكنيسة المقدّسون، والذين يرضون الله تحت سقف بيتنا، يدخل الرب نفسه خلالهم؛ ولتحسب أن الرب قد دخل إليك].

سر الكهنوت والكهنوت العلماني

تحدّث كثيرًا أوريجينوس عن الكهنوت الكنسي ومسئوليّاته وكرامته وعمله التعبّدي والكرازي والتعليمي، هذا الكهنوت كسرّ كنسي يختلف عن الكهنوت العلماني الذي يوهب لجميع المؤمنين بسرّ الميرون حيث يصير مقبولين لدى الله، نقدّم صلواتنا وتشكراتنا اليوميّة ذبيحة حب... ليس بمعنى ينفي وجود الكهنة وعملهم كما تدعى بعض الطوائف حاليًا.

[كل الذين مُسحوا بمسحة الميرون المقدّسة صاروا كهنة][2].

[ألا تعلّم أن الكهنوت قد وهب لك أنت أيضًا، إذ أعطى لكل كنيسة الله، للشعب الذي يؤمن... إذ يلزم أن يقدّم الكل لله ذبائح التسبيح والصلوات والورع والنقاوة والبرّ والقداسة][3].

[1] Comm. Matt. 12: 14.

[2] Hom on Levit 9: 9.

[3] Ibid 9: 1.

الأفخارستيّا

قدّم لنا أوريجينوس صورة حيّة لسَّر الأفخارستيّا في مصر في عصره، يمكننا أن نوجز ملامحها في النقاط التالية:

١. سر الشكر

الأفخارستيّا هي ذبيحة الشكر التي تقدّمها الكنيسة لله: [نحن لسنا بجاحدي القلوب... علامة اعترافنا بالجميل نحو الله هو هذا الخبز الذي يدعى الأفخارستيّا][1].

٢. سر الفصح أو العبور

[الذين حسبوا حقًا أن المسيح هو فصحنا قد ذبح لأجلنا يلتزمون أن يحفظوا هذا العيد بأكل جسد الكلمة، مقيمين الفصح بذلك على الدوام. لأن الفصح يعنى العبور، فعليهم أن يعبروا بأفكارهم وكلماتهم وأعمالهم باستمرار من أمور هذا العالم إلى الله، مسرعين نحو مدينة الله][2].

٣. الأفخارستيّا وكلمة الله

ربط بين تناول جسد السيّد المسيح ودمه السرائرين وأكل "كلمة الله" خلال القراءة في الكتاب المقدس. [قلنا إننا نتناول دم المسيح ليس فقط خلال الطقوس السرائريّة بل وأيضًا بتناولنا كلماته، فإنها كلماته هي حياة][3].

٤. القبلة المقدّسة

[تبعًا لهذا النص (رو١٦: ١٦) وما يماثله، نمت العادة في الكنيسة أن يلتزم الاخوة بتقبيل بعضهم البعض بعد الصلوات ولازالت هذا العادة مراعاة إلى الآن. وقد دعي الرسول هذه القبلة المقدّسة ليظهر لنا أن القبلات التي تعطى في الكنيسة ليست دنسة لا تقدّم برياء...

يليق أن تكون القبلات التي يقدّمها الاخوة لبعضهم البعض ثمرّة السلام والإخلاص والمحبّة الصادقة][4].

٥. طلب الاحتياجات الماديّة

[1] Contra Cels. 8: 57. للمؤلف المسيح في سر الأفخارستيّا ١٩٧٣، ص ٣٩.

[2] Contra Cels. ANf, vol 4, P 647.

[3] In Num. Hom. 16: 9.

[4] In Rom. Hom 10: 33. Cf. Comm. Cant. 1.

في ليتورجيا القداس الإلهي نركّز على السؤال من أجل خلاص نفوسنا واحتياجاتنا الروحيّة. وأيضًا نطلب احتياجاتنا الجسديّة الضروريّة. "لابد لنا أن نسأله على الدوام، لأنه هو وحده القادر أن يمدّنا بكل احتياجاتنا الجسديّة][1].

٦. الصلاة من أجل الملك أو الرئيس

[أننا نقدّم أكثر عون للملك، الذي نسمّيه المعونة الإلهيّة... وذلك خلال صلواتنا التي نقدّمها، والقادرة أن تبطل أعمال الشيّاطين المثيرة للحروب التي تنقض العهود وتفسد السلام.

بالصلاة نقدّم له عونًا أكثر ممّا يقدّمه له الذين يدخلون معه ليسندوه في المعارك الحربيّة...

نحارب من أجله بجيش خاص، خلال التقوى والصلوات[2]]

٧. مجمع القدّيسين

للعلامة أوريجينوس تعليم قوي خاص بمجمع القدّيسين. وقد سبق أن تحدّثت عنه قبلاً في كتاب "المسيح في سرّ الأفخارستيّا[3].

٨. تذكار الراقدين

[أنهم يصنعون تذكارًا بخشوع للقدّيسين الذين رقدوا في الإيمان لكي ينالوا عزاءً وسرورًا، طالبين أن يكون لهم معهم أيضًا كمالاً في الإيمان][4]

٩. الانتظام في التناول

[يليق بنا أن نجتهد ما استطعنا أن نشترك على الدوام في مائدة الرب][5]

١٠. الاستعداد للتناول

[نأكل أيضًا الخبز المقدّم لنا، الذي يصير بواسطة الشكر والصلوات جسدًا مقدسًا يقدّس الذين يتناولون منه بقلب طاهر][6]

[1] ANF, vol 4, P 490.

[2] Ibid. P 668.

[3] Fr. Malaty: Christ in the Eucharist, 1973, P 490.
Origen: De Prin. 3: 2: 4 ; Comm. Mat 27: 30; Exhort to Mart. 30: 38; Comm. John 13: 57; On Prayes 6: 2-4: 31: 5; In Num. Hom 26: 6.

[4] In Job 1: 3.

[5] ANF, vol 4, P 647.

[6] ANF, vol 4, P 652.

[كل الذين يطهروا ليس فقط من النجاسة بل وأيضًا من التعدّيات المحسوبة أنها صغيرة، هؤلاء مدعوّون للتقدّم لأسرار المسيح بكل شجاعة، لأنها موضوعه ومعلنة فقط للأطهار والقدّيسين...

هناك فارق بين دعوة الأشرار ليبرأوا (خلال قراءة الكتاب المقدس) ودعوة الذين انفتحت بصيرتهم وتطهروا للشركة في الأسرار المقدّسة][1].

[إننا لا ندعو الأشرار واللصوص للشركة في الأسرار والانضمام إلى الحكمة الخفيّة في سَّر هذه التي أسسها الله قبل العالم لمجد قدّيسيه...إنما ندعوهم للعلاج والشفاء خلال الكلمة أولاً، لأن الكلمة الإلهيّة تحمل عونًا لشفاء المرضى إذ قيل: "لا يحتاج الأصحّاء إلى طبيب بل المرضى" (مت ٩: ١٢). أما الأطهار نفسًا وجسدًا فيليق أن يعلن لهم السَّر الذي كان مكتومًا في الأزمنة الأزلية، والآن أظهر وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبويّة حسب أمر الله الأزلي لإطاعة الإيمان (رو١٦: ٢٥-٢٦)][2].

[أنكم تستهينون بدينونة الله وتحذيرات الكنيسة. إنكم لا تخافون من التقدّم للأفخارستيّا والتناول من جسد المسيح، وكأنكم أطهار وأبرياء أو على الأقل إنكم لستم غير مستحقّين، حاسبين أن الله لا يدينكم على هذا. أنكم لا تفكّرون في العبارة: "من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى" (١كو ١١: ٣٠). لماذا يفقد الكثيرون قوتهم؟... لأنهم لا يمتحنون أنفسهم أو يتحقّقون معنى الشرّكة في الكنيسة متقدّمين إلى أسرار عظيمة هكذا وسامية جدًا][3].

[بالنسبة لجسد الرب يتمتّع بفاعلية كل الذين يتناولونه... على أن يكونوا بذهن نقى وضمير صالح][4].

[كل الذين سبق تقدّيسهم بالروح القدس يصيرون مؤهلين للشركة في قبول المسيح، بكونه بر الله][5].

١١. الاحتراس أثناء التناول

"إحذروا وأنتم تحملون جسد الرب وكونوا في يقظة شديدة لئلا يقع منه جزء على الأرض، أو يضيع عن نظركم أجزاء من القرابين المقدّسة. إحسبوا هذا جريمة][6].

١٣. التناول باتضاع

في تعليقه على كلمات قائد المئة للسيّد المسيح أنه غير مستحق أن يدخل سقف بيته (مت ٨: ١- ١٣) يقول:

[عندما تتناول جسد الرب ودمه يدخل الرب تحت سقفك؛ قل باتضاع: يا ربي إنّي غير مستحق].

[1] Ibid 488.

[2] Ibid.

[3] Hom. Ps 37: 2. Pg 12: 1386.

[4] Comm. Mat. 11: 14.

[5] Exhort to Martyr. ch 46.

[6] In Exod. Hom 13: 3.

المعموديّة

سر المعموديّة

المعموديّة هي ميلاد جديد وشركة في الطبع الإلهي خلال المحبّة[١]. هي دخول إلى العضويّة في جسد الكنيسة[٢]، عودة للفردوس[٣]، ومسح لكهنة[٤].

المعموديّة هي اتحاد سرى أو عرس روحي بين السيّد المسيح والنفس البشريّة:

[في كل شيء ترون الأسرار متطابقة، رموز العهد القديم وأشكال العهد الجديد. ففي العهد القديم ذهب يعقوب إلى الآبار ومياها ليجد زوجتاه، واتحاد الكنيسة مع المسيح يحتفل به في مياه الحميم][٥].

المعموديّة هي سَّر مع السيّد المسيح والقيامة معه:

[إذ نولد من الماء، ندفن مع المسيح. إذ نولد من جديد من النار والروح نصير كجسد المسيح][٦]...

[نوالنا المعموديّة هو عماد في موت المسيح، خلالها ندفن معه][٧]...

الحاجة إلى المعموديّة

[كل كائن بشري يحمل وصمة خطيّة حقيقيّة، لذا يلزمه أن يغتسل بالماء والروح][٨].

[على أي الحالات يقدّم المسيح علاجًا لنسلنا المائت بالتجديد في المعموديّة][٩].

[لو لم يوجد في الأطفال الصغار ما يدعو للمغفرة والحل فإن نعمة المعموديّة تبدو غير ضروريّة][١٠].

الاستعداد للمعموديّة

[1] Comm. Rom. 4: 9; Comm jahn 20: 37.

[2] Comm Rom 8:5.

[3] Frag. Gen. PG. 12: 100.

[4] In Leu. Hom. 9: 9.

[5] In Gen. Hom 10: 5.

[6] Comm Mat. 15: 23.

[7] Ibid 55: 8.

[8] Comm Rom 5: 9.

[9] Ibid 5: 1.

[10] In Lev. Hom 8: 3.

في حديثنا عن نعمة الروح القدس أشرت إلى بعض النصوص التي وردت في أعمال أوريجينوس عن أهميّة استعداد الموعوظين لقبول المعموديّة، وأنني أكتفي هنا بما ورد في عظته الثانية والعشرين على إنجيل القدّيس لوقا:

[إن أراد أحد أن يعتمد فليفعل هذا. فإنه إن بقى إنسان على حاله الذي كان عليه قبلاً ولم يترك عاداته السابقة وسلوكه القديم، بالتأكيد لا يقد أن يتقدّم للمعموديّة بذهن لائق].

رموز المعموديّة

١. عبور بحر سوف:

[يريد (فرعون وجنوده) أن يصلوا إليك، لكنك إذ تنزل المياه تخرج منها إنسانًا صحيحًا سليمًا، حيث تغسل فيها نجاسات الخطيّة، لتصعد إنسانًا جديدًا مستعدًا للتسبيح بالنشيد الجديد (إش٤٢: ١٠)][1].

٢. عمود السحاب:

[كان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم الطريق، وليلاً في عمود نور ليضيء لهم. إن أخذنا بكلمات الرسول أن هذا القول يقصد به المعموديّة (١كو ٦: ٢)، فإنه ينبغي على كل من يعتمد ليسوع المسيح يعتمد لموته فيدفن معه بالمعموديّة للموت (رو٦: ٣)، ويقوم معه الأموات في اليوم الثالث، هؤلاء الذين يقول عنهم الرسول: أنه يقيمهم معه ويجلسهم معه في السمويات (أف ٢: ٦)][2].

٣. اغتسال نعمان السرياني في الأردن:

[ليس نهر آخر ينزع البرّص من الإنسان إلا ذاك النهر الواحد (الأردن) إن دخله الإنسان بإيمان وغسل نفسه في يسوع؟][3].

٤. عبور إيليا وإليشع الأردن:

[يليق بنا أن نلاحظ أنه قبل أن يحمل إيليا في الزوبعة كما إلى السماء أخذ رداءه وطيّه ثم ضرب به الماء، فانشق إلى اثنين وعبر هو وإليشع (٢مل ٢: ٨)، بهذا اعتمدا في الأردن. لأن بولس كما سبق فقلت دعى عبور هذه المياه العجيب عمادًا. بهذا تهيأ إيليا للارتفاع عاليًا][4].

معموديّة الدم

[ليتنا نتذكّر خطايانا، ونذكر أنه بدون العماد يستحيل نوال غفران الخطايا (أع ٢: ٨٨)... لكنه أعطى لنا أيضًا معموديّة الاستشهاد...][5].

[1] In Exod. Hom 5: 5.

[2] Ibid 5: 2.

[3] Comm. Joan 6: 47.

[4] Comm. Joan 6: 47.

[5] Exhort. To Mart. 30.

النهر الناري الأسخاتولوجي (الأخروي):

يرى العلامة أن المعموديّة ميلاد جديد حقيقي، وهي في نفس الوقت طريق لميلاد أخروي ننعم به في السماء.

في هذا يقول: [ينبغي على الإنسان أن يعتمد أولاً بالماء والروح حتى متى جاء إلى النهر الناري يظهر أنه قد حفظ الطهارة التي منحت له بواسطة الماء والروح فيستحق أن يعتمد بواسطة يسوع المسيح بالنار][1].

[حقًا لا يتحرّر أحد من الخطيّة ممن له الميلاد الطبيعي، حتى لو كانت حياته يومًا واحدًا. سَّر الميلاد البشري هو أن كل طفل يولد يقول مع داود: "بالخطيّة ولدتني أمّي". لكن هناك حالة أخرى خلال الميلاد الجديد بحميم المياه: فإن الذين يولدون من فوق من الماء والروح يتحرّرون من الخطيّة... لكن حريتهم هذه تكون لمن ينظر في مرآة (١كو ١٣: ١٢)، إلى أن يأتي ابن الإنسان في المجد ويجلس على عرشه، عندئذ يكون هناك ميلاد جديد آخر، من يولّدون فيه في المسيح يتحرّرون من الخطيّة تمامًا. تكون حريتهم في ذلك الحين "وجهًا لوجه". أما سّر نوالهم هذا الميلاد الجديد فهو أنهم ولدوا قبلاً في الحميم...][2].

[1] In Luc. Hom 24.

[2] Comm. Mat 15: 23

الاستشهاد

نشأ أوريجينوس في بيت مسيحي له نفسية الشهداء. لهذا عندما أُقتيد والده للاستشهاد كان يود أن يقاسم أبيه هذا الإكليل لو لم تحجب أمه ملابسه عنه، عندئذ بعث إليه برسالة يشجع والده ألا يتراجع عن هذا الطريق بسببهم. وعندما تسلّم قيادة مدرسة الإسكندرية وهو بعد شاب كانت رسالته تهيئة قلوب المؤمنين، بل والموعوظين أيضًا لقبول الاستشهاد بفرح، وصار له تلاميذ شهداء وهم بعد موعوظين!

وفي شيخوخته نجده في عظته الرابعة عن سفر إرميا يرجع بذاكرته إلى كنيسة الإسكندرية منذ أربعين عامًا أثناء اضطهاد سافريان ليراها تتكلّل بالأمجاد وسط الضيقة، إذ كتب: [هذا حدث عندما كان الإنسان بحق مؤمنًا، يذهب إلى الاستشهاد في الكنيسة بشجاعة. كنّا نعود من المقابر حيث نكون في صحبة أجساد القدّيسين، ونرجع إلى اجتماعاتنا، حيث تجتمع الكنيسة بثبات. كان الموعوظين يُقبلون الوعظ وسط الاستشهاد، وكانوا يغلبون العذابات ويعترفون بالله الحيّ بغير خوف. حقًا رأينا عجيبة بطوليّة! كان المؤمنون قليلين في العدد، لكنهم بحق مؤمنين، يتقدّمون في الطريق المستقيم الضيق المؤدّي إلى الحياة][1].

الاستشهاد بين أوريجينوس وأكليمنضس

كان أوريجينوس في عمله التعليمي يحثّ الناس على الاستشهاد، وهو في هذا يختلف مع معلّمه القدّيس أكليمنضس الإسكندري الذي رأى أن الذين يندفعون نحو الموت لا يحسبون شهداء إنما يسلمون أنفسهم للموت مثلهم مثل النسّاك الهنود الذين يلقون بأنفسهم في النار[2]. حقًا – في رأيه – لا يليق بالمسيحي أن يخاف الموت أو يرهبه، لكن الموت ليس شهوة يجري إليها، إن أثار المضطهد فهو لا يتقدّم للاستشهاد، إنما يرتكب جريمة قتل لنفسه ضد حق الله[3] يجب على المسيحي أن ينفذ وصية الرب قائل: "ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى" (مت ١٠: ٢٣).

الاستشهاد عند القدّيس أكليمنضس ليس اندفاعًا لإثارة الآخرين ضدّه، لكنه خبرة حياة يوميّة، وشهادة للسيّد المسيح بالكلام والعمل والسلوك وكل ما للإنسان[4]. الاستشهاد هو البلوغ إلى قمّة العمل[5]، قمة الحياة التي تحمل حبًا لله[6]... الاستشهاد هو تنفيذ وصايا الرب كل يوم خلال الحب، إذ يقول: [من يتبع وصايا المخلّص يحمل شهادة (مارتيري) في كل عمل يمارسه، ذلك بطاعته لإرادة المخلّص، وترديده اسم الرب على الدوام. بهذا يكون شهيدًا بالعمل نحو من وثق فيه، صالبًا الجسد برغباته وشهواته[7].

[1] In Jerem. Hom 4: 3.

[2] Strom 4: 4: 17,18.

[3] Strom: 4: 10: 76, 77.

[4] Strom. 2: 104: 1.

[5] Strom 4: 14: 3.

[6] Strom 4: 43: 2.

[7] Strom. 4: 7: 43 (CF 2: 20: 104).

لعل هذا الاتجاه جاء تصحيحًا لمفاهيم الكثير من مسيحي الإسكندرية الذين رأوا ضرورة التزام العبادة لله باضطهاد المتعبّدين واستشهادهم[1].

على أي الأحوال لم يقلّل **أكليمنضس** من قيمة الاستشهاد ولا حقّر من مكافأته وإكليله، لكنه رأى فيه إعلانًا لعمل التوبة التي يعيشها المؤمن كل أيام جهاده، وتمتعًا بغفران الخطيّة[2]؛ كما أكد عنصر الحب نحو الله في حياة الشهيد وعمله[3]. وهو بهذا فتح بابًا جديدًا ألا وهو ممارسة "الاستشهاد" خلال الموت الاختياري اليومي... فلا عجب أن وجدنا كتاباته في قلالي المتوحّدين بمنطقة طيبة[4].

أما **العلامة أوريجينوس** فرأى في الاستشهاد مجدًا للكنيسة وتحريرًا للنفس... ينبغي على المؤمن إن وجد الفرصة أن يجري إليها...

الاستشهاد بين ترتليان وأوريجينوس

إن كان كل منهما قد حث المؤمنين على الاستشهاد، على خلاف القدّيس أكليمنضس، لكن البعض يرى وجود فارق كبير في النظرة اللاهوتية للعلامة ترتليان نحو الاستشهاد، والنظرة الخاصة بالعلامة أوريجينوس. يقول Dix[5]: [أن ترتليان قد صب رجاءه في قيامة الجسد وحفظه من العذابات الأبديّة، أما أوريجينوس فصب رجاءه في تحرّر النفس وتقدّمها خلال تعلّمها بواسطة الكلمة "اللوغوس" حتى تقدر أن تقوم مع المسيح...].

أوريجينوس يتطلّع إلى السيّد المسيح "الكلمة" كمربّي للنفس، يريد أن يدخل بها إلى حضن الآب ويكشف لها أسرار اللاهوت. فهو لا يعاملها كسيّد مع عبد له أو كديّان مع مخطئ، بل كمعلّم يدخل بها إلى معرفة الإلهيات. هذا المنهج وضح تمامًا حتى في حديثه عن الاستشهاد، إذ يقول:

[إذا كنت تذكر أن بولس الرسول قد أُختطف إلى السماء الثالثة، وأنه أُختطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا يسوغ لإنسان أن ينطق بها (٢كو ١٢: ٢، ٤) فلابد لك أن تستنتج منطقيًا أنك – بالاستشهاد – ستدرك من الأسرار ما يفوق تلك التي كشفتها الكلمات العاجزة القاصرة لبولس، لأنه بعد أن سمعها نزل من السماء الثالثة، أما أنت فعندما تسمعها، فلن تنزل مطلقًا، لأنك ستكون قد حملت صليبك وتبعت يسوع، الذي هو لنا رئيس كهنة قد اجتاز إلى السموات (عب ٤: ١٤). فإذا كنت شغوفًا أن تتعلّم في المسيح... وإذا أردت أن تعبر إلى ما وراء هذه المعرفة التي لنا في مرآة... فعليك أن تحث الخطى وراء من يدعوك (تقبّل الاستشهاد)، لكي تدرك كل شيء ممّا لم تعرفه من قبل. تعرفه وجهًا لوجه (١كو ١٣: ١٢) باعتبارك ابنا الآب وللمعلّم السماوي، لأن أحباءه يرون الأشياء في حقيقتها كما هي...][6].

[1] Strom 4: 11.

[2] Strom 4: 74: 3.

[3] Strom. 4: 72: 1.

[4] Palladius: Laus Hist, 60.

[5] Dix: Shape of the Liturgy, P 394, 395.

[6] العلامة أوريجينوس: رسالة إلى الشهداء (حث على الاستشهاد)، ترجمة موسى وهبة مينا، ١٩٧١، ص ٣٩،٤٠.

الاستشهاد عند أوريجينوس

١. الاستشهاد هو واجب كل مسيحي حقيقي، لأن كل الذين يحبون الله يرغبون في الاتحاد معه[١]...

[يتطلّع (المسيحيّون) في شوق إلى ساعة الموت، لأنها تتيح لهم فرصة للخلاص من جسد هذا الموت (رو ٧: ٢٤)، ولذلك ترتفع صلواتهم مع الرسول الذي يئن من هذا العبء الثقيل: "ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت؟! كلنا نشترك في هذه الصرخة لأننا نئن في هذه الخيمة" (٢كو ٥: ٤)... عندما يتخلّص الشهيد من جسد هذا الموت ويتمتّع بالاتحاد بالله فلابد أن يصيح في فرح وتقوى: "شكرًا لله بالمسيح يسوع إلهنا" (رو ٧: ٢٥)] [٢].

وفي محاورته مع هيراقيلدس يقول:

[احضروا الحيوانات المفترسة، احضروا صلبانًا، احضروا نارًا، احضروا عذابات! فإنني أعلم إنني إذ أموت أخرج من الجسد واستريح مع المسيح. لهذا فلنجاهد ولنصارع الجسد ما دمنا في الجسد، لا لأننا سنبقى فيما بعد في مقابر الجسد، إنما لأننا سنتحرّر منه ويكون لنا جسد أكثر روحانيّة. سيكون مصيرنا مع المسيح، لنتهّد ونحن بعد في الجسد!][٣].

[اعتقد أنه كما أن الذي يلتصق بالزانية يصير جسدًا واحدًا معها (١كو ٦: ١٦) فكذلك من يحمل الشهادة – خصوصًا في زمن الاضطهاد وامتحان الإيمان – لاشك أنه يرتبط مع من يشهد له ويصير واحدًا معه كالعريس والعروس][٤].

٢. الاستشهاد ضروري، إذ لا يخلص إلا الذين يحملون الصليب مع المسيح[٥].

[إذ كنا نبغي الخلاص لأرواحنا كي نستردّها روحًا أفضل فلابد لنا أن نفقدها (مر ٨: ٣٤-٣٧) في بطولة الاستشهاد. لأننا إذا فقدناها من أجل المسيح، ووضعناها أمامه بالموت من أجله. فسوف نحصل لها على خلاص حقيقي][٦].]

٣. يليق بالمسيحيّين أن يحتملوا الموت ليقابلوا حب الله بالحب[٧]؛ يرى فيه نوعًا من تسديد الدين لعطايا الله لنا. لهذا فهو يؤهلنا أكثر بكثير من عمل البرّ فينا[٨].

٤. خلال معموديّة الدم تغفر الخطايا التي ارتكبناها بعد العماد[٩].

[1] Exhort. ad Martyrium ch 3, 4.

[٢] العلامة أوريجينوس: رسالة إلى الشهداء، ص ٢٣،٢٤.

[3] Dialogue with Heracleides.

[٤] العلامة أوريجينوس: رسالة إلى الشهداء ص ٣٥.

[5] Exh. ad. Mart. ch 12, 13.

[٦] العلامة أوريجينوس: رسالة إلى الشهداء ص ٣٨،٣٩.

[7] Exh. ad Mart. ch 28, 29.

[8] Ibid ch 50.

[9] Ibid. ch 30.

٥. إن كنّا نمتثل بالسيّد المسيح، ونبذل حياتنا، فإنه يهبنا تعزياته[١]. من ينكره على الأرض ينكره هو أيضًا في السماء[٢]، أما الذين يعترفون به فيدخل بهم إلى الفردوس، وفي نفس الوقت يعطي لابنائه هنا بركة[٣].

٦. يلاحظ أن العلامة أوريجينوس في كتابه "الحث على الاستشهاد" لم يقدّم مثلاً واحدًا من الفلاسفة الذين أظهروا بطولة وشجاعة في قبولهم العذابات أو الموت من أجل مبادئهم، كما فعل القدّيس أكليمنضس، لكنه قدّم عرضًا لأبطال العهد القديم والعهد الجديد، لأنه ربط بين استشهاد المؤمنين وذبيحة الصليب. وفي تفسيره إنجيل يوحنا يوضح هذه العلاقة قائلاً[٤]: [ذبيحة الحمل لها انعكاسها في بذل دم الشهداء الذين يبذل دمائهم واعترافهم وغيرتهم على الصلاح أبطلوا خطط الأشرار].

حقًا في بعض أعماله الأخرى قدّم أمثلة لأبطال من العالم الوثني مثل ليونيداس وسقراط، لكنه فعل هذا ليظهر سموّ احتمال المسيحيين عليهم[٥].

رأى أوريجينوس في الشهداء ارتباط بالسيّد المسيح، وفي استشهادهم ذبيحة حب مرتبطة بذبيحة الصليب، فقال: [إنهم يخدمون على مذبح السماء ككهنة حقيقيّين، حتى كما أن يسوع قد قدّم دمه لخلاص البشريّة كلها، هكذا يمكن لدمهم الكريم أن يطهر خطايا البعض[٦]؛ غير أن ذبيحة المسيح مقدّمة عن الجميع بلا حدود، أما ذبيحة الاستشهاد فمحدودة وقاصرة على البعض، وغير منفصلة عن ذبيحة المسيح نفسه، لقد أكد في مواضع كثيرة أنه لا يقدر أحد أن يخلص غيره مادام هو في حاجة إلى من يخلصه، أما السيّد المسيح فهو مخلّص الجميع. لهذا يمكننا القول أنه ربّما قصد أن دم الشهداء أشبه بصلوات مستمرّة عن الكنيسة المجاهدة أمام عرش الله في استحقاقات دم المسيح نفسه.

العطاء

ارتبط العطاء في ذهن أوريجينوس بحب الله وسخائه الذي يشتهي أن يعطى بغير حدود، كلما قدّمنا له ممّا يعطينا يجد الرب الفرصة ليعطينا أكثر فأكثر.

في هذا يقول: [يسألنا الله أن نقدّم له من عندياتنا، ليس عن عوز، إنما لكي يهبنا بسخاء من عندياته عوضًا عما نقدّمه...][٧].

[الله يرغب أن يتقبّل منا شيئًا لكي يمنحنا ممّا له، لكي تظهر عطايا نعمة أنها ممنوحة للمستحقّين][٨].

[1] Ibid. ch 43, 44.

[2] ibid. ch 34, 35.

[3] Ibid. ch 38.

[4] In Joan 6: 36.

[5] Contra Celsus 2: 17, 2: 41.

[6] Exh. ad Mart, ch 30.

[7] In Luke. hom 49.

[8] In Num. Hom 24: 2.

[حين نقدّم له عطايا من مخازننا إنما نذهب لكي نتقبّل عطايا منه. حينما نقدّم إيماننا وحبنا، يمنحنا مجانًا عطايا الروح القدس المتنوعة][1].

في أكثر من موضع كان يؤكد أن ما نقدّمه إنما هو ممّا يقدّمه الله لنا... يقول على لسان الرب: "عطاياكم لي في حقيقتها هي عطاياي لكم"[2].

[1] Ibid 12: 3.

[2] In Num. Hom 23: 2.

أوريجينوس والعالم المسيحي

يصعب جدًا الحديث عن مدى أثر العلامة أوريجينوس على العالم المسيحي. فقد تتلمذ كثيرون على يديه، وكما يقول Farrar: "إن قدّيسين وشهداء اشتهوا الجلوس عند قدميه[1]. كما تتلمذ كثير من قادة الفكر المسيحي في الشرق والغرب على كتاباته. وبقدر ما وجد له من أصدقاء أحبّوه وعشقوا كتاباته متتلمذين على يديه، وجد له أيضًا أعداء أبغضوه ولم يطيقوا اسمه. ومع هذا فإن بعض هؤلاء الأعداء اقتطفوا الكثير من كتاباته حتى بعد ما هاجموه، أمثال القدّيس هيلاري أسقف بواتييه وإمبروسيوس وفيكتوريانوس وجيروم والأب روفينوس.

وامتد أثره على غير المسيحيّين أيضًا، وكما يقول المؤرخ يوسابيوس: [إذ جذبت سمعه أوريجين العلميّة أنظار الكثيرين... ورن صداها في كل موضع، جاءوا إليه يختبرون قدرة ذكائه في العلوم الدينيّة، فتتلمذ على يديه كثير من الهراطقة وعدد ليس بقليل من أبرز الفلاسفة، وتلقّوا التعليم على يديه لا في الأمور الدينيّة فحسب وفي الفلسفة الدنيويّة... لقد اشتهر كفيلسوف عظيم حتى بين اليونانيّين أنفسهم... ويشهد لنبوغه في هذه العلوم فلاسفة عصره اليونانيّين فكثيرًا ما أشاروا إليه في كتاباتهم، بل وأحيانًا كانوا يهدون كتبهم إليه في المقدّمة، كما كان بعضهم يقدّمون له مؤلفاتهم ليبدي رأيه فيها...][2].

تلاميذ أوريجين والمعجبون به

في الإسكندرية تتلمذ (البابا) ديونسيوس على يديه، وحينما بدأ العالم ينقلب عليه بقى البابا يشعر أنه مدين بالجميل له، فأرسل إليه رسالة عن الاستشهاد عام ٢٥٩م.

وقد مدحه القدّيس ديديموس الضرير مدير مدرسة الإسكندرية وأكمل عمله في حقل التفسير واللاهوت الرمزي.

ونسخ بمفيليوس البيروتي تلميذ بيروس مدير مدرسة الإسكندرية معظم مؤلفات أوريجينوس بيده وشغف بقراءتها.

ودافع عند البابا أثناسيوس الرسولي ولقبه بألقاب جميلة مثل: "العجيب" و"العامل بالحب".

أما الآباء الكبادوك فقد أحبّوه وورثوا تعاليمه التي نقلت إليهم بواسطة تلميذه القدّيس غريغوريوس صانع العجائب الذي تتلمذ هو وأخوه ثيئودورس على يديه بسبب اهتمامهما بالعلوم اليونانيّة وحبّهما للفلسفة، لكنه استبدل غيرتهما القديمة بدراسة اللاهوت، وإذ لبثا خمس سنوات أظهرا تقدّما عظيمًا في الروحيّات حتى سيم كلاهما أسقفًا في كنائس بنطس رغم حداثة سنهما[3].

[1] Farrar, vol 1, P 426.

[2] Euseb. H. E 6: 18: 2-4; 6: 19: 1.

[3] Euseb. H. E 6: 30.

القدّيسين غريغوريوس النزينزي وباسيليوس الكبير وأن كان لم يقبلا نظامه اللاهوتي بكليّته، لكنهما رأيا فيه الشكل الوحيد الكافي للفكر العلمي المسيحي المعروف في ذلك الحين، فتتلمذا عليه كما ضما بعض أقواله في كتاب "الفيلوكاليا" شهادة لاعتقادهما أن فكر أوريجينوس يحوي الأسس التي بواسطتهما يمكن تقديم الإيمان في لاهوت عقلي. في محاولتهما أرادوا تحقيق هذا الحلم: "تحالف الإيمان مع العلم"[١].

لقب القدّيس غريغوريوس النيصى العلامة أوريجينوس "زعيم الفلاسفة المسيحيّين"[٢]، وقد شارك القدّيسان السابقان اعتقادهما تجاه العلامة أوريجين ومنهجه، وإن كان قد تشرّب بروحه أكثر منهما، يظهر ذلك بوضوح في مقاله Oratio Catechelica الذي يقترب جدًا من روح كتاب "المبادئ" لأوريجين أكثر من أي عمل آخر في القرن الرابع[٣]. لقد حفظ القدّيس الكثير من مقالاته وأدرك بفهم منهجه وإن كان قد رفض مبالغاته. لقد أخذ عنه بعض أفكاره وتفسيره الرمزي وتعليمه في حرّيّة الإنسانيّة واعتقاده في الإصلاح المطلق لكل الأشياء... لكنه لم يكن مجرّد ناقل.

ويعتبر القدّيس أوغريس من بنتس هو المسئول عن نشر تعاليمه بين رهبان مصر، فقد اعتمد على كتاباته وكان ينشرها إثناء وجوده في مصر. ومن خلاله أيضًا تسلّم القدّيس يوحنا كاسيان تعاليمه وبهذا انتقلت إلى رهبان الغرب[٤].

تأثّر الأب مكسيموس المعترف بأوريجينوس تأثيرًا مطلقًا في وقتًا ما[٥].

عرفت أعماله في الغرب بواسطة روفينوس من إكويلا الذي أعجب به جدًا ودافع عنه بشدّة.

ويعتبر القدّيسان هيلاري وإمبروسيوس مدينان لتفاسيره بالكثير.

أما القدّيس جيروم فقد كان منذ صباه المبكّر معجبًا به جدًا، دعاه "أعظم مُعلم للكنيسة بعد الرسل][٦] ، دفع الكثير ليقتني كل كتبه، وترجم الكثير من مقالاته إلى اللاتينيّة، وجعل اسمه مشهورًا في الغرب. معرفته للتفسير جاءت عن رجال أوريجينيّين مثل ديديموس الضرير وغريغوريوس النزينزي... لكنه فيما بعد انقلب إلى عدوّ لدود ضد أوريجينوس.

كما مدحه القدّيس أغسطينوس.

مدحه أيضًا الأب Vincent of Lerins قائلاً: [إن كان من جهة الحياة فعظيمة هي صناعته! عظيمة هي نقاوته وصبره واحتماله! من جهة النبل فأي شرف أعظم من أن يولد في بيت يتجمد بالاستشهاد؟! إن كان من جهة الفصاحة والحكمة والفلسفة فقد فاق الجميع. تخرّج من أحضانه معلّمون بلا حصر وكهنة

[1] J. H Strawley: The Catechtical Oration of Gregory of Nyssa, Cambridge 1905. PX.

[٢] راجع منسى يوحنا ص ٤٨ مختصر تاريخ الأمة القبطيّة ص ٣٨٤-٣٩٠.

[3] Harnak: History of Dogma, vol 4, P 334.

[4] Dom Marsili Giovanni: Cassiano ed Evagris Pontics, Rome 1936.

[5] FR. Von Balthassi: Kosmische Liturgie, Freiburg in Breisgau 1941.

[6] Praef in Quaest in Gen.

ومعترفون. أي مسيحي لا يكرمه كنبي أو فيلسوف كمعلّم؟! فإنه حتى الأمراء كرّموه. لا يكفيني اليوم كله أن أخبرك عن عظمته أو حتى تحسسّت نصيبًا منها!][1].

بين المؤرخين الأوّلين مدحه يوسابيوس وسقراط جدًا.

أخيرًا أتذكّر مجرّد أسماء لتلاميذه والمعجبين به: القدّيس يوحنا أسقف أورشليم ويوسابيوس أسقف Vercellae، والاخوة الطوال القامة[2] الذين بسببهم تعرض ذهبي الفم لكثير من المتاعب. والقدّيس بلاديوس. وتوتيم أسقف سيتي الذي اعترض على أبيفانيوس عدوّ أوريجينوس.

خصومه

تحدّثنا قبلاً عن موقف البابا ديمتريوس الكرام من أوريجينوس والآن يحاول كثير من الغربيّين المبالغة في الهجوم على البابا لموقفه ضد العلامة أوريجينوس، مع أن المشكلة كانت متفاقمة ودخل فيها كثير من الآباء العظماء في الشرق والغرب... كما أحبّه كثيرون وتتلمذوا على يديه، أبغضه كثيرون وثاروا ضدّه، بل وانعقدت مجامع غير مصريّة بعد وفاته لكي تحرمه!

ولعل أول هجوم خطير ضده كان من ميثوديوس أسقف أولمبيا في بدء القرن الرابع، الذي كتب ضده بعنف، وهاجم التعاليم الواردة في كتاب De Principiis مثل أبديّة الخليقة، الوجود السابق للنفوس قبل تجسدها، طبيعة الجسد المقام... لكنه عاد فامتدح العلامة أوريجينوس في أواخر أيامه.

ويلاحظ أنه في القرن الرابع في مجمع نيقية عام ٣٢٥م، لم يرد ذكر أوريجينوس قط ولا شيئًا عن أخطائه اللاهوتية.

أما أبيفانيوس أسقف سيلاميس بقبرص فقد هاجمه في كتابيه: Anchoratus Adv Haereses معتبرًا إياه هرطوقيًا معتمدًا على ما ورد في ميثودوسيوس وغيره. وقد عرف هذا الأب ببساطته وسرعة تصديقه وحماسه، فإنه لم يكتف بالكتابة وإنما سارع إلى السفر إلى فلسطين بالرغم من شيخوخته ليمسح كل أثر لأوريجينوس. هناك بجوار فلسطين وجد روفينوس الذي أنشأ ديرًا على جبل الزيتون عام ٣٧٧م، وجيروم الذي قطن في بيت لحم منذ عام ٣٨٦م، وهما معجبان جدًا بأوريجينوس. كذلك يوحنا أسقف أورشليم.

بدأ أبيفانيوس عمله بعظة هجوميّة ضد الأوريجينيّة في كنيسة القيامة، قام بعدها بتحريض الرهبان أن ينفصلوا عن الأسقف حتى يتطهّر تمامًا من كل شك في الهرطقة الأوريجينيّة. واستطاع أبيفانوس أن يكسب جيروم في صفه، فحدث خلاف بينه وبين روفينوس.

تستطيع أن تتلمّس مدى عداوة أبيفانوس للأوريجينيّة ممّا ورد في بستان الرهبان[3] أنه جاء عن القدّيس أبيفانوس أن شابًا في إيبارشيّته كان يجادل العلماء ويفحمهم، ولم يستطع كثير من الأساقفة والكهنة عليه، فضلّ

[1] Adv Haer 23.

[2] للمؤلف: القدّيس يوحنا ذهبي الفم، الإسكندريّة ١٩٧٥م.

[3] بستان الرهبان: طبعة بنى سويف ١٩٦٨م، ص٣٦١.

بسببه كثيرون. فاستدعاه الأسقف، وعندما بدأ يصلّي عليه أخذت الشاب رعدة وصرّ على أسنانه... وأخيرًا احمرت عيناه، وصار يصرخ بصوت عظيم قائلاً: أأنت يا أبيفانيوس تُخرجني من مسكني؟

قال له: الرب يسوع المسيح يُخرجك من جُبلته.

قال له الشيطان: إنك لم تعرفني من أنا.

قال له للأسقف: من أنت؟

قال: أنا هو الذي تكلّم في ذاك المدعو أوريجينوس...

أمام هذا التيّار العنيف قام روفينوس بترجمة كتاب المبادئ (موضوع كل النزاع وفيه وجدت الآراء اللاهوتية الخاطئة) إلى اللاتينيّة ومعه دفاع Pamphilus عن أوريجينوس. لكن نشر الكتاب أثار عدة تساؤلات حول أوريجينوس مثل نظريّة للثالوث القدوس أن الآب يحتضن الخليقة كلها، أما الابن فيهتم بخلاص الخليقة العاقلة وحدها، وأما الروح القدس فيعمل فقط في القدّيسين. فتساءل البعض هل بهذا أراد أوريجينوس أن يجعل من الآب أعظم من الابن، ومن الابن أعظم من الروح القدس. كذلك في حديثه عن الرمزيّة جعل البعض يفهم بأن أحداث التاريخ حتى حياة السيّد المسيح في الكتاب المقدس مجرّد حياة رمزيّة... هذا مع إنكاره العقاب الأبدي لأن البشر لا يكون لهم أجساد ماديّة تسقط تحت العقاب، ونظرته لتناسخ الأرواح...

لقد أرفق روفينوس ترجمته بمذكرة له تحت اسم "إفساد أعمال أوريجينوس" يعلن فيها أن النسُاخ أدخلوا بعض المبادئ الهرطوقيّة... وقد شملت النقاط التالية[1]:

١. يستحيل لرجل متعلّم وعاقل مثل أوريجينوس أن يناقض نفسه ليس بين كتاباته في شبابه وكتاباته في شيخوخة وإنما التناقض في الكتاب الواحد.

٢. أن هناك آباء أرثوذكسيّوا المعتقد شوّه الهراطقة كتاباتهم مثل القدّيسون أكليمنضس الإسكندري وأكليمنضس الروماني وديوناسيوس الإسكندري.

٣. اشتكى أوريجينوس نفسه برسالة له لا تزال موجودة، ممّا فعله الهراطقة بكتبه، (في الرسالة دافع أوريجينوس عن نفسه أنه يستحيل أن يقول بأن الشيطان يخلص، فإن هذا لا يقوله إلا من كان مجنونًا).

أخيرًا فلا ننس موقف البابا ثاوفيلس الإسكندري ضد أوريجينوس كما ظهر في شكله الاخوة الطوال القامة[٢].

[1] Henri De Lubac: Origen on First Principles, N,Y 1966. P XXXVIII ff.

[٢] للمؤلف: القدّيس يوحنا ذهبي الفم.

هيراقلاس

"ياروكلاس"

أحد تلاميذ العلامة أوريجانوس المشهورين، درس الفلاطونية الحديثة قبل معلمه أوريجانوس، على يدَّي أمونيوس السقاس. فقد جاء في إحدى شذرات رسالة لأوريجانوس وردت في يوسابيوس: [قابلت الأخير (هيراقلاس) في بيت مدرس العلوم الفلسفية، إذ كان قد درس لمدة خمسة أعوام قبل أن أبدأ أنا في حضور هذه المحاضرات. وفي ذلك الوقت كان هيراقلاس قد زهد الملابس العادية التي كان يلبسها قبلاً، وارتدى ذي الفلاسفة، والذي مازال يلبسه حتى اليوم، مستمرًا في دراسة كتب اليونانيين قدر الاستطاعة].

هيراقلاس الذي كرَّس كل وقته للفلسفة كسبه العلامة أوريجانوس لينتسب هو وأخوه Puslaarch لمدرسة الإسكندرية المسيحية. تتلمذ على يدَّي أوريجانوس مع أنه كان يكبر عنه في السن، وبعد ذلك صار مساعدًا ثم خليفة له عندما هرب إلى فلسطين.

وصفه المؤرخ يوسابيوس هكذا: [كرَّس حياته لدراسة الكتاب المقدس، هو أحد الرجال المتعلمين العظماء، لا يجهل الفلسفة].

بابا الإسكندرية

اكتشف القديس ديمتريوس إمكانيات هيراقلاس الروحية في الكرازة وقدرته على تعليم الموعوظين وإرشاد المؤمنين فسامه قسًا فقمصًا، وسمح له أن يعظ في الكاتدرائية. جذب الكثير من الوثنيين إلى الإيمان المسيحي كما أظهر حبًا فائقًا في خدمته للمؤمنين. وفي عام ٢٢٤م اختير خليفة للقديس ديمتريوس بابا الإسكندرية.

وتعتبر فترة باباويته لها أهميتها الخاصة، فقد احتمل الاضطهاد، فكان يفتقد المدن والقرى في أنحاء البلاد يسند المؤمنين. وفي زيارته سام حوالي عشرين أسقفًا ليهتموا برعاية شعب الله. وقد أراد الشعب مع الكهنة في مصر، الذين أحبوه جدًا أن يميزوه عن بقية الأساقفة فدعوه بالقبطية "بابا" التي تعنى "أب". وهكذا يعتبر أول مسئول كنسي في العالم المسيحي يحمل هذا اللقب، قبل أن يستخدم في روما.

وترى الأستاذة إيريس حبيب المصري أن هذا اللقب أستخدم من قبل، منذ أيام القديس إنيانوس الذي رسمه القديس مرقس الرسول، وذلك كما ذكر المؤرخ المقريزي.

جاء في كتاب الانشقاق[١]: [أما أساقفة عواصم الولايات والأقاليم، أعنى الأولين في المطارنة كانوا يسمون "أساقفة أولين"، غير أنه كان لبعضهم أسماء خاصة أيضًا منذ القديم. فكان أسقف إنطاكية يسمى "بطريركًا"، وأسقف إسكندرية "بابا"، وأسقف روما "أسقفًا"، أو "أسقف المدينة" أو "حبرًا"، وأحيانًا يسمى "بابا". أما كلمة "بابا" فمن الواضح أنها ليست كلمة لاتينية ولا غريبة بل هي شرقية محضة. وأول من سمى بها أسقف الإسكندرية من أبناء إيبارشيته في القطر المصري في الإسكندرية عينها.

[١] تاريخ الانشقاق جـ١، ص ٢٩- ٣١.

ويلاحظ أن لقب بابا قد امتد من الإسكندرية إلى قرطاجنة قبل روما بدليل أن كرنيليوس أسقف روما كتب بعض رسائله بعث بها إلى كبريانوس أسقف قرطاجنة: [السلام من كرنيليوس إلى بابا كبريانوس، ومن ثم امتد هذا اللقب إلى روما في القرن الخامس. وفي القرن الحادي عشر عقد غريغوريوس السابع أسقف روما مجمعًا مكانيًا حرم فيه كل أسقف يطلق على نفسه أو غيره لقب بابا، حاصرًا هذا اللقب على أسقف روما وحده].

البابا هيراقلاس وأوريجانوس

قيل أن البابا هيراقلاس حث المعلم العظيم أوريجانوس أن يعود إلى الإسكندرية[١]، لكنه اعتذر بأن مدرسة الإسكندرية قد استقرت وأن مدرسة قيصرية تحتاج إلى رعايته[٢].

مع يوليوس أفريقيانوس

استطاع القديس هيراقلاس بسيرته الفاضلة لا أن يجتذب بعض الوثنيين في مصر إلى الإيمان المسيحي وإنما أيضًا اجتذب من الأجانب. فقد زاره المؤرخ الرحالة المشهور يوليوس أفريقيانوس، الذي كتب تاريخ العالم منذ الخليقة حتى عام ٢٢١م، وآمن على يديه بالمسيحية[٣].

[1] Carrington, vol 2, P 493.

[٢] إيريس حبيب المصري؛ قصة الكنيسة القبطية ١٩٦٩ جـ١، ص ٨٠.

W. Budge: The Ethiepian Synixarium, vol 2, P 337. 338.

[3] Paul d'Orleans: Les Salnts d'Egypte, Jers. 1923,t 2, p 197.

القديس

ديونسيوس الإسكندري

حياته

لقبه القديس أثناسيوس "معلم الكنيسة الجامعة"[١]، كما دعي "ديونسيوس الكبير" بسبب ما عاناه من ضيقات محتملاً ذلك في شجاعة وثبات، ولغيرته على الكنيسة لا على المستوى المحلى فحسب بل على مستوى الإبيارشيات الأخرى.

بحق يعتبر "واحد من أعظم شخصيات التاريخ الكنسي الهامة والجميلة"[٢].

تحوله للمسيحية

ولد بالإسكندرية مع نهاية القرن الثاني حوالي عام ١٩٠م، من أبوين وثنيين غنيين وذا جاه. كان من مذهب الصائبة يعبد الكواكب، محبًا للقراءة، يعمل كطبيب ناجح.

قادته قراءته المستمرة إلى قبول الإيمان المسيحي، فقد قيل أن أرملة عجوز مرت به معها بعض كتابات الرسول بولس تريد بيعها. فاشتراها منها وأخذ يدرسها ويفحصها. فأعجب بها جدًا وحسبها أنها أفضل ما قرأه من كتب الفلاسفة. وإذ طلب من السيدة أن تأتيه ببقية الأوراق ويدفع لها ما تريد، أحضرت له ثلاث رسائل أخرى؛ وإذ شعرت الأرملة أن نعمة الله قد عملت في قلبه قالت له: [إن شئت أيها الفيلسوف أن تطلع على الكثير من مثل هذه الأقوال عليك بالذهاب إلى الكنيسة لتجد من يعطيها لك مجانًا]. فمضى إلى الكنيسة حيث التقى بشماس يدعى أغسطين الذي دفع له رسائل معلمنا بولس الرسول كاملة فقرأها وقبل الإيمان المسيحي.

مضى ديونسيوس إلى البابا ديمتريوس ونال منه سرّ العماد، ثم التحق بالمدرسة اللاهوتية[٣]، حيث تتلمذ للعلامة أوريجانوس، وصار أحد كواكبها اللامعين[٤].

سيم ديونسيوس شماسًا بواسطة البابا ديمتريوس، كما سيم قسًا بواسطة البابا ياروكلاس (هيراقليس).

خلف ديونسيوس هيراقليس في رئاسة المدرسة لحوالي ١٦ أو ١٧ عامًا، كما خلفه أيضًا في الباباوية.

لقد أخبرنا عن نفسه أنه اعتاد أن يقرأ حتى كتب الهراطقة، وأنه قد تشجع على ذلك بواسطة رؤيا إلهية ففي رسالته الثالثة عن المعمودية التي كتبها إلى القس الروماني فليمون قرر أن الله أعلن ذاته له، قائلاً له[١]:

[1] De Seyt. Dion 6.

[2] F.W. Farrar: Lives of the Fathers, London 1907, vol 1 P 343.

[٣] الشماس منسى يوحنا (القس منسى): تاريخ الكنيسة ص ٧٦.

[4] F.W Farrar, P 343.

[اقرأ كل ما يمكن أن تصل إليه يدك، فأنك قادر أن تصحح كل شيء وتمتحنه، فإن هذه العطية هي سبب إيمانك منذ البداية]. وقد أهلته قراءاته المكثفة في كتب الهراطقة على مهاجمتهم من خلال أعمالهم.

بابا الإسكندرية

في عام ٢٤٧م اختير القديس ديونسيوس بابا الإسكندرية، حيث كانت رسالته صعبة ألا وهى الحفاظ على الكنيسة وسط موجات مستمرة من الاضطهادات، نذكر منها (دون التزام بالترتيب الزمني):

١. في عام ٢٥٠م بدأ اضطهاد ديونسيوس Docius للكنيسة[٢]. وقد قدم البابا لمسات سريعة لشهداء الإسكندرية في ذلك الوقت في رسالته إلى دومثيوس وديديموس ورسالته إلى فابيوس أسقف إنطاكية، ذكر شهداء رجال ونساء، صغار وكبار، عذارى وأمهات، جنود وشرفاء جلدوا وماتوا بالنار والسيف.

وإن كان البابا نفسه لم يستشهد لكنه حسب نفسه ضمن الذين رغم معرفتهم للرب زمانًا طويلاً لكنه لم يعد بعد أهلاً لذلك، وإن كان في اعتقاده أن السيد المسيح قد حفظه لزمن آخر مناسب[٣].

لقد بقى البابا في داره أربعة أيام ينتظر بينما كان رجال الوالي يبحثون عنه في كل موضع غير متوقعين أن يجدوه في داره. أخيرًا هرب. فعرض نفسه مثل القديس كبريانوس للاتهام بالجبن. وقد أقتطف المؤرخ يوسابيوس رسالة القديس ديوناسيوس إلى أحد أساقفة الأقاليم يدعى جرمانيوس يدافع فيها عن نفسه قائلاً[٤]:

[أتحدث كمن هو في حضرة الله، أنه يعلم أني لا أكذب. أنني لم أهرب بدافع من نفسي، أو بدون إرشاد إلهي. وحتى قبل هذا، وفي نفس الساعة بدأ فيها اضطهاد ديسيوس، أرسل سابيوس جنديًا يبحث عنى، وكنت في الدار أربعة أيام أنتظر قدومه، لكنه تجول يبحث في كل موضع – في الطرق والأنهار والحقول – إذ ظن أني مختبئ فيها أو أنى في الطريق إليها، فقد انطمست بصيرته ولم يجد البيت، ولا تصوّر أنى أبقى في البيت في الوقت الذي فيه يجرى البحث عنى.

فقط بعد أربعة أيامك أمرني الله أن أغادر الدار مع أتباعي[٥] وكثير من الأخوة. أما كون هذا قد تم بعناية إلهية فواضح مما حدث بعد ذلك إذ ربما كنت نافعًا لبعض الأشخاص].

أخيرًا قبض الجند عليه مع من كانوا معه وأرسلوه إلى السجن في Taposris: لكن استطاع شماس يدعى تيموثاوس أن يفلت من يدَّي الجند، التقى بمسيحي في الطريق كان ذاهبًا إلى وليمة عرس، أخبره بما حل بالبابا، وإذ سمع الحاضرون أنطلق الكل إلى السجن، فهرب الجند تاركين الأبواب مفتوحة. وإذ دخلوا السجن وجدوا البابا نائمًا. طلبوا منه مغادرة السجن فرفض حتى أضطر الشعب أن يحمله من يديه ورجليه ويدفعونه دفعًا... فذهب معهم إلى داره.

[1] Eus. 7: 7: 1- 3.

[٢] بالنسبة لكنيسة الإسكندرية فقد بدأ الاضطهاد عام ٢٤٩ حتى ٢٥١م.

[3] Eus. H. E 7: 2.

[4] Ibid 6: 40: 1- 3.

[٥] الكلمة اليونانية فهمها Tillemont أنها أنبا، الأسقف أو البابا، لكنها هي تعنى تلاميذ أو أتباعه.

٢. في عام ٢٥٧م حدث أيضًا اضطهاد أثاره الإمبراطور فاليريان فاستدعاه الوالي إميلينوس Aemilianus ومع الكاهن مكسيموس والشمامسة فوستوس ويوسابيوس وشيريمون، وإذ طلب الوالي من البابا أن يترك عمله، أجاب: "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" فنفاه إلى قرية صحراوية تسمى خفرو Cephrs. هناك استطاع أن يبشر بين الوثنيين بالرغم مما عاناه من اضطهادات. فاضطر الوالي أن ينفيه إلى صحراء ليبيا في (Collutho)[١]... هناك لم يقف عمله على عقد اجتماعات والكرازة بالمسيحية بين الوثنيين بل أجهد نفسه في خدمة كنيسته بالإسكندرية (بالرسائل) ليحفظ الخدمة هناك[٢].

٣. حدثت أيضًا اضطرابات جديدة، إذ هوجمت مدينة الإسكندرية من الجنوب بواسطة قبائل بربرية.

كذلك أعلن والى مصر إميلينوس في الإسكندرية إمبراطورًا، فنشبت حرب مدنية انتهت بأسره بواسطة القائد الروماني ثيؤدوتيوس الذي أرسل المتمرد مقيدًا إلى روما. خلال هذه الحرب دمرت المدينة وحلت مجاعة وانتشرت الأوبئة.

تحدث البابا عن هذه الاضطرابات في رسالته الفصيحة الدورية عام ٢٦٣م، جاء فيها:

[قد يبدو أن الوقت غير مناسب للعيد... فنحن لا نرى إلا الدموع، الكل ينوح، والعويل يسمع كل يوم في المدينة بسبب كثرة الموتى...

بعد هذا حلت الحروب وحدثت المجاعة، الأمرين اللذين تحملناهما سوية مع الوثنيين... لكننا فرحنا بسلام المسيح الذي وهب لنا نحن وحدنا.

كان أكثر الأخوة أسخياء جدًا في محبتهم الزائدة وعطفهم، فازدادت رابطتهم مع بعضهم البعض، فكانوا يفتقدون المرضى بغير تخوف، ويخدمونهم بصفة مستمرة، يخدمونهم في المسيح][٣]. أما الوثنيون فكانوا ينفرون من المرضى ويطرحونهم في الشارع بين أموات وأحياء!

٤. في نهاية كل اضطهاد كان البابا ديونسيوس يواجه مشكلة المرتدين. كان يضمهم، بل غالبًا ما كان يمنع إعادة معمودية حتى الهراطقة أو المنشقين الراجعين (مع أن الكنيسة فيما بعد لم تستقر على ذلك).

٥. [مركز ديونسيوس العظيم مع قدرته وعلمه واعتداله الممتاز جعله موضع إلتماس أن يتدخل غالبًا في كل الصراعات الهامة التي ثارت في الكنيسة في أيامه][٤]. ففي الانقسام الخاص بنوفاتيوس الذي سيم على كرسي روما بطريقة غير شرعية، التجأت جميع الأطراف إليه[٥]؛ كما أنشغل بهراطقة نيبوس أسقف أرسينوا بالفيوم، وسابليوس أسقف بتولمايس[٦] (المدن الخمس الغربية) وبولس السموسطاتى.

[1] Farrar, P 345.

[2] J.W. Wand: Histiry of the Early Church to A.D 500, 1974, P 61.

[3] Eus. H. E. 7: 22 Schaff: Ani- Nicene Christianity vol 2, P 801.

[4] Farrar P 345.

[5] Ibid. Eus. H. E. 7. 8.

[6] Eus. 7: 6.

وساطته بين كبريانوس وأسطفانوس

كان القديس ديوناسيوس رجلاً كنسيًا هامًا، له عمله حتى خارج نطاق إيبارشيته[1]. كمثال توسط في النزاع الحاد الذي قام بين كبريانوس أسقف قرطاجنة وأسطفانوس أسقف روما، وذلك بخصوص معمودية الهراطقة.

فبالنسبة لكبريانوسي معمودية الهراطقة والمنشقين باطلة، لأنهم خارج الكنيسة، ولا خلاص خارج الكنيسة، فإنه لا يستطيع أن يتخذ الله أبًا له من لم تكن الكنيسة هي أمه. فالتائب – في الحقيقة – لا تعاد معموديته إنما يحسب أنه يتقبل المعمودية للمرة الأولى، أما معموديته السابقة فهي باطلة كان لم تكن. أما أسطفانوس أسقف رومية فقد رأى أن كل معمودية تتم باسم الثالوث القدوس صحيحة حتى أن تمت بيد هراطقة، لهذا فلا تعاد معمودية الراجعين إلى الكنيسة من الهراطقة إنما يكتفي بوضع الأيدي والصلاة عليهم.

وقد ساعد على اشتعال النار ظهور بدعتين:

١. بدعة نوفاسينوس الأسقف الروماني الدخيل القائل بعدم قبول توبة جاحدي الإيمان ووجوب إعادة الذين تعمدوا بيد الهراطقة وعماد الأرثوذكس الذين تساهلوا في قبول الهراطقة التائبين... وكان لذلك رد فعل عكسي في روما، الأمر الذي سبب وجود فريقين في روما فكتب كهنة روما إلى كبريانوس يسألونه، فأجابهم: [أن المعمدين بيد الهراطقة وحدهم يجب إعادة معموديتهم، وأما الذين قبلوا الإيمان من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح]. كما قال: [أما مسألة جاحدي الإيمان التائبين فلا تخص كنيسة روما منفردة، إنما يلزم أن تحكم فيها الكنائس مجتمعة][2].

٢. بدعة فيلكينوس الذي علم بالصفح عن الذين جحدوا الإيمان بمجرد شفاعة المعترفين عنهم، الأمر الذي أدى إلى رخاوة زائدة.

وفي عام ٢٥٣م إذ سيم أسطفانوس أسقفًا على روما شدد في منع إعادة معمودية الهراطقة وخاطب فرميليانوس أسقف قيصرية بذلك. وإذ لم يستجب الأخير لطلبه عقد مجمعًا عام ٢٥٤م قطع فيه فرميليانوس ومن وافقه من أساقفة كيليكية وغلاطية بم هدد كبريانوس بالقطع. عقد كبريانوس مجمعًا عام ٢٥٥م حكم بضرورة عماد الهراطقة ومن تعمد على أيديهم... وأرسل قرار المجمع لأسطفانوس، جاء فيه: [كل رئيس روحي حرَّ في سياسة كنيسته، لأنه يقدم حسابًا عن أعماله للرب][3]. أما أسطفانوس فكتب إلى أعضاء المجمع يهددهم بالقطع إن لم يذعنوا لإرادته. كتب كبريانوس رسالة إلى بومبيوس أحد أساقفة أفريقيا ضد أسطفانوس، جاء فيها: [لا نجد مثل هذا القرار لا في الإنجيل ولا في الرسائل ولا في أعمال الرسل...][4].

بعث أساقفة أفريقيا رسالة أخوية إلى الأسقف أسطفانوس يدعوه للاتحاد معهم، فلم يقابل حاملي الرسالة ولا سمح لهم بمأوى، وبعث إليهم رسالة يلقب فيها كبريانوس "الرسول الغاش والنبي الكذاب"[5]، فرد كبريانوس

[1] Quaaten: Patrology, vol 2, P 102.

[2] Cyprian: Epis. 19

[3] Ibid 72.

[4] Ibid 74.

[5] Epist. 75.

برسالة أخوية إلى أساقفة أفريقيا يقول فيها عن أسطفانوس [صديق الهراطقة وعدو المسيحيين]، كما قال: [أن هذا الأسقف الضال أسطفانوس دَّل برسالته على جهله وغباوته][1].

وكاد الشقاق يتزايد ويستفحل لولا تدخل البابا ديونسيوس الذي كتب رسالة إلى الأسقف أسطفانوس يظهر كيف اتحدت الكنائس في الشرق وأن الكل بفرح متفقون في الرأي... طالبًا منه ألا يسبب شقاقًا[2].

وقد رأى البعض مثل (Wand)[3] أن ديوناسيوس قد شارك أسطفانوس رأيه لكنه لم يشاركه عنفه وحدته، فحاول التوسط بين الطرفين. إن كان قد قرر ألا يعيد معمودية الهراطقة والمنشقين لكنه لم يقطع علاقته بالكنائس التي تعيد المعمودية... حاسبًا أن الأمر يترك لكل كنيسة...

وفي كتاب الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف إسيذورس[4] قصة تظهر تخوف يودنسيوس من إعادة المعمودية الخاصة إن كان الشخص قد أعتاد على التناول من الأسرار الإلهية في الكنيسة الأرثوذكسية، فإنه بعد نياحة الأسقف أسطفانوس واجه البابا ديونسيوس مشكلة وهى أن مؤمنًا من الإسكندرية جاءه يبكى بمرارة متوسلاً أن يعيد معموديته، لأنه كان قد تعمد بيد هراطقة منذ زمن طويل وأعتاد التناول من الأسرار المقدسة في الكنيسة بعد توبته، لكنه كان قلقًا للغاية. أما القديس ديونسيوس فلم يجسر أن يعمده لأنه كان يشترك في التناول في الكنيسة... لكنه تحت ضغط القلق الشديد والبكاء المستمر كتب إلى أخيه سكستوس أسقف روما يطلب رأيه.

على أي الحالات يليق بنا أن ندرك بأن الكنيسة في الشرق والغرب استقرت على رأى القديس كبريانوس أي اعتبار معمودية الهراطقة والمنشقين غير قائمة.

مع نيبوس أسقف أرسينو

في رحلته الرعوية لمدن إيبارشيته، التقى البابا بنيبوس أسقف أرسينو[5] بالفيوم، الذي استخدم سفر رؤيا يوحنا في تأكيد آرائه في الملكوت الألفي المادي بطريقة يهودية[6]، فيه يأتي السيد المسيح على الأرض ليملك كأحد الملوك، في كتاب له يرفض فيه التفسير الرمزي لأوريجين "A Refutation of the Allegorists". دعي البابا مجمعًا محليًا في أرسينو وأوضح للأسقف وأتباعه كيف أن ملكوت الله روحي، وأن المؤمنين لا يترجون أي ملكوت زمني أو ملذات أرضية، وكان يتحدث معهم بروح الحب في وداعة فاقتنعوا بكلماته.

وإذ عاد إلى الإسكندرية كتب البابا كتابين عن "المواعيد" جاء فيهما: [أنه ليسعدني أن أصف ما رأيته من إخلاص أبنائي أهالي أرسينو ومحبتهم وذكائهم. فقد تبادلنا الآراء بصبر وجلد، ولم ندع صغيرة أو كبيرة إلا وبحثناها بحثًا مستفيضًا. ومما يسرني أن أبنائي حين وقفوا على ما هم فيه من خطأ أعلنوا ذلك جهارًا في غير

[1] Epis 72.

[2] Euseb. 7: 5.

[3] Wand. P 108- 9.

[4] جزء أول ص ١٨٦، منسى ص ١٣١.

[5] حاليًا كيمان فارس المتخربة بحري الفيوم (منسي يوحنا ص ٧٩).

[6] Farrar, p 347.

حياء ولا تردد. وفي طليعة المعترفين بخطئهم كوراسيوس الكاهن الذي أقام المثل الحيَّ الدال على إخلاصه للحق، كما يسرني ما بدا من أبنائي أهل أرسينو إذ نسبوا نقضي للبدعة الألفية إلى إخلاصي الأبوي][1].

وبعد تفسيره الإصحاح العشرين من سفر الرؤيا أشار إلى مواعيد الله لشعبه، ثم ذيل الرسالة بمدحه للأسقف نيبوس قائلا: [أنني أحب نيبوس وأمتدحه لأنه يسعى بكل جهده للوقوف على الحقيقة. وأمتدحه أيضًا للترانيم الروحية التي وضعها ليترنم بها الشعب في حفلاته. غير أن محبتي للحق تفوق محبتي لنيبوس، لذلك بادرت إلى إدحاض بدعته لإرشاده وإنارته].

حقًا كم كان تاريخ الكنيسة قد تغير لو أن كل الصراعات عولجت هكذا بالروح الهادئ اللطيف؟![2]

مع الهرطوقى سابيليوس[3]

جاء إلى مصر من روما ينشر بدعة تسمى "مؤلمي الآب"، يعتقد أصحابها بأن الله أقنوم واحد، وهو الذي كفَّر عن خطايا البشر... بهذا يكون الآب قد تألم...

قاوم البابا هذا الضلال، وأرسل منشورًا إلى الأسقفين أمونيوس وأفراندو، كما حرم سابيليوس في مجمع عقده عام ٢٦١م بعد أن فنَّد تعاليمه الفاسدة... فالتجأ أتباعه إلى الأسقف الروماني ديونسيوس الذي كان شابًا قليل الخبرة، فعقد مجمعًا حرم فيه بابا الإسكندرية وأرسل إليه يخبره بالحكم ويسأله أن لديه ما يدافع به عن نفسه. لكن بابا الإسكندرية بحكمته بعث برسالة أوضح فيها ما عسر عن فهم الأسقف الروماني، فاستراح الأخير إليها. وقضت الرسالة على ما يسميه المؤرخين "نزاع الديونسيين"، وشعر الروماني بتسرعه فاحترم الإسكندري، ووقف بجانبه في دحض بدعة بولس السوموسطائى أسقف أنطاكية.

كتاباته

كتب الكثير ولكن للأسقف لم يبقى إلا شذرات حفظت خلال كتابات يوسابيوس وأثناسيوس وغيرهما. وكما يقول Neale: [فقدان كتابات ديونسيوس هي إحدى الخسائر العظمى التي لحقت بالتاريخ الكنسي][4].

[1] إيريس حبيب المصري حـ ١ ص ٩١، سليم سليمان الفيومي: مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٤٠٦، يوسابيوس ٢٤:٧،٢٥.

[2] Farrar, P 347.

[3] أحد أساقفة بطلومايس (أحد الخمس مدن الغربية)، تربى في روما وتتلمذ على يدي نوئيتوس الهراطوقي، وأخذ عنه أن الله أقنوم واحد، أعطى الناموس لبني إسرائيل بصفته الآب، وصار إنسانًا في العهد الجديد بصفته الابن، وحل على الرسل في علية صهيون بصفته الروح القدس. اختلف عنه سابيلوس قليلاً إذ قال أن جزءًا من الطبع الإلهي فرز من الآب وكون الابن بالاتحاد مع الإنسان يسوع وآخر أنفصل عنه فكون الروح القدس.

أول من اعتنق بدعة نوئيتوس وسابليوس هو زفرينوس أسقف روما وكالستوس خليفته الذي سام أساقفة وقسوسًا وشمامسة من الذين تزوجوا ثانية وثالثة وادعى أن الأسقف لا يقطع من الكهنوت مهما ارتكب من الآثام، ولما لم يوافقه سابيلبوس على ذلك حرمه، فجاء إلى مصر عام ٢٥٧، الذي بدأ ينشر بدعته.

[4] Holy Eastern Church, vol 1, P 84.

يتجه في كتاباته إلى الجانب العملي مع أسئلة خاصة بالتعليم. رسائله تظهر أنه قام بدور إيجابي في المناقشات العقيدية في عصره[١].

١. عن الطبيعة

في هذا العمل فند المادية الأبيقورية، في شكل رسالة موجهة إلى ابنه تيموثاوس. يكشف هذا العمل أن القديس كان ذا معرفة كبيرة بالفلسفة اليونانية وأنه كاتب قدير. شهد بطريقة مقنعة عن نظام الكون وعناية الله. ردًا على الفكر المادي نحو العالم[٢].

٢. عن المواعيد

سبق الحديث عنه تحت عنوان: "مع نيبوس أسقف أرسينو".

٣. تفنيد ودفاع

جاء هذا العمل في أربع كتب موجهة إلى الأسقف ديونسيوس الروماني. إذ طلب الأخير من الإسكندري أن يوضح له اعتقاده في التعليم بالثالوث القدوس[٣]، فأجابه بوضوح هذا العمل.

في خطابه يشرح العلاقة بين الآب والإبن، وهو الموضوع الرئيسي في المجادلات الخاصة بالتثليث، فيقول:

[بالتأكيد لم يكن هناك زمان فيه كان الله ليس بالآب...

بكون (الإبن) بهاء النور الأبدي لذا فهو أيضًا أزلي مطلق. حيث يوجد النور على الدوام، يكون أيضًا بهاؤه موجودًا على الدوام... لذلك فإن البهاء الأبدي يشع أمامه، واحد معه في الوجود. موجود بلا بداية، مولود على الدوام. يشع دومًا أمامه، وهو الحكمة القائل: "كنت كل يوم لذته فرحة دائمًا قدامه" (أم ٨: ٣٠).

مادام الآب أبدى فالإبن أيضًا أبدى، هو نور من نور...

رسائله

كثيرًا ما أستخدم يوسابيوس رسائل البابا ديونسيوس كمصدر هام لتاريخ حياته وللزمن الذي عاش فيه. من هذه الرسائل تلك التي بعث بها إلى نوفانيوس الذي رسم أسقفًا على روما بطريقة غير شرعية، يسأله في هذا الخطاب الرقيق أن يترك هذا المركز للأسقف الشرعي كرنيليوس. موضحًا أنه بهذا ينال إكليلاً أفضل من الاستشهاد لأنه يحفظ الكنيسة من الانشقاق.

في هذه الرسالة يقول:

[سلام من ديونسيوس إلى أخيه نوفاتيوس...

[1] Quasten: Patrology, vol 1, P 102.

[2] Ibid. P 103.

[3] Athanas. Ep. De Sententia Dionyail 13.

إن كنت كما تقول أنك قد دفعت دفعًا إلى ذلك بغير إرادتك. فبرهن على هذا بتركك هذه الوظيفة بإرادتك. لأنه كان خير لك أن تحمل كل ألم ولا تقسم كنيسة الله. حتى الاستشهاد من أجل تجنب الانقسام لا يكون أقل مجدًا من الاستشهاد بسبب رفض عبادة الأوثان، بل يبدو لي أعظم منه. لأنه في الحالة الأخيرة يستشهد الإنسان من أجل نفسه، أما في الحالة الأولى فمن أجل الكنيسة كلها.

والآن إن أمكنك إقناع الإخوة أو حملهم على اتفاق آرائهم زاد برك على زلتك، فلا تحسب عليك، بل يمدح برك. ولكن إن لم تستطع أن تفلح مع المتمردين، فعلى الأقل خلص نفسك.

أتوسل إليك أن تحسن التبصر في الأمر وتبقى في سلام مع الرب][1].

بعث أيضًا برسالة إلى باسيليدس أسقف بانتوبوليس (الخمس مدن الغربية) يجيبه على أسئلة كثيرة بخصوص تحديد زمن الصوم الكبير والشروط الجسدية الخاصة بالاستعداد للتناول.

بعث أيضًا برسالة ثالثة إلى فابيوس أسقف أنطاكية، عالج فيها مشكلة المرتدين أثناء الاضطهاد، جاء فيها:

[سأقدم لك هذا المثل الواحد الذي حدث بيننا. كان معنا رجل مسن مؤمن، يدعى سرابيون، عاش بلا لوم زمانًا طويلاً، لكنه سقط عند التجربة. هذا توسل كثيرًا طالبًا الحَّل لكن لم يلتفت إليه، لأنه ذبح للأوثان. إعتراه مرض فبقى ثلاث أيام متوالية فاقد النطق والوعي... وفي اليوم الرابع إذ فاق دعي حفيده (ابن ابنته) قائلاً: إلى متى تعوقني يا أبني؟ أتوسل إليك أن تسرع وتدع لي كاهنًا. وإذ قال هذا فقد النطق ثانية. أسرع الولد إلى الكاهن، وكان الوقت ليلاً، والقس مريضًا لم يقدر الذهاب معه، لكنني إذ كنت قد أصدرت أمرًا أن الذي على حافة العبور من العالم أن طلب حلاً، خاصة إن كان قد سبق وطلبه قبلاً، فيلزم أن ينطلقوا برجاء، أعطاه الكاهن جزءًا صغيرًا من الأفخارستيا، وأمره أن يغمسه في الماء، ويدع النقط تسقط في فم الشيخ. عاد به الصبي، وإذ أقترب، وكان لم يدخل بعد تحرك سرابيون ثالثة وقال: [لقد أتيت يا أبني ولم يقدر القس أن يأتي معك. أفعل ما أمرك به سريعًا ودعني أنطلق. عندئذ غمسه الصبي وجعل النقط تسقط في فمه، وإذ بلع قليلاً أسلم الروح حالاً][2].

حينما بدأ العالم ينقلب على العلامة أوريجانوس بقى البابا ديونسيوس يشعر بالدين نحو هذا المعلم، ففي عام ٢٥٩م بعث إليه برسالة عن الاستشهاد، حين كان مسجونا في صور Tyre.

وبعد موت أوريجانوس كتب رسالة إلى Theotecnius أسقف قيصرية يمتدحه فيها.

أرسل أيضًا عدة رسائل إلى بولس السومسطائى، بطريرك أنطاكية، وهو رجل هرطوقى عرف بالرفاهية والفخفخة، صارت له خطوة لدى ملكة تدمر التي وكلت إليه جباية الخراج وبذلك تقلد وظيفة دوستاريوس (والى)، رغم أن كلمة الله حَّل على يسوع عند ولادته، وأنه فارقه عند الآلام... بهذا أنكر الثالوث القدوس.

[1] Euseb.: H. E. 6: 45.

يوسابيوس القيصرى: تاريخ الكنيسة: ترجمة القس مرقس داود، طبعة ١٩٦٠ ص ٣٠٨.

[2] Euseb: H. E. 6: 44: 2-5.

أيضًا أشار المؤرخ يوسابيوس إلى رسائله الفصيحة التي كان للقديس ديوناسيوس يكتبها ليعلن عن موعد الفصح (عيد القيامة) وبدء الصوم الكبير. أخذت هذه الرسائل شكل رسائل رعوية، فيها يحث الشعب أن يراعوا الصوم والعيد بطريقة روحية كما أنتهزها كفرصة لمناقشة بعض الأسئلة الكنسية المثابرة في ذلك الحين.

ثيوغنوستس

"ثاؤغست"

بسبب موجات الاضطهاد التي تعرضت لها الكنيسة، حدث لبس في ترتيب بعض رؤساء المدرسة في ذلك الحين (القرن الثالث) خاصة بين ثيؤغنوستس وبيريس (Pierius) [١].

ثيؤغنوستس كاهن إسكندري ولاهوتي، نعرف عنه القليل جدًا من خلال مقتطفات له وردت في فوتيوس[٢] وأثناسيوس وغريغوريوس أسقف نيصص.

جاء عمله العقيدي Hypotypeseis في سبع كتب، أخذ منهج أوريجانوس، ومع ذلك فإن القديس أثناسيوس التجأ إلى كتاباته في صراعه ضد الأريوسية.

[١] نرى Cove يضع ثيؤغنوستس بعد بيرس أما Routh في كتابه: Roliquioe Sacroe مجلد ٣ ص ٤٠٨ فصحح الوضع (راجع Schaff مجلد ٢، ص ٣٠٦).

[2] Bibl. Cod 106.

الأب بيريوس

PIERIUS

هو كاهن مثقف، مفسر ممتاز لكلمة الله وكارز. يقول عنه المؤرخ يوسابيوس: [أشتهر بفقره الشديد مع غزارة علومه الفلسفية. كان عميقًا في التأملات الروحية، مجاهدًا في تفسير الروحيات والمباحثات العلنية في الكنيسة][1].

يدعوه القديس جيروم "أوريجانوس الصغير". وهو معلم الشهيد بمفيليوس، المعجب بأوريجانوس والكاهن والمعلم اللاهوتي في قيصرية فلسطين.

يقول فوتيوس: [يحسب البعض أستشهد، ويقول آخرون أنه قضى بقية حياته في روما بعد فترة الاستشهاد][2] ، [لكن الاحتمال الأعظم أن كلى الفريقين على صواب، أحتمل الآلام دون أن يستشهد وذلك في اضطهاد دقليديانوس][3].

كتاباته

يقول القديس جيروم: أن بيريوس نشر مقالات كثيرة في مواضيع كثيرة، كما أشار إلى مقاله الطويل عن هوشع النبي. وقد قرأ فوتيوس لبيريوس عملاً يحوى إثنى عشر "لوغيًا" أى يخص اللوغوس. كما يشير فيليب الصيدي Philip Sidetes إلى ثلاث أعمال لبيريوس هي: "عن إنجيل القديس لوقا"، "عن والدة الإله"، "حياة القديس بامفيلوس"[4].

[1] Eus. H.E. 7: 32: 27.

[2] Bib. Code 119.

[3] Quasten: Patrology, vol 2, P111.

[4] خلف بيريوس أرشلاوس وبطرس خاتم الشهداء وسرابيون أسقف تيمى ومقاريوس السياسي وديديموس الضرير ورودن... وقد سبق أن كتبت عن القديس خاتم الشهداء بحثًا مستقلا. وهنا اكتفي بالإشارة إلى القديس ديديموس الضرير.

القديس

ديديموس الضرير

ولد القديس ديديموس حوالي عام ٣١٣م[١]، وفقد بصره في الرابعة من عمره، فلم يتعلم القراءة في مدرسة وإنما ولعله بالتعلم أخترع الحروف البارزة بالنحت ليقرأها بإصبعه. بهذا سبق برايل خمسة عشر قرنًا في استخدام الحروف البارزة للعميان.

حفظ الكتاب المقدس والتعاليم الكنسية عن ظهر قلبه كما نبغ في النمو والبيان والفلسفة والمنطق والرياضة والموسيقى. شهد عنه القديس جيروم: [تعلم الهندسة أيضًا التي تحتاج إلى النظر أكثر من غيرها فكان أعجوبة كل ناظر إليه وذاع اسمه في كل مكان].

بعد نياحة مقاريوس مدير مدرسة الإسكندرية لم يتردد القديس أثناسيوس في تسليمه مسئولية التعليم بإقامته مديرًا للمدرسة[٢] (٣٤٦- ٣٩٨).

تتلمذ على يديه أو على كتاباته كثيرون منهم القديسين غريغوريوس النزينزى وجيروم ورفينوس ويلاريوس. أشار إليه القديس جيروم كمعلم له[٣]، ومدح تعليمه وشهد لأثره على الفكر اللاهوتي في الغرب والشرق[٤] كما دعاه روفينوس "النبي"، "الرجل الرسولي"[٥].

مع القديس أنبا أنطونيوس

كان صديقًا حميمًا للقديس أنبا أنطونيوس. ذات يوم إذ شرعا يتحدثان في الكتب المقدسة سأله أنبا أنطونيوس: [ألعلك لا تحزن لأنك كفيف البصر؟ أجابه القديس أنه يحزن على ذلك جدًا، فأجابه القديس: "إني متعجب لحزنك على فقدانك ما نشترك فيه مع أحقر الحيوانات كواسطة للإحساس إذ ليس لديها ما تحس به غير البصر (المحسوس)، ولا تفرح متعزيًا لأن الله وهبك بصيرة أخرى لا يهبها تقدس أسمه إلا لمحبيه، أعطاك عينين كأعين الملائكة تبصر بهما الروحيات، بل وبهما تدرك الله نفسه ويسطع نوره أمامك فأزال الظلام عن عيون قلوبنا...]. فتعزى القديس بهذا القول كل أيام حياته.

وقد نقل ذات الفكر القديس جيروم وعندما بعث رسالة تعزية لراهب ضرير.

[١] منسى القمص يرى أنه ولد عام ٣١٨م.

[2] Rufinus: H.E. 2: 7.

[3] Epist. 50: 4; 84: 3; Comm in Osce proph: Prol.; Comm in Epis. ad Ephes.: Prol.

[4] Liber de Spir. Sanc. : Praef ad Paulin.

[5] Apol. In Hier 2: 25.

نسكه

أجتذب القديس ديديموس معاصريه لا بعلمه فحسب وإنما بنسكه أيضًا، فغالبًا ما عاش كمتوحد، زاره القديس أنبا انطونيوس عدة مرات، كما زاره القديس بلاديوس أربع مرات في فترة عشر سنين، وقد روى عنه قصتين[1]:

١. مرة إذ طلب منى أن أصلى في قلايته ولم ألب طلبه روى لي هذه القصة: دخل أنطونيوس هذه القلاية للمرة الثالثة لزيارتي، وإذ سألته أن يصلى ركع في الحال ليصلى ولم يضطرني إلى تكرار الطلب، مقدمًا لي مثلاً في الطاعة، والآن إن كنت تود أن تقتفي آثاره – كما يبدو عليك، إذ تعيش في خلوة بعيدًا عن الأهل طالبًا الفضيلة – فأبعد عنك روح المقاومة.

٢– أخبرني أيضًا الآتي: [ذات يوم بينما كنت أفكر في حياة الشقي يوليانوس الإمبراطور[٢]، وفي كونه مضطهدًا، اضطربت للغاية حتى أنى لم أذق خبزًا إلى ساعة متأخرة في المساء، وإذ بي أرى خيولاً بيضاء تجرى، وكان راكبوها يهتفون قائلين: قولوا لديديموس أن يوليانس قد مات اليوم للساعة السابعة. قمَّ وكلّ، وأرسل إلى أثناسيوس الأسقف لكي يعرف هو أيضًا ما قد حدث]. وأستطرد يقول: [وقد دونت الساعة والشهر والأسبوع واليوم والساعة وأتضح لي ما قيل أنه صحيح].

دفاعه عن أوريجانوس

نشر دفاعًا عن كتاب "المبادئ De Principlis" لأوريجانوس، فيه أظهر خطأ الذين يتهمونه بالضلال معتبرًا إياها مجرد أوهام لا قيمة لها، إذ يقول: [الذين يتهمون أوريجانوس بالهراطقة هم عديموا الفهم، ليس لهم قدرة على إدراك الأفكار العالية والحكمة الغامضة التي أمتاز بها ذلك الرجل العظيم الذي يعد من النوابغ المشهورين].

ضد آريوس

قال سقراط المؤرخ: [كان ديديموس عند الناس حصنًا متينًا وسندًا قويًا للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية، ويحسب خصمًا عنيدًا كسر شوكة أتباع آريوس وأذلهم في مناظراته معهم].

كتاباته

١. أعماله التفسيرية

[1] Palladius: Laus. Hiat., ch 4.

[٢] حكم ما بين ٣٦١، ٣٦٣م.

يقول بلاديوس: [أنه فسر العهدين القديم والجديد كلمة كلمة. وذكر جيروم أنه وضع تعليقات على أسفار المزامير وأيوب وإشعياء وزكريا... الخ. وأشار Casiodorus: أن له تعليقات على سفر الأمثال. وفي بردى طور بمصر التي اكتشفت عام ١٩٤١م وجدت مقتطفات مطولة لتفاسيره على التكوين وأيوب وزكريا.

يقول Quasten: [المقتطفات الضخمة الموجودة تجعلنا قادرين على التعرف على طريقة ديديموس الرمزية السرية في التفسير، والتي تؤكد إتباعه منهج أوريجانوس. أظهر اهتمامًا خاصًا بالنقد الخاص بالنصوص مثل المعلم الإسكندري (أوريجين)، وقارن بين مخطوطات متنوعة للترجمة السبعينية ومما ورد في السداسيات (لأوريجين). لكن جهاده في التصميم على القراءة الدقيقة (لنصوص الكتاب) لم يمنعه من استخدام التفسير الرمزي المتحرر. لقد أقتنع أن العهد القديم يحوى رسالة مسيحية هامة في كل موضع، وأن كل مزمور يشير إلى المسيح][1].

وضع أيضًا تعليقات على بعض أسفار العهد الجديد خاصة إنجيل القديس متى والقديس يوحنا وسفر الأعمال والرسالتين الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس والرسالة إلى أهل غلاطية والرسالة إلى أهل أفسس.

٢. عن الثالوث

يقع هذا العمل في ثلاث كتب، وضعها ما بين عام ٣٨١، ٣٩٢م؛ لا تزال موجودة، لأنها لم تحمل اتجاهًا أوريجانيًا.

٣. عن الروح القدس

الأصل اليوناني مفقود، لكن الترجمة اللاتينية للقديس جيروم موجودة.

٤. ضد أتباع ماني

يتكون هذا العمل من ١٨ فصل صغير، موجود باليونانية.

٥. أعمال أخرى

في عمله "عن الثالوث" أشار القديس إلى عمل آخر من وضعه يسمى "الكلمة الأولى"؛ كما يشير إلى مقاله: "Sanctorum Voiumen" في عمله عن : "الروح القدس" ١٢:٥.

وجاء في سقراط[2] أن ديديموس خصص عملاً للدفاع عن كتاب أوريجانوس "عن المبادئ".

ويشير الأب يوحنا الدمشقي[3] إلى عملين آخرين للقديس هما: "عن الفلسفة" و "عن التجسد".

كما حفظت له بعض الأعمال أسماء أباء آخرين[4].

[1] Quasten: Patrology, vol 3, P91.

[2] Socrates: H.E. 5: 12.

[3] Socra Parallela. PG 96: 248, 524.

[4] Quasten: Patrology, vol 3, P 89-90.

محتويات الكتاب

صفحة

مدرسة الإسكندرية

١. ما قبل أثيناغوراس

٢. أثيناغوراس الفيلسوف

٣. القديس بنتينوس

٤. القديس أكليمنضس الإسكندري

٥. العلامة أوريجانوس

٦. هيراقلاس

٧. القديس ديونسيوس الإسكندري

٨. ثيؤغنسوستس

٩. الأب بيريوس

١٠. القديس ديديموس الضرير